حياة سيد العرب صلى الله عليه وسلم

وتاريخ النهضة الإسلامية مع العلم والمدنية

تأليف

حسين عبد الله باسلامة

عضو مجلس الشورى بمكة

حقق هذا الكتاب وعلق عليه

الشيخ زكريا بن عبد الله بيلا

عضو مجلس إدارة الحرم المكي

الجزء الثاني

دار القبلة للثقافة الاسلامية
جدة

مؤسسة علوم القرآن
بيروت

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

حياة

سيد العرب صلى الله عليه وسلم

وتاريخ النهضة الإسلامية مع العلم والمدنية

تأليف

حسين عبد الله باسلامة

عضو مجلس الشورى بمكة

حقق هذا الكتاب وعلق عليه

الشيخ زكريا بن عبد الله بيلا

عضو مجلس إدارة الحرم المكي

الجزء الثاني

دار القبلة للثقافة الاسلامية
جدة

مؤسسة علوم القرآن
بيروت

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إسلام سلمانَ الفارسيّ رضي الله عنه[1]

ابتدأنا الجزء الثاني بإسلام سلمان الفارسي، رضي الله عنه، وذلك أنه وقع إسلامه أوّلاً بهذا التاريخ، وثانياً لكونه قد قضى مدة طويلة لا يستهان بها في تتبع الأديان والبحث عن الدين الصحيح الثابت الذي أنزل من عند الله عز وجل على أنبيائه ورسله، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وقد وقع له في ذلك سفر طويل، وحديث غريب عجيب شائق، يحسن بكل إنسان كيّس عاقل متدين أن يقف عليه، ليقدر جهود الرجال العظام، الذين قضوا من حياتهم قسماً عظيماً في تتبع البحث. والتنقل من بلاد إلى أخرى، كل ذلك لأجل أن يقفوا على حقيقة الدين الصحيح الذي ينطبق على الحكمة والعقل النير، ويكون بعيداً عن الخرافة، كما أنه لا يكون حجر عثرة في سبيل التقدم والإصلاح، والمدنية والعمران.

فقد روى حديث سلمان الفارسي رضي الله عنه، ابن هشام، عن ابن اسحاق إمام أهل السِّيَر، قال سلمان الفارسي رضي الله عنه: كنت رجلاً فارسيًّاً من أهل أصبهان، من أهل قرية يقال لها (جيّ) وكان أبي دِهْقانَ قَرْيته. وكنت أحب خلق الله إليه، لم يزل به حبه إياي حتى حبسني في بيته، كما تحبس الجارية، واجتهدت في المجوسية، حتى كنت قَطَن النار الذي يوقدها، لا يتركها تخبو ساعةً. قال: وكانت لأبي ضَيْعة عظيمة، قال: فشغل في بُنيان له يوماً، فقال لي: يا بني، إني قد شغلت في بنياني

(١) انظر سيرة ابن هشام جـ ١ ص ٢٢٨.

هذا اليوم عن ضيعتي، فاذهب إليها فاطَّلِعْها وأمَرني فيها ببعض ما يريد، ثم قال لي: ولا تحتبس عني، فإنك إن احتبست عني كنتَ أهمَّ إليَّ من ضيعتي، وشغلْتني عن كل شيء من أمري.

قال: فخرجت أريد ضيعته التي بعثني إليها. فمررت بكنيسة من كنائس النصارى، فسمعت أصواتهم فيها وهم يصلون ـ وكنت لا أدري ما أمر الناس لحبس أبي إيَّاي في بيته ـ فلما سمعت أصواتهم دخلت عليهم أنظر ما يصنعون، فلما رأيتهم أعجبتني صلاتهم، ورغبت في أمرهم، وقلت: هذا والله خيراً من الدين الذي نحن عليه، فوالله ما بَرِحتهم حتى غربت الشمس، وتركت ضيعة أبي فلم آتها، ثم قلت لهم: أي أصل هذا الدين؟ قالوا: بالشام.

فرجعت إلى أبي وقد بعث في طلبي، وشغلته عن عمله كله، فلما جئته قال: أي بني، أين كنت؟ أو لم أكن عهدت إليك ما عهدت؟ قال: قلت: يا أبت، مررت بأناس يصلون في كنيسة لهم، فأعجبني ما رأيت من دينهم، فوالله ما زلت عندهم حتى غربت الشمس. قال: أي بني، ليس في ذلك الدين خير، دينُك ودينُ آبائك خيرٌ منه. قال: قلت له: كلا والله، إنه لخير من ديننا. قال: فخافني فجعل في رجلي قيداً، ثم حبسني في بيته. قال: وبعثت إلى النصارى فقلت لهم: إذا قدم عليكم رَكْبٌ من الشام فأخبروني بهم. قال: فقدم عليهم ركب من الشام تجار من النصارى، فأخبروني بهم، فقلت لهم: إذا قضوا حوائجهم وأرادوا الرجْعَة إلى بلادهم فآذِنُوني بهم، قال: فلما أرادوا الرجعة إلى بلادهم أخبروني بهم فألقيت الحديد من رجلي، ثم خرجت معهم حتى قدمت الشام، فلما قدمتها قلت: مَنْ أفضلُ هذا الدين علماً؟ قالوا: الأسقف في الكنيسة، قال: فجئته فقلت له: إني قد رغبت في هذا الدين، فأحببت أن أكون معك، وأخدمك في كنيستك. فأتعلم منك، وأصلي معك. قال: ادخل، فدخلت معه. قال: وكان رجل سوء، يأمرهم بالصدقة ويرغبهم فيها، فإذا جمعوا

إليه شيئاً منهم اكتنزه لنفسه ولم يعطه المساكين، حتى جمع سبع قلال من ذهب ووَرِق، قال: فأبغضته بغضاً شديداً، لما رأيته يصنع.

ثم مات، فاجتمعت إليه النصارى ليدفنوه فقلت لهم: إن هذا كان رجل سوء، يأمركم بالصدقة ويرغبكم فيها، فإذا جئتموه بها اكتنزها لنفسه ولم يعط المساكين منها شيئاً. قال: قالوا لي: وما عِلْمُك بذلك؟ قال: قلت لهم: أنا أدلكم على كنزه، قالوا: فدُلَّنا عليه. قال: فأريتهم موضعه، فاستخرجوا سَبْع قِلال مملوءة ذهباً وورقاً. قال: فلما رأوها قالوا: والله لا ندفنه أبداً، قال فصلبوه ورجموه بالحجارة، وجاءوا برجل آخر فجعلوه مكانه.

قال: يقول سلمان: فما رأيت رجلاً لا يصلي الخمس أرى أنه كان أفضل منه أزهد في الدنيا ولا أرغب في الآخرة، ولا أدأب ليلاً ولا نهاراً منه، قال: فأحببته حباً لم أحبه شيئاً قبله مثله، قال: فأقمت معه زماناً، ثم حضرته الوفاة، فقلت له: يا فلان، إني قد كنت معك وأحببتك حباً لم أحبه شيئاً قبلك، وقد حَضَرَكَ ما ترى من أمر الله تعالى، فإلى مَن تُوصي بي؟ وبم تأمرني؟ قال: أي بُنيَّ، والله ما أعلم اليوم أحداً على ما كنت عليه، فقد هلك الناس وبدّلوا، وتركوا أكثر ما كانوا عليه إلا رجلاً بالمَوْصِل، وهو فلان، وهو على ما كنتُ عليه فالْحقْ به.

فلما مات وغُيِّب لحقت بصاحب الموصل. فقلت له: يا فلان، إن فلاناً أوصاني عند موته أن ألحق بك، وأخبرني أنك على أمره، قال: فقال لي: أقم عندي، فأقمت عنده، فوجدته خير رجل على أمر صاحبه، فلم يلبث أن مات، فلما حضرته الوفاة قلت له: يا فلان، إن فلاناً أوصاني إليك، وأمرني باللحوق بك، وقد حَضَرَكَ مِنْ أمر الله ما ترى، فإلى من توصي بي؟ وبِمَ تأمرني؟ قال: يا بني، والله ما أعلم رجلاً على مثل ما كنا عليه إلا رجلاً بِنَصِيبين، وهو فلان، فالحقْ به.

فلما مات وغُيِّب لحقت بصاحب نصيبين، فأخبرته، وما أمرني به

صاحباي، فقال: أقِمْ عنمدي، فأقمتُ عنده، فوجدته على أمر صاحبيه، فأقمت مع خير رجل، فوالله ما لبث أن نزل به الموت، فلما حضر قلت له: يا فلان، إن فلاناً أوصاني إلى فلان، ثم أوصاني فلان إليك، فإلى من توصيني؟ وبم تأمرني؟ قال: يا بني، والله ما أعلمه بقي أحد على أمرنا، آمرك أن تأتيه، إلا رجلاً بِعَمُوريّة، من أرض الروم، فإنه على مثل ما نحن عليه، فإن أحببت فأْتِه، فإنه على أمرنا.

فلما مات وغيب لحقت بصاحب عَمُوريّة، فأخبرته خبري، فقال: أقم عندي، فأقمت عند خير رجل على هدى أصحابه وأمْرِهم، قال: واكتسبت حتى كانت لي بقرات وغُنَيْمة، قال: ثم نزل به أمر الله، فلما حضر قلت له: يا فلان، إني كنت مع فلان، فأوصى بي إلى فلان، ثم أوصى بي فلان إلى فلان، ثم أوصى بي فلان إليك، فإلى من توصي بي؟ وبم تأمرني؟ قال: أي بني، والله ما أعلمه أصبح اليوم أحد على مثل ما كنا عليه من الناس آمرك به أن تأتيه، ولكنه قد أظل زمان نبي، وهو مبعوث بدين إبراهيم عليه السلام، يخرج بأرض العرب، مُهَاجرُه إلى أرضٍ بين حَرَّتَيْنِ بينهما نخل، به علامات لا تخفى، يأكل الهديَّة، ولا يأكل الصَدَقة، وبين كتفيه خاتمُ النبوَّة، فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعلْ.

قال: ثم مات وغُيِّب، ومكثت بعَمُّوريّة ما شاء الله أن أمكث، ثم مرَّ بي نفرٌ من كلْب تُجار، فقلت لهم: احملوني إلى العرب، واعطيكم بقراتي هذه، وغُنيمتي هذه. قالوا نعم، فأعطيتهموها، وحملوني معهم، حتى إذا بلغوا وادي القُرَى ظَلَمُوني، فباعوني من رجل يهوديٍّ عبْداً، فكنت عنده ورأيت النخل، فرجوت أن يكون الذي وصف لي صاحبي، ولم يحقَّ في نفسي، فبينا أناعنده إذ قدم عليه ابنُ عم له من بني قُريظة من المدينة، فابتاعني منه، فاحتملني إلى المدينة، فوالله ما هو إلا أن رأيتها، عرفتها بصفة صاحبي، فأقمت بها، وبُعث رسول الله ﷺ فأقام بمكة ما أقام، لا

أسمع له بذكر، مع ما أنا فيه من شغل الرق، ثم هاجر إلى المدينة، فوالله إني لفي رأس عِذْقٍ لسيدي أعمل له فيه بعض العمل، وسيدي جالس تحتي، إذ أقبل ابنُ عم له حتى وقف عليه فقال: يا فلان، قَاتَلَ الله بَنِي قَيلة - وقَيْلَةُ بنتُ كـاهِـل القُضَـاعِيَّـة أمُّ الأوسِ والخَـزْرَج - والله إنهم لمجتمعون بقُباء، على رجل قَدِمَ عليهم من مكة اليوم، يزعمون أنه نبي. قال سلمان: فلما سمعتها أخذتني العُرَوَاء (الرعدة والإنتفاض) حتى ظننت أني سأسقط على سيِّدي، فنزلت عن النخلة، فجعلت أقول لابن عمه ذلك: ماذا تقول؟ فغضب سيدي، فلكمني لكمة شديدة. ثم قال مالَك ولهذا؟ أقْبِلْ على عملك، قال: قلت: لا شيء، إنما أردت أن أستثبته عما قال:

وقد كان عندي شيء قد جمعته. فلما أمسيتُ أخذته، ثم ذهبت به إلى رسول الله ﷺ وهو بقُبَاء، فدخلت عليه فقلت له: إنّه قد بلغني أنك رجل صالح، ومعك أصحاب لك غُرباء ذوو حاجة، وهذا شيء قد كان عندي للصدقة، فرأيتكم أحقَّ به من غيركم، قال: فقرَّبْتُه إليه، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «كلوا». وأمسك يده، فلم يأكل. قال فقلت في نفسي: هذه واحدة. قال: ثم انصرفت عنه، فجمعت شيئاً وتحوَّل رسول الله ﷺ إلى المدينة، ثم جئته به فقلت له: إني قد رأيتك لا تأكل الصدقة، فهذه هدية أكرمتُك بها. قال: فأكل رسول الله ﷺ منها، وأمر أصحابه فأكلوا معه.

فقلت في نفسي: هاتان ثنتان. قال: ثم جئت رسول الله ﷺ وهو ببِقِيعِ الغَرْقَد، قد تَبِعَ جنازة رجل من أصحابه، عليَّ شمْلَتان لي، وهو جالس في أصحابه، فسلمت عليه، ثم استدَرْتُ انظر إلى ظهره، هل أرى الخاتم الذي وَصَفَ لي صاحبي، فلما رآني رسول الله ﷺ استدبرْتَه عرف أني استَثْبِتُ في شيء وُصِفَ لي، فألقى رداءه عن ظهره،

فنظرت إلى الخاتم فعرفتُه، فأكببت عليه أُقبِّلُه وأبكي، فقال لي رسول الله ﷺ: «تَحَوَّلْ» فتحوَّلت فجلست بين يديه، فقصصت عليه حديثي. فأَعْجَبَ رسول الله ﷺ أن يسْمع ذلك أصحابهُ.

ثم شغل سلمانَ الرِّقُّ حتى فاته مع رسول الله ﷺ بدرٌ وأُحُد قال سلمان: ثم قال لي رسول الله ﷺ «كاتِبْ يا سلمانُ» فكاتَبْتُ صاحبي على ثلاثمائة نخلةٍ أحييها له بالفقير[1]، وأربعين أوقية، فقال رسول الله ﷺ وصحابه: «أعينوا أخاكم»، فأعانوني بالنخل، الرجلُ بثلاثين وَديَّة. والرجل بخمس عشرة وَدِيَّة، والرجل بعشر. يعين الرجل بقدر ما عنده، حتى اجتمعت لي ثلاثمائة وَدِيَّة. فقال لي رسول الله ﷺ «اذهب يا سلمان فَفقِّرْ لها، فإذا فرغت فأْتِني أكن أنا أَضَعُها بيدي». قال: ففقَّرت وأعانني أصحابه، حتى إذا فرغت جئته فأخبرته، فخرج رسول الله ﷺ معي إليها، فجعلنا نقرب إليه الوَدِيَّ، ويضعه رسول الله ﷺ بيده، حتى فرغنا، فوالذي نفسُ سلمانَ بيده ما ماتت منها ودية واحدة.

فأديت النخلَ وبقي عليّ المالُ، فأتى رسول الله ﷺ بمثل بيضة الدجاجة من ذهب من بعض المعادن، فقال: «ما فعل الفارسي المكاتب»؟ قال: فدُعيت له، فقال: «خذْ هذه فأدِّها مما عليك يا سلمان»، قال: قلت: وأين تقع هذه يا رسول الله ما عليَّ؟ فقال: خذها فإن الله سيؤدي بها عنك» قال: فأخذتها فوزنت لهم منها - والذي نفسُ سلمانَ بيده - أربعين أوقية، فأوفيتهم حَقَّهم منها، وعتق سلمان، فشهدت مع رسول الله ﷺ الخندق حُراً، ثم لم يفتني معه مشهداً. أه.

هذا ما رواه ابن هشام من حديث ابن إسحاق عن سلمانَ الفارسي

---

(١) الفقير هي الحفرة التي تغرس في جوفها النخلة.

رضي الله عنه، ونقله عنه أصحاب السير. ومنه يُعلم كيف ينبغي أن يكون البحث عن حقيقة لدين الصحيح، وكيف يكون الوصول إليه، وذلك لا يحصل إلا بعد بَذْل جُهود كبيرة، لأن الانتقال من دين إلى دين آخر بغير تدبر وتبصر، هو التقليد الأعمى، كما أن القدوم على انتقاد الأديان، قبل الوقوف والاطلاع على صحتها، والتحقق بعد درسها دراسة فحص وتمحيص وتَثَبُّت، ضرْبٌ من الحماقة والجنون، حيث إن بعض المتهوِّسين لهم جرأة على النقد قبل التبصُّرِ، فقد اطلعت على بعض أقوال المجددين والملاحدة العصريين القائلين برفض الأديان - على زعمهم - أنها من اختراع بعض الرجال المصلحين، الذين تسموا في تلك العصور بأنبياء ورسل، وإنهم وضعوها نَوَامِيسَ لإصلاح أولئك الأقوام الهَمَج الذين لا يفهمون من مواد الإجتماع شيئاً، وأما الآن وقد زال ذلك الزمن، وأصبح العالم اليوم على غير ما كان عليه بالأمس من الرقي والتقدم في العلوم والمعارف، فما بقي هنا حاجة إلى الأديان والتديُّن. فأما القائلون بذلك من

فأما القائلون بذلك من ملاحدة أوروبا وأميركا، فربما يكون لهم بعض العذر فيما زعموه، بناءً على ما وقفوا عليه من غَطْرسة القسس والرهبان، ودعواهم أن ما هم عليه هو الدين المسيحي - والمسيح بريء منه ومنهم - لأنهم وجدوا ما عليه القسس غير معقول، ولا ينطبق على الحكمة وسنن الاجتماع والتقدم والعمران، ولكنهم لو صرفوا جُزءاً بسيطاً من جهودهم في درس الدين الإسلامي، وفي حقيقته، وما جاء به القرآن المنزل على نبيّ الإسلام، لوجدوا فيه ضالَّتهم المنشودة من الهدى والإصلاح والرقيّ والتقدم والتهذيب والعلم الصحيح والمدنية والعمران، ولظهرت لهم الحقيقة بارزةً بروز الشمس في رابعة النهار، لأنه هو الدين الصحيح الوحيد، الذي تنطبق أحكامه على عموم العصور، وبالأخص العصر الحاضر، ولرجعوا عن إلحادهم في الدين الإسلامي، لأنه على غير ما عليه القسس من الضلال والتضليل، ولأصبحوا

من أشد المتمسكين به، والقائمين بنشر مبادئه وتعاليمه، ولَدَعوا أمتهم إليه، لأن ترقّي العقل هو التنوُّرُ، وإذا تنوَّر العقلُ أبصرَ الحقيقةَ بسهولة. فدين الإسلام الذي جاء به نبيُّ الإسلام محمد ﷺ من عند الله تبارك وتعالى الذي هو ليس من اختراع المخترعين، ولا من غطرسة القسس والرهبان، ولا من اختلاق المختلقين، بل إنه الدين الوحيد الباقي إلى اليوم، وإلى يوم البعث والنُّشور، على حقيقته وصحَّته، كما جاء من عند الله تعالى، وهو معروف عند المسلمين، وموضح في القرآن الكريم الذي ﴿لَا يأْتِيهِ البَاطِلُ مِنْ بَيْنَ يَدَيْهِ ولَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[1] والسُّنَّة الصحيحة التي نقلها السَلَفُ عن النبي ﷺ، ونقلها الخلف طبقة عن طبقة، وجيلاً بعد جيل، سماعاً ومناولة، وتلقِّياً ودراسة، حتى وصلت إلى عصرنا هذا صحيحةً نقيَّةً سالمةً من كل تحريف وتبديل وتغيير. فمن تتبع آثار رسول الله ﷺ ودرسها درساً جَيِّداً، وفحصها فحصاً نَيِّراً، ووقف عليها وقوفاً تامّاً، عرف حقيقة الدين الإسلامي، وفهِمَ طريقته، وما هو عليه من المزايا التي تميَّزَ بها عن عموم الأديان على ظهر الكرة الأرضية. قال الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده رحمه الله في رده على (هانوتو) يصف له الإسلام: «ظهر الإسلام لا روحِيّاً مُجَرَّداً، ولا جَسدانيّاً جامداً، بل إنسانيّاً، وسطاً بين ذلك، آخذاً من كِلَا القَبِيلَيْن بِنَصيب، فتوفَّر له من ملاءمه الفطرة البشرية ما لم يتوفر لغيره، ولذا سمّى نفسه دين الفِطْرة وعَرف له ذلك خصومهُ اليُومَ وعدوه المدرسة الأولى التي يرقى فيها البرابرة على سُلَّم المدَنِيّة. ثم لم يكن من أصوله أن يَدَعَ ما لِقيصر لقيصر، بل كان من شأنه أن يحاسب قيصَرَ على ماله، ويأخذ على يده، في عمله، جاء هذا الدين على الوجه الذي ذكرنا، فهدى ضالًّا، وألَانَ قاسياً، وهذَّب خَشِناً، وعلَّم جاهلاً، ونبَّه خاملاً، وأَثْبَرَ إلى العَمَل كَسِلا، وأقدرَ عليه

---

(١) سورة فصلت، الآية: ٤٢.

وَكِلاًّ، وأصلَح من الخُلُق فاسداً، ورَوَّج من الفضيلة كاسِداً، ثم جمع متفرِّقاً، وَرأَبَ مُنصدِعاً، وأصلح مُخْتَلاًّ، ومَحا ظُلْماً، وأقام عَدْلاً، وجَدَّدَ شَرْعاً، ومكن للأُمم التي دخلت فيهِ نظاماً امتازت به عن سواها ممن لم يدخل فيه. فكان الدين بذلك عند أهله كمالاً للشخص. وأُلفةً في البيت. ونظاماً للدولة، وظهرت به آثار النعمة عليهم في جميع شؤونهم، ولم يَفت العلمَ حظٌّ من عنايتهِ، بل كان قائدهَ في جميع وجوه سيره. فإن شاء قائل أن يقول: إن الدين لم يعلّمهم التجارة ولا الصناعة. ولا تفصيل سياسة الملك. ولا طرق المعيشة في البيت. لم يسعه أن ينكر أنه أوجب عليهم أن يحسنوا فيه، وأباح لهم الملك. وفرض عليهم أن يحسنوا الملكة. وما ظنك بدين يقول خليفته الثاني وهو في المدينة من بلاد العرب: «لو أن سَخْلة بوادي الفُرات أخذها الذئب يُسأل عنها عمر» ويقول خليفته الرابع: «أأقنع من نفسي بأن يقال أمير المؤمنين ولا أشاركهم في مكاره الدهر، أو أكون أسوةً لهم في جُشوبَة العيش»؟ أي خشونته. يريد بذلك أن يساوي المساكين في العيشِ ليكون قُدوةَ الأغنياء في الإحسان. وأسوةَ الفقراءِ في حُسْن الصبر. هكذا كان الإسلام مهمازاً للمسلمين، يحثهم إلى جلائل الأعمال، ومصباحاً لبصائرهم يسترشدون به في استغراق الأحوال، وتقديم الأفكار، وعاطفاً يعطف قلوبهم على الأمم بالعفو والرحمة وحسن المعاملة، حتى رضيتهم الأرضُ سادةً لها، وقادةً لِسُكَّانها، وكان من أمرهم وأمره ما هو معلوم. أفبعد هذا يعجب عاقل إذا رأى المسلم يرضى ما رضيه هذا المرشد الحكيم ويمقت ما مقته؟ أيدهشه أن يرى المسلم يهزأ بكل ما لم يعتقده سائغاً في دينه، وإن كان فيه ملك الأرض، أو مَلكُوت السموات، بعدما شاهد المُسلمُ من أثر نِعمة الله عليه في هذا الدين ما شهد؟ لا عجب في ذلك، فإنه نتيجة ضرورية، ينساق إليها الأمر بنفسه بحكم سنة الله في خلقه»!! اهـ.

فبعد أن وصف الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده الإسلام بما تقدم

تأسف على حالة المسلمين في زمانه، بقوله: «واأسفاه، لم يبقَ للمسلم في الدين إلا هذه الثقة فيه، أما الدين نفسه فقد انقلب في عقل المسلم وضعُه، وتَغَيَّرَ في مَدارِكه طَبْعُه، وتبدَّلت في فَهمِهِ حَقيقتُه. وانطَمست في نظره طَرِيقتُه، وحق فيه قول عليٍّ كرَّمَ اللَّهُ وجهه: «إن هؤلاء القوم قد لبسوا الدين كما يُلْبَسُ الفَرْوُ مقلوباً» اهـ.

نعم! يَحقّ للأستاذ الإمام أن يأسف على حالة المسلمين في زمانه، ولو كان باقياً إلى هذا العصر لأذرف الدموع دماً على حالة بعض المسلمين اليوم، الذين سَمَّوْا أنفسهم مسلمين، وليتهم لبسوا الإسلام مقلوباً ـ كما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه ـ فحسب، بل صاروا أضل وأشنع من ذلك، أولئك الملاحدة الذي سماهم آباؤهم في المهد مسلمين، وهم لا يعرفون من الإسلام إلا اسمه، ومن القرآن إلا رَسْمه، فتراهم يرفعون عقيرتهم برفض الأديان، مقلدين ملاحدة أوربا في ذلك تقليداً أعمى، ويتبجحون بذلك، وهم لا يشعرون أنهم في جهلهم يعمهون، لا يسمعون، ولا يبصرون، ولا يعقلون، ولا يفهمون، ولا يدركون، ولا يمكنهم أن يصلوا إلى فهم أنفسهم، ولا معرفة جهلهم، ولا قدر حماقتهم، حيث قد تعمقوا في الغباوة إلى حد بعيد في العمق، ولم يخجلوا من تسمية أنفسهم (دكاترة) التجدد، مع أن قاعدة مذهبهم الشك والتردد، في كل ما هو قديم أو بعيد عن مداركهم، وكأن الله تعالى لم يخلق الخلق إلا في العصر الحاضر الذي وجد فيه هؤلاء، ومن على شاكلتهم من الأغبياء، أو أن العالم المتقدم قد أباده الله في الدنيا، ومحا آثاره، وبقيت الدنيا خالية بلا عالم مدة قرون، ثم خلق الله خلقاً آخر بعد ذلك، ثم هذا العالم الأخير أخذ يدون علوماً وتاريخاً عن العالم البائد المنفصل عنه عدة قرون، من عند نفسه، بدون أن يتمشى على سنن الكون التي قد تمشت عليها طبقات الأمم. مع أن الحقيقة تكذبهم، والواقع يُلْجِمهم، وذلك أن الناس قد خُلِقوا من زمن بعيد، وكلّ طبقة تلقت العلوم والتاريخ عن الطبقة التي

فوقها، وأملت ذلك على التي بعدها، فتوارثوا علومهم وتاريخهم بالتسلسل بعضهم عن بعض، ودونت كل أمة علومها ومعارفها وتاريخها، وتلقته عنها الأمم التي تلتها، وهذا شيء معلوم حتى عند البسطاء من الناس، فلو كان عندهم من العقل مثقال ذرة لفهموا سبب إلحاد الملحدين من المسيحيين في ديانتهم المسيحية، حسبما تقدم. ولأراحوا أنفسهم من التسلح بالشك في كل ما دَوَّنه علماء الإسلام لأبناء الإسلام، حيث ليس ثمة محل للشك والتردد في ذلك، لكن ﴿مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ له﴾[1]، فإذا كان قصد هؤلاء المجددين ـ على زعمهم ـ أنهم مجددون لما كان في الأزمان السالفة، والعصور البائدة. من تطرف وبذاءة وقحة وتمرد على الدين الإسلامي، ومكابرة للحقائق، ولباس القبيح ثوباً مزركشاً، وطلاء المنبوذ لوناً زاهياً، لِيُضَلِّلُوا به على البسطاء والأغبياء، ويَغُرُّوا الجهلاء، ويُظْهِروا لهم المنبوذ بشكل قَشِيب، فهذا مما لا ننكره عليهم، ولا شك أنهم مصدره، وهم به أجْدَرُ، وله أهْلٌ، حيث إن تَتَبُّعَ الحقائق من أشدّ الأمور عليهم وعلى أمثالهم مَشقَّة، لأن أهله قليلون، ونُصراءه في كلّ زمان ومكان أقلّ من القليل. وأما الباطل فنصراؤه كثيرون، وأهله أكثر. وعلى كل حال، فالحق منصور، والباطل مخذول، ولو طال عليه الأمد. ولا نريد بذلك التحامل على هؤلاء المغرورين لكون مذهبنا غير مذهبهم، وإنما نريد إظهار الحقيقة مجردة، ونكشف الغطاء عن حالتهم المتسترة تحت ظلمات الجهل العميق، ليراها كل من نور الله بصيرته، وألهمه رشده، وجعله من الذين يفقهون القول فيتبعون أحسنه. والله ولي التوفيق.

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٨٦،

التاريخ في الإسلام

كان بنو إسماعيل عليه السلام يُؤَرخون من بنيان الكعبة إلى وفاة كَعْب بن لُؤَيّ. ثم أرخت العرب بوفاة كعب بن لؤى ـ الجد الثامن للنبي ﷺ. وكان بينه وبين مبعث النبي ﷺ خمسمائة وستون سنة[1]، وكان معاصراً لنبي الله عيسى عليه السلام ـ إلى عام الفِيل. ثم أرَّخوا بعام الفيل، إلى البعثة، ثم بالبعثة إلى الهجرة، ثم من الهجرة ابتدأ التاريخ الإسلامي.

روى ابن جريرٍ في تاريخه، عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «كان التاريخ في السنة التي قدم فيها رسول الله ﷺ المدينة» اهـ. وقال ابن شِهاب الزُّهْرِيّ: «إن النبي ﷺ لما قدم المدينة، وقدمها في شهر ربيع الأول، أمر بالتاريخ» اهـ.

وكانت القضايا التي اتفقت للنبي ﷺ وجعلت الصحابة يفكرون. بأيها يبتدئون التاريخ، هي: الولادة والمبعث، والهجرة. فترجح عندهم أن يكون التاريخ من الهجرة، لأن الهجرة كانت حدّاً بين الضعف والقوةِ، والحقِّ والباطل، فقبل الهجرة كانت صلاتهم سرّاً. وبعد الهجرة صارت صلاتهم جِهاراً. وبَنَوْا المساجد، وَجمّعوا الجُمعة، وابتدءوا بأخذ الثأر

---

(١) هذا الكلام فيه نظر فبين ميلاد المسيح وميلاد نبينا عليهما الصلاة والسلام ٧٥ سنة، فكيف على هذا القول قبل ميلاد المسيح، وإلا فمعاصرته قبل نبوته عليه السلام. [المصحح].

وإعلان إسلامهم وإيمانهم على رُؤوس الأشهاد، ومقاومة المعتدين، وكَسْر شوكة الظالمين.

وأما كونهم جعلوا أول السنة المحرم، مع أن الهجرة كانت في ربيع الأول، فلأن شهر المحرم كان بعد بيعة الأنصار الأخيرة، وفيه ابتداء الهجرة للصحابة، وصح عَزْم النبي ﷺ على الهجرة. فتناسب أن يجعل أول المحرم من سنة الهجرة مُبْتَداً. وعليه فيكون مبني تاريخ الغزوات والسريات مُبتدأ من المحرم من سنة الهجرة.

وأما تنظيم التاريخ وترتيبه فقد كان ذلك في زمن عمر بن الخطاب.

الإذن في القتال

من سنن الله سبحانه وتعالى في خلقه أن جعل لقبول الحق طريقين: الطريق الأول بالتفاهم، والطريق الثاني بالقوة، فالعاقل المنصف يقبل الحق بالتفاهم، أما الأحمق العنود فلا يفهم الحق إلا عن طريق القوة، ولذلك قد صبر النبي ﷺ على كفار قريش ومن على شاكلتهم صبرَ الكريمِ الحليم الحكيم، الذي يريد لأُمته الهداية والصلاح، والسعادة والنجاح، والرفعة والسؤدد والتقدم والرقي الفلاح، حتى لم يبقَ للصبر محل، ولا للمداراة مكان.

نَصَح فَوُبِّخَ، وأَرشَد فاستُهزِىء به، وأَنذر فأُوذِيَ. قال: اتقوا الله. قالوا له: مجنون. قال: اعبدوا الله. قالوا: أتجعل الآلهة إلٓهاً واحداً؟ أتى بالمعجزة، قالوا: ساحر، قرأ عليهم القرآن، قالوا: شاعر مجنون. فصبر كما أمره الله تعالى بقوله: ﴿**فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو العَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ**﴾[1] ودعاهم إلى الهدى والرشد والصلاح حسب

---

(١) سورة الأحقاف، الآية: ٣٥.

إرشاد ربه بقوله: ﴿أدْعُ إلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[1] فما كان منهم إلا العنف والشّدّة عليه وعلى أصحابه مدة إقامته بينهم ثلاث عشرة سنة، حتى اضطروهم إلى الهجرة أولاً وثانياً إلى الحبشة، وأخيراً إلى المدينة، وقد هدى الله تعالى الأنصار إلى الإسلام، وملأ قلوبهم بالإيمان، رغماً عن اليهود الذين بذلوا كل ما في وسعهم من ضروب الغدر والمكر والخدعة، في صدِّ دعوة رسول الله ﷺ وإبعاد الأوْس والخزرج عن متابعته، واستمالة زعيم المنافقين ابن أبي ابن سَلُول إليهم، وقد قام الأخير بدوره، فقام يُثَبِّط بقيَّةَ الأوس والخزرج، ويُفكِّك عُراهم، حتى نَجَمَ النفاق فيهم، وكانوا قريباً من اليهود إن لم يكونوا مثلهم، فما زاد ذلك الأنصارَ إلاَّ قوةً في الإيمان على قوتهم التي هم عليها، ومفاداتهم للنبي ﷺ. فجاء الإذن للنبي ﷺ بالجهاد وأخذ الثأر بقوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾[2] وقوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُم ولاَ تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ المُعْتَدِينَ * واقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُم وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ القَتْلِ وَلاَ تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ المَسْجِدِ الحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُم فاقتلوهم كَذَلِكَ جَزَاءُ الكَافِرِينَ * فَإِنَّ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفورٌ رَحِيمٌ * وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوا فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾[3]. وكان من الحكمة في مبادرة رسول الله ﷺ وأصحابه لقريش بالقتالِ والغزوِ أن لا يكون لهم طمع في متابعتهم الأذى له ولأصحابه إلى المدينة وغزوه فيها، كما فعلوا بهم في مكة وتبعوا

---

(١) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

(٢) سورة الحج، الآيتان: ٣٩ و ٤٠.

(٣) سورة البقرة، الآيات: ١٩٠ ـ ١٩٣.

أصحابه إلى الحبشة ولم ينجحوا، وهي سنة الله في خلقه، إذا كان الإنسان ضعيفاً توصَّلَ أهلُ الشرِّ إليه بِشَرِّهم، وإذا كان قوياً تباعدوا عنه وتجنَّبوا طريقه. ولما انضم بَعضُ قبائل العرب إلى قريش، واتَّحدوا معهم على قتال رسول الله ﷺ وأصحابه، أذن له في قتال المشركين كافَّة، كما يريدون قتاله كافة بقوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا المشْرِكِينَ كَافَّةً كما يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً﴾[1] وقع الجهاد لعموم المشركين مأذوناً فيه لرسول الله ﷺ.

فأخذ رسول الله ﷺ في إعدادِ العُدَّة، وتنظيم الجيوش، وبعث البعوث، وإرسال السرايا، ثم الخروج بنفسه، وذلك لأن بعض النفوس لا يُصلحها النُّصح والإرشاد، ولا يؤثِّر فيها المعروف والتوادّ، ولا تفهم للوعظ قيمة، ولا تقيم للإصلح وزناً، فأمثال هذه النفوس لا يصلحها إلا السيف، لأنها جُبلت على الشر، كما أن النفس الطيبة لا يصلحها إلا الكَلِمُ الطيِّب والعمل الصالح، ويؤثر فيها النصح والإرشاد أكثر من تأثير السيف، لو استعمل لها السيف بدل الكلم الطيب لأثار فيها بأساً كان كامناً، وشدَّة كانت خَفِيَّةً، ولجعل لها شجاعةً وَوُثوباً على ذلك السيف الذي جُرِّد لها، فترُدّه في غِمده، أو تُغْمِده في صدر حامله، ولهذا أمثال كثيرة قد أثبتها التاريخ.

فهؤلاء الصحابة رضي الله عنهم ـ من مهاجرين وأنصار ـ قد أثر فيهم نصحُ رسول الله ﷺ وإرشاده. ولم تؤثر فيهم مقاومة المشركين لهم بالتعذيب والإيذاء، بل جعلت فيهم أنفساً أبِيَّةً، وشَمماً عالياً، حتى صار الرجل يَصْرَعُ أباه وأخاه في حومة الوغي، دفاعاً عن دينه، وشممه، وعزة نفسه، بغير أن يجعل للقرابة قيمة أمام دينه، وشرفه وشهامته، فقد أصلح السيف المعاندين من كُفَّار قريش، فأباد المعاند، وأعاد من سلم منهم إلى رشده، فآمن وأسلم، وحَسُن إسلامُه. فالطِّيبات للطيِّبين.

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٣٦.

الغَزْوة، والبعثة، والسَّرِيَّة

قد اصطلح أصحاب السِّيَر، والتاريخ، على أن الغزوة هي: خروج النبي ﷺ بنفسه إلى الحرب، ويكون هو القائد العام للجيش.

والسَّرِيَّة هي: خروج الجيش ليلاً تحت قيادة أحد المسلمين، ويكون خروجه سِرّاً. وكذلك القطعة من الجيش تخرج منه إلى جهة معينة ثم تعود إليه.

والبَعْثَة هي: أن يُبْعَثَ رَجُلٌ واحد أو جماعة إلى شخص معين أو جهة معينة.

أما غزواته ﷺ فكانت سبعاً وعشرين غزوةً قاتل بنفسه الشريفة في تسع منها، وهي:

(١) بَدْر الكبرى	(٢) أحد	(٣) المُرَيْسِيع
(٤) الخندق	(٥) قُرَيظة	(٦) خَيْبر
(٧) فتح مكة	(٨) حُنَين	(٩) الطائف.

وكانت بعوثه وسراياه التي بعثها وأرسلها سبعاً وأربعين سَرِية وبعثة.

وصاياه ﷺ للجيوش

كان رسول الله ﷺ إذا بعث البعوث وأسرى السرايا أَمرَّ عليها الأمراء، وأوصاهم في خاصة أنفسهم وبمن معهم خيراً. ثم قال: «اغْزُوا بِسْمِ اللَّه، في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا، ولا تَغُلُّوا، ولا تَغْدِرُوا ولا تُمَثِّلوا. ولا تقتلوا وَليداً، وإذا لقيت عَدُوَّك من المشركين فادْعُهُمْ إلى ثلاثِ خصال، فأَيَّةً ما أجابوك فاقْبَلْ منهم، وكُفَّ عنهم، ثم ادْعُهم إلى الإسلام، فإن أجابوك فاقبل منهم وكُفَّ عنهم، ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى

دار المهاجرين، وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين، وعليهم ما على المهاجرين، فإن أَبَوْا أن يَتحوَّلُوا منها فأخبِرْهم أنهم يكونون كأعرابِ المسلمين. يجري عليهم حُكْمُ الله الذي يَجْرِي على المؤمنين، ولا يكون لهم في الغنمية والفَيْءِ شيءٌ إلا أن يجاهدوا مع المسلمين، فإن هم أَبَوْا فسَلْهُمُ الجِزْية، فإن أجابوك فاقبل منهم، وكُفَّ عنهم، فإن أَبَوْا فاسْتَعِنْ بالله وقاتِلْهُمْ، وإذا حاصَرْتَ أَهْلَ حِصْن فأرادوكَ أن تجعلَ لهم ذِمَّةَ الله وذِمَّةَ نبيه ﷺ فلا تجعل لهم ذِمَّة الله ولا ذِمَّة نَبِيِّه، ولكن اجعَلْ لهم ذِمَّتك وذِمَّةَ أصحابِك، فإنكم أَنْ تُخفِروا ذِممكم وذِممَ أصحابكم، أَهْوَنُ من أن تُخفروا ذِمَّة اللَّهِ وذِمَةَ رسوله. وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أَنْ تُنْزِلهم على حُكْمِ الله فلا تنزلهم على حكم الله، ولكن أَنْزِلْهم على حُكْمِك، فإنك لا تدري أَتصيبُ حُكمَ الله فيهم أم لا» وقال: «بَشِّرُوا ولا تُنَفِّرُوا، ويَسِّروُا ولا تُعَسِّروا، وتَطاوَعُوا ولا تَختلفوا، ولا تَقتلوا النساءَ والصبْيانَ» اهـ[1].

فتأمل هذه النصيحة الثمينة، وهذه الوصية القيمة للجيش المحارب القادم على قتالِ عَدُوّ ألدَّ لا يَدْرِي ما يُكِنُّه صَدْرُه له، وما يُضْمِره عليه، إذا كانت الغلبة له عليه، هل يُعامله بمثل ما أوصى به، أو يعامله ـ متى فاز ـ بما يَغْلِي في صدره من البغض والحقد والحسد، فلا يرحم كبيرهم، ولا يَرِقُّ لِصغيرهم، بل يمثل بهم شَرَّ مُثْلَة، كما فعل المشركون بقتلَى أُحُد. والصحيح أنه لا يُقاس من بُعث للخير والصلاح بمن ثار للحَمِيَّة الجاهلية وهَوى النفسِ. ومن ذلك يتبيَّنُ الفرقُ لمن أنار الله بصيرته بين المصلح والمفسد.

---

(١) هذه الوصايا مجموعة من روايتين ومأخوذة عن سيرة سبيل الهدى والرشاد وأصلها في صحيح مسلم.

يقول بعض المستشرقين والمبشرين من الغربيين ومن قلدهم من ملاحدة العصر الشرقيين تقليداً أعمى: إن نبي الإسلام خرج بأولئك الأعراب الهمج، وعلا رِقاب الأُمم بسيفه البتَّار، وأكرههم على الدخول في الإسلام.

فنقول لهم: إن التاريخ قد دَوَّن عنا وعنكم، وسجَّل أعمالنا وأعمالكم، فسجل لنا هذه النصيحة النبوية الثمينة لقواد جيشنا، وقد عملوا بها وسادوا على غيرهم بموجبها، ونجحوا في عموم غزواتهم بتطبيقها. وسجل لقواد جيوشكم، ولأقطاب سياستكم المتمدنين والعريقين في التمدن ـ على زعمكم ـ أنهم إذا هاجموا بلدة من البلدان، أو مدينة من المدن، أو قرية من القرى، أمطروها بوابل طياراتهم ناراً حامية، وغازات خانقة، وقذفوا عليها قنابل مدافعهم الضخمة، فهدموا المنازل قبل الحصون، والبيوت قبل الثكنات، وقتلوا الأبرياء قبل المجرمين، والنساء قبل الرجال، والمتجولين في الشوارع قبل الجنود المقاتلة. والحبالى قبل الثكالى، والرضَّع قبل الفُطَّم، والمرضى قبل الأصحاء، فلا يصغون لاستجارة المستجير، ولا يرِقُّون لنحيب المرأة وبكاء الطفل الصغير. ولم يكن للشفقة في قلوبهم مكان، ولا للرحمة موضع. فضمائرهم ميتة، ونفوسهم شَرِسَة، وقلوبهم مُتحجِّرة، وأرواحهم خبيثة، وطباعهم رديئة، لا يعرفون للرب القاهر فوق عبادة خوفاً، ولا للشرف معنىً، ولا للمروءة قيمةً، ولا للإنسانية ثمرةً، أليس ذلك بصحيح؟ أو لم تكن هذه أعمالهم في حروبهم المتمدنة؟ ألم يَعُدُّوا ذلك من الحكمة والفوز العظيم؟ لأي مصلحة من مصالح العمران فعلتم أفاعيلكم الشنيعة بإخوانكم في الإنسانية وبأبناء جِلْدَتكم في المدنية؟ أليس لغرض سياسي منشؤه الاستعمار، وحب الذات، وتقديس النفس على غيرها، وسُنَنكم التي سننتموها للقويِّ على الضعيف: والمتسلّح على الأعزل؟ أهذا التمدن الذي ترفعون به عَقِيرتكم، وهذا الإصلاح الذي تَعُدُّونه مَفخرةً لكم على البشر وتَسودون به غيركم؟ ثم

بعد هذا كلّه تقولون بغير حق: إن نبي الإسلام أكره العالم على الدخول في الإسلام بالسيف؟ والله إنكم رميتم الإسلام بدائكم ثم انسللتم، ولكن عين السخط والحسد جعلتكم تقولون في الإسلام ونبي الإسلام غير الحق.

ألا أيها المصابون بمساوىء الدهر، أنصِفُوا من أنفسكم قبل أن يُنْصِف ربُّ الإنسانية منكم، وأفيقوا قبل أن يغشاكم رَيْبُ المَنُون، وأنتم في ظلمات الغيِّ تَسْبحون، ثم تُبعثون فلا تجدون مُسَوِّغاً لأعمالكم، ولا مُبَرِّراً لأفعالكم: **﴿يَوْمَ تَرَوْنَها تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاس سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾**(١).

سَرِيَّة حَمزةَ بِن عبد المطلب إلى سيف البحر(٢)

كانت سريَّةُ حمزةَ بن عبد المطلب رضي الله عنه أوَّلَ سريّة بَعثها رسول الله ﷺ. وهي أول مَظهر من مظاهر القوة في الإسلام. وذلك بعد مقدَمه المدينة بسبعة شهور. وكانت في شهر رمضان من السنة الأولى للهجرة إلى سِيف البحر، فأمَّره على ثلاثين راكباً من المهاجرين، ليس فيهم أحدٌ من الأنصار. وعقد له لواءً أبيض، حمله مَرْثَد الغَنَويُّ، فخرجوا يعترضون عِيرَ قريش، فبلَغوا سِيف البحر من ناحية العِيصِ - وهو واقع غرب المدينة - فلقي أبا جهل بن هشام بذلك الساحل قريباً من يَنْبُع البحر في ثلاثمائة راكب من أهل مكة، فحجز بينهم مَجْدِيُّ بن عَمرو الجُهَنيُّ، وكان مُوَادِعاً للفريقين جميعاً، فانصرف القومُ بعضهم عن بعض، فقالَ حمزة رضي الله عنه قصيدة منها:

أَلَا يَا لَقَوْمِي لِلتَّحَلُّم وَالَجهْلِ ... وَللنَّقْصِ مِنْ رَأْيِ الرِّجالِ وَلِلْعَقْلِ

---

(١) سورة الحج، الآية: ٢.

(٢) انظر المواهب اللدنية ١: ٣٩٠ وسيرة ابن هشام جـ٢ ص ٢٤٥.

وَلِلرَّاكِبِينَـا بِـالمـظَالِم لَمْ نَـطَأْ لَهُمْ حُرُمات مِنْ سَوامٍ وَلا أَهْلِ
كـأنَّـا تَبَلْنَـاهُمْ وَلَا تَبْـلَ عِنْـدَنَـا[1] لَهُمْ غَيْـرَ أَمْرٍ بـالعفافِ وبـالعَدْلِ
وَأَمْـرٍ بـإِسْـلامٍ فـلاَ يَقبـلُونَـه وَيـنْـزِلُ منهم مِثْلَ مَنْـزِلَـةِ الهَـزْلِ
فمَـا بَرِحُـوا حَتَّى انْتَـدَبْتُ لِغَـارَةٍ لهمْ حَيْثُ حَلُّوا أَبْتَغِي رَاحَةَ الفَضْلِ
بِـأَمْرِ رَسُـولِ اللَّهِ أَوَّل خَـافِقٍ عليه لِوَاءٌ لَمْ يَكُنْ لَاحَ مِنْ قَبْـلِ
لِـوَاءٌ لَدَيْـهِ النَّصْرُ مِن ذِي كَـرامةٍ إِلٰـهٍ عَـزِيـزٍ فعْلُهُ أَفْضَـلُ الفِعْـلِ
عَشِيَّـةَ سَـارُوا حـاشِـدِينَ وَكلُّنـا مَـراجِلُهُ مِنْ غَيْظِ أَصْحَابِـهِ تَغلي
فَلَمَّـا تَـراءَيْنَـا أَنَـاخُـوا فَعَقَّلُوا مَطَايَا وَعَقَّلْنَا مَدَى غَـرَضِ النَّبْلِ
فقُلْنَا لَهُمْ حَبْـلُ الإِلٰـه نَصِيـرُنَـا وَمَـا لَكُمُ إلاَّ الضَّلالَـةُ مِنْ حَبْـلِ
فَثـارَ أَبُو جَهْـلٍ هُنَالِـكَ بَـاغِيـاً فَخـابَ وَرَدَّ اللَّهُ كَيْدَ أَبي جَهْـلِ
فَيَالَلُؤيٍّ لا تُطيعُوا غُوَاتَكُمْ وَفِيئُوا إِلَى الإِسلاَمِ والمَنْهَجِ السَّهْلِ
فَـإِنِي أَخَـافُ أن يُصَبَّ عَلَيْـكُمُ عَذَابٌ فَتَدْعُـوا بِالنَّـدَامَةِ والثُّكْـلِ

فرجع حمزةُ رضي الله عنه ومن معه من الصحابة رضي الله عنهم إلى المدينة ولم يَرَ كَيْداً.

سرية عبيدة بن الحارث إلى رابغ[2]

بعث رسول الله ﷺ عُبيدة بن الحارث بن المُطَّلِب ابن عم أبيه إلى بطن رابغَ، على بُعد نحو مـائةٍ وخمسين ميـلاً من المدينـة، وهي واقعة جنوب المدينة بغرب، وذلك في شهر شوال من السنة الأولى على رأس ثمانيةِ شهور من مقْدَمَه المدينة، أَمرَّه على ستين راكبـاً من المهاجـرين، وليس فيهم من الأنصار أحد، وعقد له لواءً أبيض، حمله مِسْطَحُ بنُ أُثَاثَة

(١) صححت في سيرة ابن هشام «تبلناهم ولا تبل علينا».
(٢) انظر المواهب اللدنية ١ : ٣٩١ وسيرة ابن هشام ٢ : ٢٤١ .

حتى أتى ماءً بأسفل ثنية المُرَّة نحو رابغ، فلقى بها أبا سُفيانَ بنَ حَرْب في مائتيْ مُقاتل من قريش، فلم يَحْصل بينهم قِتال غير رمي بالنبـال، فرمى سعدُ بن أبي وقاصٍ رضي الله عنه يومئذ بِسَهْمٍ، فكان أوَّلَ سهمٍ رُمِيَ به في الإسلام، ثم انصرف القوم ولم يلقَوْا كيـداً، وفرَّ من المشـركين إلى المسلمين المِقدَادُ بن الأسود الكنديُّ الحضرميُّ، وعُتْبَةُ بن غَزْوَانَ المازنيُّ، وكـانا من السـابقين الأوَّلين، وإنما خـرجا مـع المشركين ليتـوصَّـلا إلى المسلمين. وقال سعدُ بن أبي وقاص في رميته بالنبلِ شعراً منه.

أَلاَ هَـلَ أتَـى رَسُـولَ اللَّهِ أنـي ... حَمَيْتُ صَحَـابَتي بِصُـدُورِ نَبْلي
وَذَلِـك أنَّ دِينَـك دِينُ صِـدْقٍ ... وَذُو حَـقٍّ أَتَـيْـتَ بـه وَعَـدْلِ
يِنَجِّي المـؤْمِنـينَ بـه وَيَـجْـزِي ... بـهِ الكُفَّـارَ عِنْـدَ مَقامِ سَهْـلِ

سرية سعد بن أبي وقاص إلى الخَرَّار[1]

بعث رسول الله ﷺ سعدَ بنَ أبي وقَّاصٍ رضي الله عنه إلى الْخَرَّارِ، وهو وادٍ بالحجاز قريب من رابغ، في شهر ذي القعدة، على رأس تسعة شهور من مَقدَمه المدينة من السنة الأولى للهجرة. وعقد له لِواءً أبيض، حَمله المِقْـدادُ بن الأسود، وأمَّـرَه على عِشرينَ رجـلاً من المهـاجـرين، ليعترض عِيراً لقريش، فخرجوا على أقدامهم، فصَبَّحُوها بعد خمسة أيام. فوجدوا العِير قد مَرَّت بالأمس، فرجعوا ولم يَلْقَوْا كَيْداً.

(١) انظر المواهب اللدنية جـ ١ ص ٣٩٢ وسيرة ابن هشام جـ ٢ : ٢٥١ .

حوادث السنة الأولى

نذكر هنا الحوادث الوجيزة التي لا تحتاج إلى فصل مخصوص، فمنها: أنه تُوفِّي كلثوم بن الهدم، وهو الذي نزل عليه رسول الله ﷺ حين قدم المدينة بقباء، وهو أول من توفي من المسلمين بعد قدوم النبي ﷺ. ثم توفى بعده أَسْعَد بن زُرارة، وكانت وفاته بمرض الذبْحَة والشَّهْقة قبل أن يفرغ رسول الله ﷺ من بناء مسجده، وكان نَقِيبَ بني النجَّار. فلما مات اجتمعت بنو النجار إلى رسول الله ﷺ. وطلبوا أن يُقيم لهم نَقِيباً. فقال لهم: «أنتم أخْوَالي وأنا منكم، وأنا نقيبكم». فكان فضيلةً لهم.

وفي هذه السنة مات أبو أُحَيْحَة بالطائف. ومات الوَليد بن المُغيرة، والعاص بنُ وائل السهميّ بمكة مُشركين.

وفي هذه السنة وُلِدَ عبدُ الله بن الزُّبَير، وهو أولُ مولود وُلِدَ للمهاجرين بالمدينة. وفيها وُلِد النُّعمان بن بَشِير الأنصاري، وكان أوَّل مولودٍ للأنصار بعد الهجرة.

غزوة ودَّان (الأبواء)[1]

فلما كان أول شهر صفر من السنة الثانية للهجرة وعلى رأسِ إثني عشر شهراً من مقدمه المدينة غزا رسول الله ﷺ، وهي أوّل غَزوةٍ غزاها رسولُ الله ﷺ. وأول مَرَّة حمل السيفَ في يده[2]. وأول يوم جاهد في

(١) انظر المواهب اللدنية جـ ١ ص ٣٩٢ وسيرة ابن هشام ٢ : ٢٤١.

(٢) هذا الكلام يحتاج إلى تحقيق [المصحح].

سبيل الله تعالى[1]. وكان يريد عِيرَ قُريش بنفسه. فخرج ﷺ في ستين رجلاً من المهاجرين. وحمل اللواءَ حمزةُ بن عبد المطلب رضي الله عنه، واستعمل على المدينة: سَعْدَ بن عُبَادَة الأنصاريَّ رضي الله عنه. فلما وصل الأَبواءَ ـ وهي على ثلاثة وعشرين ميلاً من المدينة وتقع شمال المدينة بغرب من عمل الفرع، وهي قرية من وَدَّان ـ لم يلقَ عِيرَ قريش، والتقى ببني ضَمْرَة، فعقد رَئيسهُم بينهم وبين رسول الله ﷺ مُوَادعة، ورئيسهم مَخْشِيُّ بن عَمْرو الضَّمْريّ، على أنهم لا يغزونه، ولا يُكَثِّرون عليه جَمْعاً، ولا يُعِينون عليه عَدُوّاً. فرجع رسول الله ﷺ إلى المدينة، ولم يلقَ كَيْداً، وكانت غيبته خمسة عشر يوماً.

غزوة بواط[2]

فلما رجع رسول الله ﷺ من غزوة الأبواء مكث في المدينة بقية شهر صَفَر، وخرج من أول ربيع الأول من السنة الثانية للهجرة في مائتين من أصحابه المهاجرين، وحمل اللواءَ سعدُ بن أبي وقاص رضي الله عنه، واستعمل على المدينة السائبَ بن عثمان بن مَظعون رضي الله عنه، فلما وصل بُواطَ ـ وهو جَبَلٌ واقع شمال المدينة بغرب من ناحية جبل رَضْوَى من جبال جُهَينةُ ـ يعترض عِيرَ قُريش فيها أُمَيَّة بن خَلَفٍ الجُمَحِيّ ومائةُ رجل من قريش وألفان وخمسمائة بَعَيرٍ، فوجد العير قد فاتته، فرجع ولم يلقَ حرباً.

غزوة العُشَيْرَة[3]

العُشَيْرة قريةٌ من وادي يَنْبُعِ النخْلِ، وهو يحتوي على

---

(١) هذا الكلام يحتاج إلى تحقيق. [المصحح].

(٢) انظر المواهب اللدنية جـ١ ص ٣٩٣ وسيرة ابن هشام ٢ : ٢٤٨.

(٣) انظر المواهب اللدنية جـ١ وسيرة ابن هشام ٢ : ٢٤٨.

خمس وعشرين عَيْناً بخيوفها في العصر الحاضر، وهذه أسماؤها من الشرق إلى الغرب: (١) المبارك (٢) البركة (٣) القرية (٤) المزرعة (٥) عين النوى (٦) العلقمية (٧) عين عجلان (٨) السكوبية (٩) الجابرية (١٠) عين سلمان (١١) عين علي (١٢) الشعثة (١٣) الحارتية (١٤) عين جديد (١٥) خيف فاضل (١٦) الفجة (١٧) عين علي (وهي عين ثانية) (١٨) عين حسين (١٩) عين حسن (٢٠) البسيرة (٢١) البثنة (٢٢) خيف حسين (٢٣) النجيل (٢٤) مدسوس (٢٥) البقاع. هذه أسماء الخمسة والعشرين خيفاً الموجودة الآن (وأما العُشيرة) فقد اندمرت مع غيرها من العيون والخيوف التي قد اضمحلّت بسبب عدم وجود الأيدي العاملة. قال ياقوت في معجمه: بوادي ينبع مائةٌ وسبعون عيناً. وذلك في عصره. وربما يكون في الوقت الذي قبله أضعاف ما ذكر.

ثم مكث رسول الله ﷺ بعد رجوعه من بواط شهر ربيع الآخر وبعض جمادى الأولى، وخرج رسول الله ﷺ في جُمادى الأولى من السنة الثانية للهجرة في مائة وخمسين رجلاً من المهاجرين، معهم ثلاثون بعيراً يَعتِقُبونها، يُريد عِيرَ قُريش، وحمل لواءه الأبيضَ حمزةُ بن عبد المطلب رضي الله عنه، واستعمل على المدينة أبا سَلَمة بن عبد الأسَد، فسلك طريقاً على نَقْب بني دِينار ثم على فَيْفاءِ الخِيار، فنزل تحت شجرة ببطحاء ابن أزهر، يقال لها: ذات الساق، فصلى عندها، وابتنى مسجداً، واستسقى من ماء هناك يقال له: المُشْتَرَبُ، وصُنِع له طعام عندها، فأكل منه وأكل الناس معه، ثم ارتحل ﷺ وسلك شُعبة يقال لها: شُعبة عبد الله، حتى هبط يَلْيَلَ، فنزل بمجتمعِه ومُجتمع الضَّبُوعة واستقى من بئرٍ بها، ثم سلك الفَرْشَ فرْشَ مَلَلٍ حتى لقي الطريق بِصُحَيْرات اليمام، ثم اعتدل به الطريق حتى نزل العُشَيْرة من بطن يَنبع من أرض جُهينة، فأقام بها جُمادى الأُولى وليالِيَ من جُمادى الآخِرة، يريد عِيرَ قريش، حيث كانت أعظم قافلة اجتمع فيها من أموال قريش، وكان رئيسَ الحملة أبو سفيان بن حربٍ ومعه

بضعة وعشرون رجلاً، فوجد، العِير قد مَضتْ. وتصالح مع بني مُدْلِج من كِنانة، ويقال لهم: بنو ضَمْرة، فكتب رسول الله ﷺ شروط الصلح وهي:

«بسم الله الرحمن الرحيم، هـذا كتابٌ من محمـدٍ رسولِ الله لبني ضمْـرة بأنهم آمِنـون[1] على أموالهم وأنفسهم، وأن لهم النصـرَ على من رامَهُمْ، أن لا يحاربوا في دين الله، ما بَلَّ بَحْرٌ صُوفه»[2] وأن النبي إذا دعاهم لنصر أجابوه، عليهم بذلك ذمة الله وذمة رسوله» ثم رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة ولم يلقَ كَيْداً.

غزوة بَدْر الأولى[3]

لما رجع ﷺ من غزوة العُشَيرة، وبعد عشرة أيام، أغار كُرْزُ بن جابرٍ الفِهريُّ على سَرْحِ المدينة، فُخـرج رسول الله ﷺ في طلبـه، واستعمل على المدينة زيدَ بنَ حارثة رضي الله عنه، وحمل اللواءَ عِليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه، حتى بلغ وادياً يقال له: سَفوَان من ناحية بدر. وفاته كُرْزُ بن جابر فلم يدركه، ثم رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة ولم يلقَ كَيْداً.

سرِيَّة عبد الله بن جَحْش إلى نَخلْة[4]

بعث رسول الله ﷺ عبدَ الله بن جَحْشٍ رضي الله عنه في شَهر رجب من السنة الثانية للهجرة، وبعث معه ثمانية رجال من المهاجرين، وكتب له كتاباً، وأمَرَه ألاَّ ينظر فيه حتى يَسِير يومين ثم ينظر فيه فيمضي لما أمره به، ولا يَسْتَكْرِه من أصحابه أحداً، وكان أصحابـه: (١) أبا حُـذَيفة بن عُتْبـة

(١) قال في المواهب اللدنية: «بأنهم» بالباء الموحدة كما هو المنقـول في الروض وغيره ووقع في نسخ «فإنهم» بالفاء وفي توجيهها عسر.
(٢) كناية عن تأييد مناصرتهم، إذ معلوم أن ماء البحر لا ينقطع.
(٣) انظر المواهب اللدنية ١: ٣٩٦ وسيرة ابن هشام ٢: ٢٥١.
(٤) انظر المواهب اللدنية ١: ٣٩٧ وسيرة ابن هشام ٢: ٢٥٢.

(٢) عُكَّاشَة بن مِحْصَن (٣) عُتْبَة بن غَزْوَان (٤) سعْد بن أبي وقَّاص (٥) عامر بن رَبيعة (٦) واقد بن عبد الله (٧) خالد بن البُكَير (٨) سُهْيل بن بيضاء. فلما سار عبد الله بن جحش يومين فتح الكتاب فنظر فيه فإذا فيه: «إذا نظرت في كتابي هذا فامضِ حتى تَنْزِل نَخْلَةَ بين مكة والطائف، فَترْصد بها قُرَيْشاً وتعلم لنا من أخبارهم» فلما نظر عبد الله بن جحش في الكتاب قال: سمعاً وطاعة، ثم قال لأصحابه. قد أمرني رسول الله ﷺ أن أمضي نخلة أرصد بها قريشاً، حتى آتيه منهم بخبر، وقد نهاني أن أستكره أحداً منكم، فمن كان منكم يريد الشهادة ويرغب فيها فلْينطلِقْ، ومن كره ذلك فليرجعْ. فأما أنا فماضٍ لأمر رسول الله. فمضى، ومضى معه أصحابه، لم يتخلف عنه منهم أحد، وسلك على الحجاز، حتى إذا كان بمَعدن فوق الفُرُعِ يقال له: «بحران» أضلَّ سعدُ بن أبي وقاص وعتبةُ بن غَزْوان بعيراً لهما كانا يعتقبانه، فتخلَّفَا عليه في طلبه، ومضى عبدُ الله بن جحشٍ وبقية أصحابه حتى نزل بنخلة، فمرت به عِيرٌ لقريش تَحْمل زبيباً وأدماً وتجارة من تجارة قريش، فيها عمرو بن الحضرمي، وعثمان بن عبد الله بن المغيرة وأخوه نوفل بن عبد الله المخزومِيَّان، والحَكَم بن كَيْسان مولى هِشام بن المغيرة، فلما رآهم القومُ هابوهم وقد نزلوا قريباً منهم، فأشرف لهما عُكّاشة بن محصَن، وكان قد حلق رأسه، فلما رأوه أمِنُوا وقالوا: عُمَّارٌ، لا بأس عليكم منهم، وتشاور القوم فيهم، وذلك في آخر يوم من رجب فقال القوم: والله لئن تركتم القوم هذه الليلة ليدخلن الحرم فليمنعُنَّ منكم به، ولئن قتلتموهم لتقتلُنَّهم في الشهر الحرام، فتردَّد القوم وهابوا الإقدام عليهم ثم شجَّعوا أنفسهم عليهم، وأجمعوا على قتل من قدروا عليه منهم، وأخْذِ ما معهم، فرمى واقد بن عبد الله التميمي عمرو بنَ الحضرمي بسهم فقتله، واستأسر عثمان بنُ عبد الله والحكمُ بنُ كيسان، وأفلتَ القومَ نوفلُ بن عبد الله فأعْجَزهم.

وأقبل عبد الله بن جحش، وأصحابه بالعير، وبالأسيرين، وقال

عبد الله بن جحش لأصحابه: إن لرسول الله ﷺ مما غنمنا الخَمسَ وذلك قبل أن يَفرض اللَّهُ تعالى الخُمسَ من الغنائم.

فعزلَ لرسول الله ﷺ خمسَ العِير وقسم سائرهَا بين أصحابه، فلما قدموا على رسول الله ﷺ المدينة قال: «ما أمرتُكم بقتالٍ في الشهر الحرام»، فوقف العير والإسيرين، وأبى أن يأخذ من ذلك شيئاً. فلما قال ذلك رسول الله ﷺ سُقِط في أيدي القوم، وظنوا أنهم قد هَلكوا، وعنَّفَهم إخوانهم من المسلمين فيما صنعوا، وقالت قريش: قد استحلّ محمدٌ وأصحابُهُ الشهرَ الحرام، وسفكوا فيه الدماء، وأخذوا فيه الأموال، وأسروا فيه الرجال فقال من يردُّ عليهم من المسلمين ممن كان بمكة: إنما أصابوا ما أصابوا في شعبان.

وقالت يهود تَفَاءَلُ بذلك على رسول الله ﷺ، عمرو بن الحضرمي قتله واقد ابن عبد الله، عَمْرُو: عمرت الحربُ. الحضرمي: حضرت الحرب، وواقد: وقدت الحربُ، فجعل الله عليهم ذلك لا لهم. فلما أكثر الناس من ذلك أنزل الله تعالى على رسوله ﷺ. ﴿يَسألُونَك عَنِ الشَّهْرِ الحَرَامِ قِتَالٍ فيه قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وكُفْرٌ بِهِ وَالمَسْجِدِ الحَرَامِ وإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ والفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ القَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُم عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾[1] فلما نزل القرآنُ بهذا، وبيَّنَ الله تعالى لهم فيه أن كفار قريش ارتكبوا أفظع من القتل في الشهر الحرام، وهو صدهم الناسَ عن الإيمان بالله، وإخراج النبي ﷺ وأصحابه من وطنهم مكة، وتعذيبهم المستضعفين. وإكراههم على الكفر من شدة العذاب، إنه أكبر عند الله من القتال في الشهر الحرام، وبنزول القرآن بهذه الصراحة فرَّج الله عن

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢١٧.

عبد الله بن جحش وأصحابه من المسلمين ما كانوا فيه من الكرب، فقبض رسول الله ﷺ العير والأسيرين. وبعثت إليه قريش في فداء عثمانَ بنِ عبد الله، والحكم بن كَيْسان، فقال رسول الله ﷺ: «لا نَفْدِيكُموهما حتى يَقْدم صاحبانا - يعني سعْدَ بن أبي وقاص، وعُتْبة بن غزوان - فإنا نخشاكم عليهما، فإن تَقْتلوهما نقتل صاحبيكم». فقدم سعد، وعتبةُ، ففداهما رسول الله ﷺ منهم.

فأما الحكم بن كيسان فأسلم فحسُنَ إسلامُه، وأقام عند رسول الله ﷺ حتى قُتل يوم بئْر مَعُونة شهيداً، وأما عثمان بن عبد الله فلحِق بمكة فمات بها كافراً.

فكانت هذه أول غنيمة في الإسلام، وأول خُمس أُخرِج من الغنائم قبل أن تفرض، وأول قتيل قتله المسلمون من المشركين، وأول أسير أسره المسلمون، عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان من المشركين. وأول أسير أسلم الحكَم بن كَيْسان، فقال في ذلك عبد الله بن جحش:

تَعُدُّونَ قَتْلاً فِي الحَرامِ عَظِيمةً ... وَأَعْظَمُ منه لو يَرَى الرُّشْدَ رَاشِدُ
صُدُودُكُمُ عَمَّا يَقولُ مُحمَّدُ ... وكُفْرٌ به واللَّهُ راءٍ وشَاهِدُ
وإخراجُكُم مِن مَسْجِدِ اللَّهِ أَهْلَه ... لِئَلَّا يُرىٰ للَّهِ في البَيْتِ سَاجِدُ
فَإِنَّا وإن عَيَّرْتمونا بِقَتْلِهِ ... وَأَرْجَف بالإسلامِ باغٍ وَحَاسِدُ
سَقَيْنَا مِن ابْنِ الحَضْرَمِيِّ رِمَاحَنَا ... بِنَخْلَةَ لَمَّا أَوْقَدَ الحَرْبَ وَاقِدُ
دَماً وَابنُ عبدِ اللَّهِ عُثْمانُ بَيْنَنَا ... يُنَازِعُه غُلٌّ مِنَ القِدِّ عَانِدُ[1]

(١) في المواهب اللدنية «من القيد قاعد».

غزوة بدر الكبرى[1]

وقعت غزوة بدر الكبرى يوم الجمعة لسبعة عشر من شهر رمضان سنة اثنتين من الهجرة، وذلك أن رسول الله ﷺ، سمع أن أبا سُفيانَ بن حَرْبٍ مُقبلٌ من الشام في عِيرٍ لقريش عظيمة، فيها أموالٌ لقريش وتجارة من تجاراتهم، وفيها ثلاثون رجلاً من قريش.

ومنهم: مَخْرَمة بن نَوْفل، وعَمْرو بن العاص - وهذه هي العِيَرَ التي خرج إليها رسول الله ﷺ في غزوة العُشَيْرَة إلى يَنْبع ليعترضها حينَ ذهابها إلى الشام، فمرَّت قبل وصوله وفاتَتْهُ - فلما سمع بِعَوْدتها نَدَب المسلمين إليها وقال: «هذه غيرُ قُريشٍ فيها أموالُهم، فاخْرُجوا إليها لعلَّ اللَّهَ يُنْفِلُكموها» فانتدب الناس فخفَّ بعضُهم وثقُلَ بعضهم، وذلكَ أنهم لم يَظُنُّوا أَنَّ رسول الله ﷺ يلقى حَرْباً.

ولما رجع أبو سفيان من الشام، أدرج رجلاً من جُذَامَ بالزَّرْقَاء من ناحية مَعان، فأخبره أن رسول الله ﷺ قد كان عَرَض لِعيرِه في بدايته، وأنه تركه مقيماً ينتظر رجوع العير، وقد خالف عليهم الطريق وأودعهم. فخرج أبو سفيان ومن معه خائفين المرصد، فلما دنا أبو سفيان من الحجاز، جعل يتَحَسَّس الأخبارَ، ويسأل من لقى من الركبان تخوفاً عن أمر الناس، حتى أصاب خبراً من بعض الركبان أن محمداً قد استنفر أصحابه لك ولعيرك.[1] فحذر عند ذلك، فاستأجر ضَمْضَمَ بنَ عمرو الغفارِيَّ بِعشرين مِثقالاً، فبعثه إلى مكة، وأمره أن يجدع بَعِيرَه، ويُحوِّلَ رَحلَهُ، ويَشُقَّ قَمِيصه من قُبُلِه ومن دُبُرِه، ويأتيَ قريشاً فيستنفرهم إلى أموالهم، ويخبرهم أن محمداً قد عرض لنا في أصحابه

---

(١) المواهب اللدنية ١ : ٤٠٦ وسيرة ابن هشام ٢ : ٢٥٧.

فخرج ضمضم بن عمرو لذلك الغرض.

وكانت عاتكةُ بنتُ عبد المطلب، رأت رُؤيَا قبل قُدوم ضمضم بثلاثِ ليالٍ بمكة أفزعتها، فبعثت إلى أخيها العباسِ بن عبد المطلب فقالت له: يا أخي، والله لقد رأيت الليلةَ رُؤْيَا أفزعتني، وتخوَّفْت أن يدخل على قومي منها شرٌّ ومُصيبة، فاكْتُم مني ما أُحدِّثك به. قال لها: وما رأيت؟ قالت راكباً أقبل على بَعِيرٍ له، حتى وقف بالأَبْطَح، ثم صرخ بأعلى صوته: ألا انفروا يا آل غُدَرَ لِمَصارعكم في ثلاث: فأرى الناس اجتمعوا إليه، ثم دخل المسجدَ والناس يتبعونه. فبينما هم حوله مَثلَ به بعيرهُ على ظهر الكعبة، ثم صرخ بمثلها: ألا انفروا يا آل غُدَر لمصارعكم في ثلاث، ثم مَثَلَ به بعيرهُ على رأس أبي قُبيس، فصرخ بمثلها، ثم أخذ صخرةً فأرسلها، فأقبلت تهوي، حتى إذا كانت بأسفلِ الجبل ارْفَضَّت[1] فما بقي بيتُ من بيوت مكة ولا دارٌ إلَّا دخلَتها منها فلْقة. قال العباس. والله إن هذه لرؤيا، وأنت فاكتُميها ولا تَذْكُريها لأحد.

ثم خرج العباس فلقى الوليدَ بن عُتبة بن رَبيعة، وكان له صديقاً، فذكرها له واستكتَمه إياها، فذكرها الوليدُ لأبيه عتبة. ففشى الحديثُ بمكة حتى تحدثت به قريش في أُندِيتها.

فغدا العباسُ ليطوف بالبيت، وكان أبو جهلِ ابن هِشام في رَهْطٍ من قريش قعوداً يتحدثون برؤيا عاتكة، فلما رآه أبو جهل قال: يا أباالفضل، إذا فرغت من طوافك فأقْبِل إلينا، فلما فرغ أقبل حتى جلس معهم، فقال له أبو جهل: يا بَنِي عبد المطلب، متى حَدَثَتْ فيكم هذه النَّبِيَّةُ؟ قال: وما ذاك؟ قال: تلك الرؤيا التي رأت عاتكة. قال: وما رأت؟ قال: يا بني عبد المطلب، أما رضيتم أن يتنبَأ رِجالُكم حتى تتنبأ نِساؤكم؟ قد زعمت

(١) ارفضت: تفتتت.

عاتكةُ في رؤياها أنه قال انفروا في ثلاث، فسنتربص بكم هذه الثلاث. فإن يكُ حَقّاً ما تقول فسيكون، وإن تمضِ الثلاثُ ولم يكن من ذلك شيء نكتُب عليكم كتاباً أنكم أكذبُ أهلِ بيت في العرب. قال العباس: فوالله ما كان مني إليه كبيرٌ إلا أني جحدتُ ذلك، وأنكرت أن تكون رأت شيئاً. قال: ثم تفرقنا.

فلما أمسيت لم تبقَ امرأةٌ من بني عبد المطلب إلا أتتني فقالت: أَقْررتم لهذا الفاسقِ الخبيثِ أن يقع في رجالكم، ثم قد تناوَلَ النساءَ وأنت تسمع؟ ثم لم يكن عندك غَيْرة لشيء مما سمعت. قال: قلت: قد والله فعلتُ، ما كان مني إليه من كَبيرٍ. وأيمُ الله لأتعرَّضَنَّ له، فإن عاد لأَكْفِيَنَّكُنَّه.

قال: فغدوت في اليوم الثالث من رؤيا عاتكة وأنا حَدِيدٌ مغضب، أُرَى أني قد فاتني منه أمرٌ أُحِبُّ أن أُدرِكه منه. فدخلت المسجد، فرأيته، فوالله إني لأَمشي نحوه أتعرَّضه ليعود لبعض ما قال فأَقع به. وكان رجلاً خَفِيفاً حديدَ الوجه، حَديدَ اللسان، حديدَ النظرِ. قال: إذ خرج نحو بابِ المسجدِ يَشتدُّ. قلت في نفسي: ما له، لعنه الله، أكلُّ هذا فَرَقٌ مني أن أُشاتمه؟ قال: وإذا هو قد سمع ـ ما لم أسمع ـ صَوْتَ ضَمضم بن عمرو الغِفاريِّ وهو يصرخ ببطن الوادي. واقفاً على بعيره، قد جَدع بَعيره، وحوَّل رحله. وشقَّ قميصه. وهو يقول: يا مَعْشر قريش، اللَّطِيمةَ اللطيمةَ[1] أموالكم مع أبي سفيان قد عَرَض لها محمدٌ في أصحابه، لا أرى أن تُدركوها؛ الغَوْثَ الغَوْثَ.

قال العباس: فشغلني عنه وشغله عني ما جاء من الأمر.

فتجهَّز الناسُ سراعاً وقالوا: أيظنُّ محمدٌ وأصحابه أن تكون كعيرِ ابنِ

---

(١) اللطيمة العير التي تحمل الطيب وبز التجارة.

الحضرميّ؟ كلا والله ليعلمنَّ غير ذلك. فكانوا بين رجلين: إما خارجٍ وإما باعثٍ مكانَه رجلاً. وأَوْعَبَتْ[1] قريش فلم يتخلّف من أشرافها أحد، إلا أن أبا لهب بن عبد المطلب تخلّف، وبعث مكانه العاصِيَ بن هشام بن المغيرة. وكان قد لاط[2] له بأربعة آلاف درهم كانت له عليه، أفلس بها، فاستأجره بها على أن يُجزىء عنه؛ بعثه فخرج عنه. وتخلف أبو لهب. وكان أمية بن خلف شيخاً جليلاً جسيماً ثقيلاً، قد عزم على القعود، فأتاه عقبة بن أبي مُعَيط، وهو جالس في المسجد بين ظَهْرانَيْ قومِه بِمجْمرة يحملها فيها نارٌ ومجمر[3] حتى وضعها بين يدَيهِ. ثم قال: يا أبا عليّ، استجمِرْ، فإنما أنت من النساء. قال: قَبَحك الله وقَبَح ما جئت به، فتجهز وخرج مع الناس.

وكان جهازهم في ثلاثة أيام، وأعان قويهُّم ضعيفَهم. وقام سُهَيل بن عمرو ومعه ابن الأسود وطُعَيمة بن عَدِيّ، وحَنظلة بن أبي سفيان، يَحْضُّون الناسَ على الخروج. وقال سُهَيل: يا آل غالب، أتاركون أنتم محمداً والصُّبأَةَ من أهل يثربَ. يأخذون عيركم وأموالكم؟ ومن أراد مالاً فهذا مالي، ومن أراد قُوَّة فهذه قوتي. ومشى نوفل بن معاوية إلى أهل القُوَّة من قريش فكلَّمهم في بذل النفقة والحملان لمن خرج. فقال عبد الله بن أبي ربيعة: هذه خمسمائة دينار فضعْها حيثُ رأيتَ. وأخذ من حُوَيطب بن عبد العُزَّي مائتي دينار وقوى بها في السلاح والظهر، وحمل طَعيمةُ بنُ عديٍّ على عشرين بعيراً وقوَّاهم وخلفهم في أهلهم بمعونة. ولم يتركوا كارهاً للخروج، ولا مسلماً يعلمون إسلامه، ولا أحداً من بني هاشم ولا من لا يستهمون، إلا أشخصوه معهم. وكان ممن أشخصوا: العباس بن

(١) أوعب القوم إذا خرجوا كلهم إلى الغزو.
(٢) لاط: احتبس وأمسك.
(٣) المجمر: العود يتبخر به.

عبد المطلب، ونوفل بن الحارث، وطالب بن أبي طالب، وعَقِيل بن أبي طالب وكان لا يتخلَّف أحدٌ من قريش إلا بعث مكانه بعثاً. ولما فرغوا من جهازهم وأجمعوا السير، خرجوا على الصَّعب والذلول ومعهم الفِتْيان والدُّفوف.

فخرج رسول الله ﷺ يوم الإثنين، لثمانِ ليالٍ مضتْ من شهر رمضان، وضرب عسكره ببئر أَبي عِنَبَةَ - وهي على ميل من المدينة - فعرض أصحابه، ورَدَّ من استصغَرَ منهم وهم:

(١) عبد الله بن عُمَر بن الخطاب، (٢) أُسامة بن زيد بن حارثة، (٣) رافع بن خَدِيج، (٤) البَراء بن عازب، (٥) أُسَيد بن حُضَير، (٦) زَيْد بن أرقم، (٧) زيد بن ثابت.

وأمر أصحابه أن يستقوا من بئر السقيا، ولبس رسول الله ﷺ دِرْعَه «ذات الفضول» وتَوشَّح بسيفٍ أهداه له سعدُ بنُ عُبَادة يقال له: «العَضْب» واستعمل على المدينة عبدَ الله بن أُمِّ مَكْتوم على الصلاة بالناس. ورد أبَا لُبابة الأنصاريَّ من الرَّوْحَاء، واستعمله على المدينة. ودفع اللواء الأبيض إلى مُصْعَب بن عُمَير العَبْدَرِيِّ.

وكان أمام رسول الله ﷺ رايتان سوداوانِ، إحداهما مع علي بن أبي طالب يقال لها: «العُقاب» والأخرى مع سعد بن مُعاذ الأنصاريّ، وقد خرج مع رسول الله ﷺ عمومُ المهاجرين ولم يتخلَّف منهم غير النساء والصبيان. وتخلف ثلاثةٌ من المهاجرين بأمر رسول الله ﷺ ولم يحضروها، وهم:

(١) عثمان بن عفان، تخلف على امرأته رُقَيَّةَ بنتِ رسول الله ﷺ وكانت مريضة، (٢) طَلْحة بن عُبَيد الله، (٣) سَعِيد بن زَيد، بعثهما رسول الله ﷺ يتحسسان خَبَر العِير. وتخلَّف من الأنصار خمسة ممن تجهز للخروج مع رسول الله ﷺ وهم:

(١) أبو لُبابة، خلَّفه على المدينة، (٢) عاصم بن عَدِيّ، خلفه على أهل العالية، (٣) الحارث بن حاطِب، ردَّه من الروحاء إلى بني عمرو بن عوف لشيء بلغه، (٤) الحارث بن الصِّمَّة، وقع فكُسِر بالرَّوْحاء، فردَّه إلى المدينة، (٥) خَوَّات بن جُبَير، كذلك، واعتُبر هؤلاء الثمانية من عِداد أهلِ بَدْر.

وكان ممن حضر بدراً من المهاجرين ستة وثمانون رجلاً، وخرج معه الأنصار ولم تكن قد خرجت قبل ذلك، فكان ممن حضر بدراً من الأنصار مائتان وسبعة وثلاثون رجلاً، وخرج معهم خُبَيْب بن إساف، وكان ذا بأس ونَجْدة، ولم يكن أسلم ولكنه خرج مُنجِداً لقومه الأوْس، طالباً الغنمية. فقال له رسول الله ﷺ: «لا يصحبنا إلا من كان على ديننا» فأسلم وأبلى بلاءً حسناً. ومجموع من حضر بدراً من المهاجرين والأنصار وضرب لهم بسهْم: ثلاثمائة وثلاثة وعشرون رجلاً، منهم ثمانية عُدُّوا منهم ولم يحضروا القتال.

وقد أحصيت أسماءهم جميعاً في آخر الغزوة، فجعلت المهاجرين على حِدَة، والأوس على حدة، والخزرج على حِدة.

وكان معه من الخيل ثلاثة أفراس إحداهن المسماة «بَعْزَجَة»[1] وهي فرس المُقداد بن الأسود الكِندي. والثانية المسماة: «اليَعْسُوب» وهي فرس الزُبير بن العوَّام. والثالثة المسماة: «السَّيْل»[2] وهي فرس مَرْثَد الغَنوِيّ. ولم يكن لهم من الخيل غير هذه الثلاثة، وكانت الإبل يومئذ سبعين بعيراً. وكان مع المشركين مقابل ذلك مائة فرس، وسبعمائة بعير. فكان رسول الله ﷺ، وعلي بن أبي طالب، ومرثد بن أبي مرثد الغنوي، يعتقبون بعيراً.

---

(١) سماها أيضاً في المواهب اللدنية ١: ٤٠٩. سبحة.

(٢) في المواهب اللدنية أن اسم فرس الزبير قيل اسمها السيل ولم يسم فرس مرثد.

وكان حمزة بن عبد المطلب، وزيد بن حارثة، وأبو كَبشة وأَنَسَة مَوْليا رسول الله ﷺ يعتقبون بعيراً. وكان أبو بكر، وعمر، وعبد الرحمن بن عوف، يعتقبون بعيراً. وجعل على السَّاقة قَيْس بن أبي صَعْصَعة أخا بني مازن الأنصاري.

فتوجه رسول الله ﷺ يقود جيشه، فسلك الطريق المؤدِّيَ من المدينة إلى مكة على نَقْبِ المدينة، ثم على العَقيق، ثم على ذِي الحُلَيفة، ثم على أُولات الْجَيْش، ثم مَرَّ على تُرْبان ثم على مَلَل ثم على غَمِيس الحَمَام مِنْ مَرَ بَيْن، ثم على صُخَيْرات اليَمَام. ثم على السَّيَالة، ثم على فَجِّ الرَّوْحاء، ثم على شَنُوكَة - وهي الطريق المعتدِلة - حتى إذا كان بِعرق الظَّبْيَة وجدوا رجلاً من الأعراب. فسألوه عن الناس فلم يجدوا عنده خبراً، فقال له الصحابة: سَلِّم على رسول الله ﷺ. قال: أوَفيكم رسولُ الله؟ قالوا: نعم، فسلَّم عليه ثم قال: إن كنتَ رسول الله فاخبرني عما في بطن ناقتي هذه؟ قال له سَلَمةُ بن سلامة بن وَقش الأنصاري: لا تسألْ رَسولَ الله ﷺ وأَقْبل عَلَي فأنا أُخبرك عن ذلك، نَزَوْتَ عليها، ففي بطنها منك سَخْلة. فقال رسول الله ﷺ: «مَهْ أفحشْتَ على الرجل». ثم أعرض عن سلمة.

ونزل رسول الله ﷺ: «سَجْسَج» - وهي بئر الروحاء - ثم ارتحل منها، حتى إذا كان بالمُنْصرف ترك طريق مكة بيَسار، وسلك ذاتَ اليمين على النازية يريد بَدْراً، فسلك في ناحية منها حتى جَزَع وادِياً[1] يقال له: رُحْقان. بين النازية وبين مَضِيق الصَّفْراء، ثم على المضيق، ثم انصَبَّ منه، حتى إذا كان قريباً من الصفراء بعث: بَسْبَسَ بنَ عمرو الجُهني[2]،

---

(١) جزع الوادي: قطعه عرضاً.

(٢) بهامش سيرة ابن هشام ٢: ٢٦٥ قال السهيلي: في مصنف أبي داود: بسبسة مكان بسبس. وبعض رواة أبي داود يقول بسبسة بضم الباء وكذلك وقع في كتاب =

وعَدِيّ بن أبي الزَّغْبـاء الجهني، إلى بَدْر يتحَسَّـسـان له الأخبـار عن أبي سفيان بن حرْب وعِيرِه.

ثم ارتحل رسول الله ﷺ. وقد قدَّمهما، فلما استقبلَ الصفراء وهي قرية بين جَبَلْينِ، سأل عن الجبلين فقالوا: يقال لأحدهما (مُسْلِح) وللآخر (مُخْزِىء) وسأل عن أهلهما؟ فقيل: بنو النار، وبنو حُراق ـ بطنانِ من بني غِفار ـ فكرههما رسول الله ﷺ والمرور بينهما، وفاءل بأسمائهما وأسمـاء أهلهما، فتركهما رسول الله ﷺ والصفراء بيَسارٍ، وسلك ذات اليمين على وادٍ يقال له. (ذَفِرَان) فَجزعَ فيه[1]. ثم نزل.

وأتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعـوا عِيرهم. فـاستشار النـاس وأخبرهم عن قريش وخروجهم ليحموا عِيرهم. فقال: «هل نطلب العير أو حرب النفير»؟ فقام أبو بكر الصديق فقال وأَحْسَنَ. ثم قام عمر بن الخطاب فقـالَ وأَحْسَنَ. ثم قام المِقـداد بن الأسود الكنـدي الحضرمي فقـال: يا رسول الله، امْضِ لما أَمرك الله فنحن معك، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿**اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّـكَ فَقَاتِـلاَ إِنَّا هٰهُنَـا قَاعِـدُونَ**﴾[2] ولكن: اذْهب أنت وربك فقاتلا إنَّا معكما مقاتلون. فوالذي بعثك بالحق لو سِرْت بنا إلى برك الغماد[3] لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه. فقال لـه رسول الله ﷺ خيراً ودعا له.

= مسلم ونسبه ابن إسحاق إلى جهينة ونسبه غيره إلى ذبيان وقـال هو بسبس بـن عمـرو بن ثعلبة. . .» وفي المـواهب اللدنية ١: ٤١١ «بسبس» ورواه أبـو داود بسبسة بضم ففتح فسكون ففتح.

(١) جزع فيه: قطعه عرضاً.

(٢) من سورة المائدة الآية ٢٤ ﴿فاذهب أنت وربك. . .﴾.

(٣) برك الغماد موضع بناحية اليمن، وقيل هو أقصى حجر، وفي المواهب اللدنية ١: ٤١٣ يعني مدينة الحبشة. قال ويجمع بأنها من جهة اليمن مقابل الحبشة وبينهما عرض البحر.

ثم قال رسول الله ﷺ: «أشِيروا عليَّ أيها الناس». وإنما أراد الأنصار، وذلك أنهم حين بايعوه بالعقبة قالوا: يا رسول الله إنا بُرَاء من ذِمامك حتى نصل إلى دُورنا، فإذا وصلت إلينا فأنت في ذمَّتنا، نمنعك مما نمنع منه أبناءَنا ونِساءنا. فكان رسول الله ﷺ يتخوَّف أن لا تكون الأنصار ترى عليها نَصْره إلا ممن دَهَمه بالمدينة من عَدُوِّه، وأن ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدُوٍّ من بلادهم. فلما قال ذلك رسول الله ﷺ قال له سعد بن مُعَاذ الأنصاري: والله كأنك تريدنا يا رسول الله، قال: «أجل»، قال سعد: فقد آمنا بك وصَدَّقْناك، وشهِدْنا أن مَا جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومَوَاثيقنا، على السمْع والطاعة. فامضِ يا رسول الله لِمَا أردت فنحن معك، فوالذي بعثك بالحق، لو استعرضت بنا هذا البحرَ فخضْتَه لخضناه معك، ما تخلف منَّا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عَدُوَّنا غداً، إنا لَصُبُرٌ في الحرب صُدُقٌ في اللقاء، لعل الله يُريك منا ما تَقَرُّ به عينُك. فِسرْ بنا على بركة الله.

فسُرَّ رسول الله ﷺ بقول سعد، ونَشَّطه ذلك. ثم قال: «سِيرُوا وأَبْشِرُوا. فإن الله تعالى قد وَعدني إحدى الطائفتين. والله لكأنّي الآن أَنظر إلى مصارع القوم». ثم ارتحل رسول الله ﷺ من ذَفران فسلك على ثنايا يقال لها: «الأَصَافِر» ثم انحطَّ منها إلى بلد يقال له: «الدَّبَّة» وترك الْحِنَّان بيمين، وهو كَثيب عظيم كالجبَل. ثم نزل قريباً من بَدْر. فركب هو وأبو بكر الصديق، حتى وقف على شيخ من العرب. فسأله عن قُريش وعن محمد وأصحابِه وما بلغه عنهم، فقال الشيخ: لا أخبركما حتى تخبراني ممن أنتما. فقال رسول الله ﷺ: «إذا أخبرتنا أخبرناك» فقال: أذاك بذاك؟ قال: نعم. قال الشيخ: إنه بلغني أن محمداً وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان صدق الذي أخبرني فهو اليوم بمكان كذا وكذا ـ للمكان الذي به رسول الله ﷺ ـ وبلغني أن قريشاً خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان الذي أخبرني صدقني فهم اليوم بمكان كذا وكذا ـ للمكان الذي

فيه قريش ـ فلما فرغ من خبره قال: ممن أنتما؟ فقال رسول الله ﷺ: «نحن من ماء» ثم انصرف عنه. قال يقول الشيخ: ما من ماء؟ أمِنْ ماء العراق؟ وهذا الشيخ هو: سُفيانُ الضَّمْرِيّ.

ثم رجع رسول الله ﷺ إلى أصحابه، فلما أمسى بعث. عليَّ بن أبي طالب. والزُّبيرَ بن العوَّام وسعدَ بن أبي وقاص في نفر من أصحابه إلى ماء بَدْرٍ يلتمسون الخبر له. فأصابوا رَاوِيَةً لِقُريش، فيها أُسْلَمُ غُلاَمُ بني الحجَّاج، وعَرِيض أبو يَسار غلام بني العاص فأتوا بهما فسألوهما، ورسول الله ﷺ قائم يصلي، فقالا: نحن سُقاة قريش، بَعثونا نسقيهم من الماء. فكره القومُ خَبرهما، ورَجَوْا أن يكونا لأبي سفيان فضربوهما فلما أَذْلَقُوهما قالا: نحن لأبي سفيان. فتركوهما.

وركع رسولُ الله ﷺ وسجد سجدتيه ثم سلَّم وقال: «إذا صَدَقاكم ضَربتموهما، وإذا كَذَبَاكم تركتموهما، صَدَقَا والله إنهما لقريش. أَخْبِرَانِي عَن قريش»؟ قال: هم واللّهِ وراء هذا الكثيب الذي ترى بالعُدْوَة القُصْوَى[1] قال لهما رسول الله ﷺ: «كم القوم»؟ قالا: كثير. قال: «ما عَدَّتهم»؟ قالا: لا ندري، قال: «كم يَنحرون كلَّ يوم»؟ قالا: يوماً تِسْعاً ويوماً عَشْراً.

فقال رسول الله ﷺ: «القوم فيما بين التسعمائة والألف». قال لهما: «فمن فيهم من أشراف قريش»؟ قالا: عُتبة بن رَبيعة، وشَيْبة بن رَبيعة، وأبو البَخْتَرِيّ بن هِشام، وحكيم بن حِزام، ونَوْفل بن خُوَيلد، والحارث بن عامر بن نَوْفل، وطُعَيْمة بن عَدِيّ بن نوفل، والنَّضْر بن الحارث، وَزَمعَة بن الأسود، وأبو جهل بن هشام، وأُمَيَّة بن خَلَف، ونُبَيْه ومُنَبِّه ابنا الحجَّاج، وسُهَيْل بن عَمْرو، وعمرو بن عبدوُدّ العامريّ.

---

(١) العدوة: حافة الوادي المرتفع.

وكانَ قد أصاب النبيَّ ﷺ طَشٌّ من المطر، فانطلقوا تحت الشجر والحجفِ يستظلّون تحتها من المطر، وبات رسول الله ﷺ يدعو رَبَّه. فلما طلع الفجر نادى: «الصلاةَ عبادَ الله»، فجاء الناس من تحت الشجر والجحف، فصلى بهم رسول الله ﷺ، ثم أقبل على الناس فقال: «هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ كبدها» وحضَّهم على القتال.

وَكان بَسْبَس بن عمرو الْجُهني وعَدِيُّ بن أبي الزَّغْبَاء الجهني اللَّذَيْنِ أرسلهما رسول الله ﷺ يتحسَّسان قريشاً قد مضيا حتى نزلا بَدْراً، فأناخا إلى تلٍّ قريب من الماء، ثم أخذَا شَنّاً لهما يستقيان فيه، وكان مَجْدِيُّ بن عمرو الجهني على الماء، فسمع عَدِيٌّ وبَسبس جاريتين من جواري الحاضر وهما تتلازمان على الماء. تقول إحداهما للأخرى: تأتي العير غداً أو بعد غد فأعمل لهم ثم أقضيك الذي لك. فقال مجدي: صَدَقْتِ، ثم خلَّص بينهما، فسمع ذلك عديٌّ وبَسْبس، فركبا بَعيريهما، وانطلقا حتى أتيا رسول الله ﷺ فأخبراه بما سمعا.

ثم أقبل أبو سفيان بن حرب حتى تقدَّم العير حَذَراً، فورد الماء، وقال لمجديّ بن عمرون الجهني: هل أحسست أحداً؟ فقال: ما رأيت أحداً أُنكره، إلا أني قد رأيت راكبين قد أناخا إلى هذا التل، ثم استقيا في شَنٍّ لهما؛ ثم انطلقا، فأتى أبو سفيان مناخَهما، فأخذ من أبعار بعيريهما. فَفتّه، فإذا فيه النَّوَى فقال: والله هذه علائف يَثْرب. فرجع إلى أصحابه سريعاً، فضرب وَجْهَ عِيره عن الطريق، فَسَاحَلَ بِها، وترك بَدْراً يَساراً، وانطلق حتى أسرع.

ثم أقبلت قُريش، فلما نزلوا الجُحْفَة أرسل إليهم أَبو سفيانَ قَيْسَ بن امرىء القيس يخبرهم أنكم خرجتم لتمنعوا عِيركم ورِجالكم وأموالكم فقد نَجَّاها الله فارجعوا. فلما أتاهم الخبر وهم بالْجُحفة قال أبو جهل: والله لا

نَرجع حتى نَرِدَ بَدْراً ـ وكان بَدْرٌ مَوْسماً مِنْ مواسم العرب يجتمع لهم به سوقٌ كل عام ـ فنُقيم عليه ثلاثاً، فننحر الجُزُر، ونُطعم الطعام، وَنُسْقي الخمر، وَتَعْزف علينا القِيَان، وَتَسمع بنا العربُ وَبمسيرنا وَجَمْعنا، فلا يزالون يهابوننا أَبداً بعدها، فامضُوا.

وكان من رأى الحارث بن عامر وَأُمَيّـةَ بن خلف وَعُتْبَةَ وَشَيْبَـةَ ابْنَيْ رَبيعة، وَحَكيم بن حزام وَأَبي البَخْتَرِيّ وَعليّ بن أُمية بن خلف والعاصي الرُّجُوعُ.

وتغلّب عليهم أبـو جهل، وأعـانـه عُقْبَـة بن أبي مُعَيْط والنضـر بن الحـارث والحارث بن كلدة. وأجمعـوا على المسير. وأرادت بنـو هاشم الرجوع. فاشتد عليهم أبو جهل وقال: لا تفارقنا هذه العصابة حتى نرجع. وقـال الأخنس بن شَرِيق الثقفي ـ حَليف بني زُهْـرة ـ: يا بني زُهْـرَة، قد نجى الله لكم أموالكم، وخلَّص لكم صاحبكم مَخْـرَمة بنَ نَـوْفل، وإنمـا نفرتم لتمنعوه ومالَه. فاجعلوا بي جُبْنَها وارْجِعوا، فإنه لا حاجة لكم بأن تخرجوا في غير ضَيْعَة، لا ما يقول هذا ـ يعني أبا جهل ـ فرجعوا، فلم يشهَدْها زُهْرِيٌّ واحد، وأطاعوه، وكان فيهم مطاعاً.

ولم يكن بَقِي مِن قـريش بَطْنٌ إلا وقـد نفـر منهم نـاسٌ، إلاَّ بني عَدِيّ بن كَعْب لم يخرج منهم رجلٌ واحد، وكانت بنو عَدِيّ بن كعب مع النفير، فلما بلغوا ثَنِيَّةَ لَفْت عَدَلوا في السَّحَر إلى الساحل منصرفين إلى مكة، فصادفهم أبو سفيان بن حرب فقال: يا بني عَدِيّ. كيف رجعتم؟ لا في العير، ولا في النفير؟ قالوا: أنت أرسلت إلى قريش أن ترجع، فرجعت بنو زهرة مع الأخنس بن شَرِيق. فلم يشهد بدراً من هاتين القبيلتين أحد.

ومضى اليوم ومضت قُريش حتى نزلوا بالعُدْوَة القُصْوى من الوادي خلف العَقَنْقَل وبطن الوادي، وهو يَلْيَل، بين بدر وبين العَقَنْقَـل الكثيب

الذي خَلْفَهُ قُـريشٌ، والقُلُب ببدر من العُـدُّوة الدنيـا من بطن يَلْيَـل إلى المدينة، ولحق قيس بن امرىء القيس أبا سفيان، فأخبره بمجيء قريش، فقال: واقَوْمَاه، هذا عَملُ عمرُو بن هِشام. يعني أبا جهل.

وبعث الله السماء، وكان الوادي دَهْسا، فأصاب رسولَ الله ﷺ وأصحابه منها ماءٌ لَبَّدَ لهم الأرض وصلَّب الرمل وثَبَّت الأقدام، ومهَّد به المنزل. وسال الوادي، فشرب المؤمنون وَملئوا الأسْقِية وسَقَوُا الرِّكاب، ولم يمنعهم عن السَّيْر. وأصاب قريشاً منها ما لم يقـدروا على أن يَرْتحلوا معـه. وأرسل رسول الله ﷺ عمار بن ياسر وعبد الله بن مسعود فأطافا بالقـوم ثم رجعا، فأخبراه أن القوم مذعورون، وأن السماء تسيح عليهم.

فخرج رسول الله ﷺ عشاء يبادرهم إلى المـاء، حتـى إذا جاء أدنى ماءٍ من بَدْرٍ نزل به. فقال الْحباب بن المُنذر بن الجَموح: يا رسول الله، أرأيت هذا المنزل، أمنزِلاً أنزلكَهُ الله ليس لنا أن نتقدَّمه ولا نتأخر عنه؟ أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ قال ﷺ: «بل هو الرأي والحرب والمكيدة» قال: يا رسول الله فإن هذا ليس بمنزِل، فانهضْ بالناس حتى نأتي أدنى ماءٍ من القوم فننزله، نغوِّر ما وراءه من القُلُب، ثم نبني عليه حوضاً فنملوؤه ماءً؛ ثم نقاتل القوم، فنشرب ولا يشربـون، فقال رسـول الله ﷺ: «لقد أشرت بالرأي».

فنهض رسول الله ﷺ ومن معه من الناس، فسار حتى إذا أتى أدنى ماء من القوم نزل عليه، ثم أمر بالقلب[1] فَغُوِّرَتْ. وبنى حوضاً على القَلِيب الذي نزل عليه فمُلِيء ماء ثم قذفوا فيه الآنِيَة. فقال سعد بن معاذ رضي الله عنه: يا نبيَّ الله أَلاَ نَبني لك عَريشاً تكون فيه ونُعِدُّ عندَك رَكائبك، ثم نَلْقى

---

(١) القلب: الآبار قبل أن تطوى بالحجارة.

عدوَّنا، فإن أعزَّنا الله وأظهرنا على عدوِّنا كان ذلك ما أَحببنا، وإن كانت الأخرى جَلَسْتَ على ركائبك فلحِقْتَ بمن وراءنا من قومنا؟ فقد تخلَّف عنك أقوامٌ يا نبيّ الله ما نحن بأشدَّ لك حُبّاً منهم، ولو ظَنُّوا أنك تَلْقى حرباً ما تخلَّفوا عنك، يَمنعُك الله بهم، يُناصِحونك، ويُجاهدون معك. فأثنى عليه رسول الله ﷺ ودعا له بخير. ثم بُنِيَ لرسول الله ﷺ عَريش، فكان فيه.

وقد ارتحلت قُريشٌ حين أصبحت، فأقبلتْ، فلما رآها رسولُ الله ﷺ تَصَوَّبُ من العَقَنْقَل - وهو الكثيب اللذي جاؤوا منه إلى الوادي - قال: «اللهم هذه قريش قد أقبلت بخُيَلَائها، وفَخْرها، تُحَادُّك، وتكذِّب رسولك، اللهمَّ فَنصْرَك الذي وعدتني، اللهم أَحِنْهُم الغَداةَ.

وقد قال رسول الله ﷺ حين رأى عُتْبة بن ربيعة في القوم على جمل له أحمر: «إن يكن في أحدٍ من القوم خيرٌ فعند صاحب الجمل الأحمر، إن يُطيعوه يَرْشُدُوا».

وقد كان خُفاف بن أَيماء بن رَحَضَة الغِفاري بعث إلى قريش حين مَرُّوا به ابناً له بجزائِرَ أهداها لهم: إن أحببتم أن نُمِدَّكم بسلاح ورجال فَعَلْنا. فأرسلوا إليه مع ابنهِ: أن وَصَلَتْك رَحِمٌ، قد قَضَيْتَ الذي عليك، فَلَعَمْرِي لئِن كُنَّا إنما نُقاتل الناسَ فما بنا مِن ضَعْفٍ عنهم، ولئن كنا إنما نُقاتل اللَّهَ كما يَزعم محمدٌ، فما لأَحدٍ بالله من طاقةٍ.

فلما نزل الناسُ أقبلَ نفرٌ من قُريش حتى ورَدُوا حوضَ رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «دَعُوهُمْ، فما شَرِبَ منه رَجلٌ يومئذ إلاّ قُتِل.

ولما اطمأنَّ القومُ، بعثوا عُمَيْر بن وَهْبِ الْجُمحي فقالوا: آحزُرْ لنا أصحاب محمد، فاستجالَ بفرسه حول العسكر، ثم رجع إليهم فقال

ثلاثمائة رجل، يزيدون قليلاً أو ينقصون، ولكن أَمهِلوني حتى أنظر أَلِلقوم كمِينٌ أو مَدَدٌ. فضرب في الوادي حتى أبعَدَ، فلم يَرَ شيئاً، فرجع إليهم فقال: ما وجدتُ شيئاً، ولكني قد رأيتُ يا معشرَ قُريش البَلَايا تَحمِلُ المنَايَا، نَواضِحَ يَثْرِبَ تحمِلُ الموتَ الناقع، قوم ليس معهم مَنَعَةٌ ولا مَلجَأٌ إلّا سيوفهم، ألا ترون خُرْساً لا يتكلَّمون، يتَلَمظون تَلَمُّظ الأفاعي؟ والله ما أَرَى أن يُقْتَل رجلٌ منهم حتى يَقْتُلَ رجلاً منكم، فإذا أصابوا منكم أعدادَهم فما خَيْرُ العيشِ بعد ذلك، فَرَوْا رَأْيَكُم.

فبعثوا أبا سَلَمة الجُشَميَّ، فأطاف بالمسلمين على فرسه ثم رجعل فقال: والله ما رأيتُ جَلَداً، ولا عَدداً ولا حَلْقة ولا كُراعاً، ولكن رأيت قوماً لا يريدون أن يؤوبوا إلى أهلهم، قوماً مستميتين، ليست لهم منعة ولا ملجأ إلاَّ سيوفهم، زرق العيون كأنهم الحصا تحت الحَجَف، فَرَوْا رَأْيَكم.

فلما سمع حَكيم بن حِزام ذلك مشى في الناس، فأتى عُتبة بن ربيعة فقال: يا أبا الوليد إنك كبيرُ قريش، وسيدها والمطاع فيها، هل لك إلى أن لا تزال تُذْكر فيها بخير إلى آخر الدهر؟ قال: وما ذاك يا حكيم؟ قال: ترجع بالناس، وتَحمل أمرَ حَليفك عمرو بن الحَضْرَمِيّ. قال: قد فعلتُ، أنت عَلَيَّ بذلك، إنما هو حليفي فعليَّ عَقْلُه وما أُصِيبَ من مالِه، فأْتِ ابنَ الحنظَلِيّة - الحنظلية أمُّ أبي جهل بن هشام - فإني لا أخشى أن يَشْجُرَ أمرَ الناسِ غيرُه - يعني أبا جهل - ثم قام عُتبة بن ربيعة خطيباً فقال: يا معشرَ قريش، إنكم والله ما تصنعون بأن تَلْقَوْا محمداً وأصحابه شيئاً، والله لئن أصبتموه لا يزال الرجلُ يَنظر في وجه رجلٍ يَكره النظرَ إليه، قَتل ابنَ عَمِّه أو ابن خَاله، أو رجلاً من عَشيرته، فارجعوا، وخلُّوا بين محمدٍ وبين سائر العرب: فإن أصابوه فذاك الذي أردتم، وإن كان غير ذلك أَلفاكم ولم تَعرضوا منه ما تريدون، إني أرى أقواماً مستميتين لا تصلون إليهم، وفيكم خير، يا قوم أعصبوها اليوم برأسي، وقولوا: جَبُن عتبة، وأنتم تعلمون أَني لست بأجبَنِكُمْ.

قال حكيم بن حزام: فانطلقت حتى جئت أبا جهل، فوجدته قد نَثَل دِرْعاً له من جِرابها فهو يُهَيِّؤها[1]، فقلت له: يا أبا الحكم، إن عتبة أرسلني إليك بكذا وكذا، فقال: انتفخَ والله سَحْرهُ[2] حين رأى محمداً وأصحابه. كلا، واللّهِ لا نرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد، وما بعتبة ما قال، ولكنه قد رأى محمداً وأصحابه أَكْلَةَ جَزورٍ، وفيهم ابنُه، فقد تَخَوَّفكم عليه، ثم بعث إلى عامر ابن الحضرميّ فقال: هذا حَليفك يريد أن يَرْجع الناس، وقد رأيت ثأْرَك بعينك، فقم فأنشُدْ خُفْرَتَك ومَقْتل أخيك.

فقام عامر بن الحضرميٍّ فاكتَشف ثم صرخ: واعَمْراه، واعَمْرَاه. فَحمِيَت الحربُ وَحقِبَ أمرُ الناس، واستوسقوا على ما هم[3] عليه من الشرّ، فأُفسِد على الناس الرأيُ الذي دعاهم إليه عُتبة.

فلما بلغ عتبةَ قولُ أبي جهل: انتفخَ واللّهُ سَحْرُه، قال: سيعلم مُصَفِّر اسْتِه مَن انتفخ سَحْرُه أنا أم هو؟ ثم التمس عُتبة بَيْضةً ـ طاسة مِن حديد تُلبس على الرأس ـ ليُدْخلها في رأسه، فما وجد في الجيش بَيْضَة تَسعُه من عِظَمِ هَامته، فاعتجَرَ على رأسه بِبُرْدٍ له.

لم يُرِد أبو جهل إسعارَ الحرب لِسواد عُيون الحضرمي أو صُحْبةً له، وإنما أراد الانتقام من رسول الله ﷺ لإلهه هُبَل، ولِنَخْوة الجاهلية، ولإطفاء نار الحسد التي تغلي في فؤاده بُغضاً وحنقاً على الإسلام والمسلمين.

ثم صَفَّ رسولُ الله ﷺ أصحابه وعَدَّ لَهم وكان بيده يومئذ قِدْح ـ وهو

---

(١) روى أيضاً في سيرة ابن هشام ٢ : ٢٧٥ يهنئها. وفسرت بالهامش أي يطليها بعكر الزيت وقال أبو ذر «يهنئها: يتفقدها».

(٢) انتفاخ السحر كناية عن الجبن. والسحر: الرئة.

(٣) استوسقوا: اجتمعوا.

السهم الذي يُرْمَى بِهِ عن القوس قبل أن يُركَّب فيه نَصْله ـ يُشير به إلى هذا: تَقَدَّمْ، وإلى هذا: تأَخَّرْ، حتى اسْتَوَوْا، ودفع رايته إلى مُصعب بن عُمير، فتقدم حيث أَمرَه رسول الله ﷺ أن يضعها. ووقف ﷺ ينظر إلى الصُّفوف، فاستقبل المغرِبَ، وجعل المشرِقَ خلْفه، وخطب ﷺ في أصحابه، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أما بعدُ، فإني أَحثُّكم على ما حَثَّكم الله عز وجل عليه، وأنهاكم عما نَهاكم الله عز وجل عنه، فإن الله عز وجل عظيمٌ شأْنُه، يأمرُ بالحق، ويُحبُّ الصدق، ويُعطِي على الخير أهله على منازلهم عنده، به يُذْكَرون، وبه يَتَفاضَلُون، وإنكم قد أصبحتم بمنزلٍ من منازل الحق، لا يقبل الله فيه من أحد إلَّا ما ابتغى به وجهه، وإن الصبر في مواطن اليأس مما يُفرِّج الله عز وجل به الهَمّ، وينجي به من الغمّ وتُدركون النجاة في الآخرة، فيكم نبيُّ الله يحذركم، ويأمركم، فاستحْيُوا اليومَ أن يطَّلع الله عز وجل على شيء من أمركم يَمْقتكم عليه. فإن الله عز وجل يقول: ﴿لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾[1] انظروا الذي أمركم به من كتابه، وأراكم من آياته، وأَعزَّكم بعد الذلَّةِ، فاستمسكوا به يرْضَ به ربُّكم عنكم، وأَبْلُوَا ربَّكم في هذه المواطن أمراً تستوجبوا الذي وعدكم به من رحمته ومغفرته، فإن وعدَه حَقٌّ، وقوله صِدْق، وعِقابه شديدٌ، وإنما أنا وأنتم بالله الحي القيوم، إليه لجأنا، وبه اعتصمنا، وعليه توكلنا، وإليه المصير، يغفر الله لنا وللمسلمين».

وكان مع المشركين ثلاثة أَلْوِية، لواءٌ مع أبي عزيز بن عُمَير، ولواء مع النضْر بن الحارث، ولواء مع طَلحة بن أبي طلحة، وكلُّهم من بني عبد الدار، وقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «لا تقاتلوا حتى أُوذِنَكُمْ، وإن أَكثَبوكُم[2] فارموهم بالنبل. ولا تستلُّوا السيوف حتى يَغشوْكم، واستبْقُوا

(١) سورة غافر، الآية: ١٠.

(٢) في المواهب اللدنية ١: ٤١٨ «قال ابن السكيت: أكثب الصيد إذا أمكن من

نِبالَكُمْ» فخرج الأسود بن عبد الأسد المخزومي، وكان رجلاً شَرِساً سَيِّءَ الخُلق وقال: أعاهد الله لأشربنَّ من حَوْضهم، أو لأهْدِمَنَّهُ، أو لأموتَنَّ دونه. فلما قرب من الحوض خرج إليه أسد الله وأسد رسوله، حَمزَةُ بنُ عبد المطلب رضي الله عنه، فلما التقيا ضربه حمزةُ، فأطنَّ قدَمَه بِنصف ساقه وهو دون الحوض، فوقع على ظهره تَشْخُب رِجلُه دماً نحو أصحابه، ثم حبا إلى الحوض حتى اقتحم فيه يريد على زعمه أن تَبرَّ يَمينه، وأتبعه حمزة فضربه حتى قتله في الحوض.

ثم خرج بعده عُتبة بن ربيعة بين أخيه شَيبة بن ربيعة. وابنه الوليد بن عتبة، حتى إذا فَصل من الصفّ، دعا إلى المبارزة، فخرج إليه فِتْية من الأنصار ثلاثة وهم: عَوْف ومُعَوِّذ ابنا الحارث. وعبد الله بن رواحة. فقالوا: من أنتم؟ فقالوا: رهط من الأنصار، قالوا: مالنا بكم من حاجة. ثم نادَى مُناديهم: يا محمد، أَخْرِج إلينا أكفاءنا من قومنا. فقال رسول الله ﷺ: «قم يا عبيدة بن الحارث، وقُمْ يا حمزة، وقم يا عليُّ» فأمر رسول الله ﷺ عمه حمزة وابن عم والده عُبيدة، وعلي بن أبي طالب. فأول ما قدَّم للقتال آلَه وذَوِيه وقَرابته، وقال لهم: «فقاتِلُوا بحقكم الذي بَعَثَ به نبيَّكُم، إذ جاءوا بباطلهم، لِيُطفِئوا نور الله». فلما قاموا ودَنَوا منهم قالوا: من أنتم؟ قال عبيدة: أنا عبيدة. وقال حمزة: أنا حمزة. وقال علي: أنا عليّ. قالوا: نَعَمْ، أكفاء كرام.

فبارز عُبيدة ـ أسنّ القوم ـ عُتبةَ بنَ ربيعة، وبارز حَمزةُ شيبةَ بنَ ربيعة، وبارز عليٌّ الوليدَ بنَ عُتبة. فأما حمزةُ فلم يُمْهِل شيبة أن قتله. وأما عليٌّ فلم يُمْهِل الوليدَ أن قتله. وأما عبيدة فاختلف بينه وبين عُتبة ضربتان، كلاهما أثبتَ صَاحبَه، ثم كَرَّ حمزةُ وعليٌّ بأسيافهما على عتبة فذفَّفا عليه[1]،

= نفسه» فالمعنى إذا قربوا منكم فأمكنوكم فارموهم. وانظر اللسان (كثب).

(١) ذففا عليه: أجهزا عليه وأسرعا في قتله.

واحتملا عُبيدة فحازاه إلى أصحابه. ثم حُمِل إلى عريش رسول الله ﷺ بسيل مُخُّ ساقه، فأفرشه رسول الله ﷺ قدمه الشريفة، فوضع خَدَّه عليها، وبَشَّره بالشهادة فقال عبيدة: وددت والله أن أبا طالِب كان حيّاً ليعلم أننا أحقُّ منه بقوله:

ونُسْلِمــهُ حَتَّى نُصــرَّعَ حَــوْلَــه ونـذْهَـلَ عَنْ أَبْنَـائِنَـا والحَـلاَئِـلِ

وأقسم أبو ذر أن هذه الآية: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾[1] نزلت في الذين بَرزوا يوم بَدْرٍ، وهم: حمزة، وعليّ، وعبيدة بن الحارث، وعتبة وشيبة ابنا ربيعة، والوليد بن عتبة ـ رواه البخاري. ولما قُتِلَ هؤلاء ورَجَع هؤلاء قال أبو جهل وأصحابه: لنـا العُزَّى ولا عُـزَّى لكم، فنادى منادي رسول الله ﷺ: الله مولانا، ولا مَوْلَى لكم. قتلانا في الجنة وقَتلاكم في النار.

ثم تزاحف الناس ودنا بعضُهم من بعض، وقد أمـر رسول الله ﷺ أصحابه أن لا يَحْمِلوا حتى يأْمُرَهم، وقال: إن اكتنفكم القومُ فانْضَحُوهم عنكم بالنَّبْل، ورسول الله ﷺ في العريش، معه أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

وكانت وقعة بَدْرٍ يوم الجمعة صبيحة اليـوم السابـع عشر من شهـر رمضان، سنة اثنتين من الهجرة، ثم خرج رسول الله ﷺ وعَدل صفـوف أصحابه، ورجع إلى العريش، فدخله ومعه أبو بكر، فقام رسول الله ﷺ يُنـاشد ربَّـه ما وعـدَه من النصر وهـو يقول: «اللهم إني أَنشُـدك عهـدَك ووعْدك، اللهم إن تَهْلِكْ هذه العصابةُ لا تُعبَد بعد اليوم»، فقال له أبو بكر: يا نبي الله، بَعْضَ مناشدتك ربَّك، فإن الله مُنْجِزٌ لك ما وَعَدك. وقد خَفَقَ[2]

---

(١) سورة الحج، الآية: ١٩.

(٢) في القاموس، خفق رأسَه: حرك رأسه إذا نعس. [المصحح].

رسول الله ﷺ خفقةً وهو في العريش، ثم انتبه فقال: «أبشر يا أبا بكر، أتاك نصرُ الله، هذا جبريل آخِذٌ بِعنَانِ فرسه يقوده على ثَنايَاه النقْعُ».

ثم لما تقارب الناس اشتبك القتال بالنبل فرُمِيَ مِهْجَعٌ مولى عُمرَ بن الخطاب بسهم فقُتِل، وكان الذي قتله عامرُ بنُ الحضرمي، فكان أوّل قتيل قُتِل من المسلمين، رحمه الله.

ثم رُميَ حارثةُ بنُ سُرَاقة أحدُ بني عَدِي بن النجّار الأنصاري وهو يَشرب من الحوض بسهم فأصاب نحره، فقُتِلَ، رحمه الله، وكان الذي رَماه حِبَّانُ بنُ العَرِقَة.

ثم خرج رسول الله ﷺ إلى الناس فحرَّضهم وقال: «والذي نفس محمد بيده لا يُقاتلهم اليومَ رجلٌ فيُقْتَل صابراً مُحْتَسِباً، مُقْبِلاً، غير مُدْبرٍ إلا أدخله اللَّهُ الجنةَ» فقال عُمَيْر بن الحمام أخو بني سَلِمةَ، وفي يده تمرات يأكُلهنَّ: بَخٍ بَخٍ! أفما بيني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء؟ ثم قذف التمرات من يده وأخذ سَيْفه وهو يقول:

رَكْضاً إلى اللَّهِ بِغَيْرِ زَادِ ... إلاَّ التُّقَى وعَمَلَ المَعَادِ
والصَّبْرَ في اللَّهِ على الجِهادِ ... وكلُّ زَادٍ عُرْضَةُ النَّفَادِ
غَيْرَ التُّقَى والبِرِّ والرَّشادِ

فقاتل القومَ حتى قُتِل، رحمه الله، وكان الذي قتله خالد بن الأعلم العُقيلي.

وقال عَوْفُ بن الحارث ـ وهو ابن عَفْرَاء ـ: يا رسول الله، ما يُضْحِك الربَّ من عبده؟ قال: «غَمْسُه يَدَه في العَدُوِّ حاسراً» فنزع دِرْعاً كانت عليه فقذفها، ثم أخذ سيفه فقاتل القوم حتى قُتِل، رحمه الله.

فتلاحم الناس بعضهم من بعض، واشتد القتال، قال أبو جهل: اللهم

أقطَعنا للرَّحم، وآتانا بما لا يُعْـرف فأَحِنْه الغَدَاةَ. يقصد بدعائه رسول الله ﷺ.

والله أعلم من قطَعَ الرحمَ، وأثار الفتنة، وجلب الشر والبلاء لقومه حُبّاً للأنانية الكاذبة، والنعرة الفاسدة، والحسد المحض، والكفر الصريح، فكان هو المستفتح.

ثم أخذ رسول الله ﷺ حَفنَةً من الحَصْباء فاستقبل قريشاً بها ثم قال: «شاهَت الوُجوهُ» ثم نفحهم بها، وأمـر أصحابَـه فقال: «شُـدُّوا» فكانت الهزيمة، فقتلَ اللَّه تعالى مَنْ قتل مِن صناديد قريش، وأسرَ مَن أسرَ من أشرافهم، وكان شعار المسلمين يومئذ: (يا منصور أمت) وبلغ المسلمين أن كُرْزَ بن جابر يُمِدُّ المشركين، فأمـد الله المسلمين بالمـلائكة.

وسأل مُعاذ، ومُعَوِّذ، ابنا عفراء، عبْدَ الرحمن بنَ عوف أن يُـرِيهما أبا جهل، فأراهما إياه، فما وقـع نظرهمـا عليه إلاَّ شـدَّا عليه كـالصُّقور بسيفَيهما، فقتلاه.

فوضع المسلمون أيديهم يـأسرون، ورسـول الله ﷺ في العريش، وسَعْـدُ بن معاذ قـائم على باب العـريش، متوشِّحـاً السيف، في نفر من الأنصـار، يَحرسـون رسول الله ﷺ، يخـافـون عليـه كَـرَّة العـدُوّ، فـرأى رسوُلُ الله ﷺ في وجه سعدِ بنِ مُعاذٍ الكراهِيةَ لما يَصَنَعُ الناس، فقال له رسول الله ﷺ: «والله لكأنك يا سَعْدُ تكره ما يَصنع القوم» قال: أجل!! والله يا رسول الله كانت أوَّل وقعةٍ أوقعها الله بأهل الشرك، فكان الإثخانُ في القتل بأهلِ الشرك أحبَّ إليَّ من استبقاء الرجال.

وقد قاتل رسول الله ﷺ بنفسه قتالاً شديداً، وكذلك أبـو بكر قـاتلَ معه، روى ابن سعد والفريابيُّ عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه قال: لما كان يوم بدر، وحضر البأس، أمنا رسول الله ﷺ والتقينا به، وكان أشدنا

بأساً يومئذ، وما كان أحد أقرب إلى المشركين يومئذ منه، فكان رسول الله ﷺ أحياناً في العريش يدعو ربه، وأحياناً يخرج إلى أصحابه إذا اشتد البأس فيقاتل معهم[1].

وقال رسول الله ﷺ لأصحابه يومئذ: «إني قد عرفت أن رجالاً من بني هاشم وغيرهم، قد خرجوا كرهاً، لا حاجة لهم بقتالنا، فمن لقي منكم أحداً من بني هاشم فلا يقتله، ومن لقي أبا البَخْتَريّ بن هشام بن الحارث بن أسد فلا يقتله، ومن لقي العباس بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ فلا يقتله فإنه إنما خرج مُستكْرَهاً»، فقال: أبو حُذَيْفة أنقتل آباءنا، وأبناءنا، وإخواننا، وعشيرتنا، ونترك العباس؟ والله لئن لقيته لأُلْحِمَنَّه السيفَ.

فبلغت رَسول الله فقال لعمر بن الخطاب: «يا أبا حفص أيُضْرَب وَجْهُ عَمِّ رسول الله ﷺ بالسيف»؟ فقال عمر: يا رسول الله، دَعنْي فلأضربْ عُنْقَهُ بالسيف، فوالله لقد نافق. ثم قال عمر: واللَّهِ إنه لأوّل يوم كَناني فيه رسول الله ﷺ بأبي حفص.

فكان أبو حذيفة يقول: ما أنا بآمن من تلك الكلمة التي قلتُ يومئذ، لا أزال منها خائفاً إلاَّ أن تُكَفِّرها الشهادة فقُتِل يوم اليمامة شهيداً.

وإنما نهى رسول الله ﷺ عن قتل أبي البَخْتَري. لأنه كان يكفُّ المشركين عنه بمكة. وقام في نقض الصحيفة، فلقيه المجذّر بن ذِياد البلوِيّ حليف الأنصار، فقال له: إن رسول الله ﷺ قد نهانا عن قتلك قال: وزميلي - وكان مع أبي البختريّ زميل له قد خرج معه من مكة، وهو جُنَادة بن مُلَيْحة بنت زُهير بن الحارث - فقال له المجذّر: لا والله، ما نحن بتاركي زميلك، ما أمرنا رسول الله ﷺ إلا بك وحدك. فقال: لا والله إذن

(١) السيرة الشامية.

لأموتن أنا وهو جميعاً، لا تَحدّثُ عني نساء مكة أني تركت زميلي حرصاً على الحياة، وقال أبو البختري حين نازله المجذّر وأبى إلا القتال يرتجز:

لَن يُسْلِمَ ابْنُ حُرَّةٍ زَمِيلَه حَتّى يَموت أَوْ يرى سَبِيلَه

فاقتتلا، فقتله المجذر بن ذِياد، وقال المجذّر في قتله أبا البختري[1]:

إمّا جَهِلْتَ أو نَسِيتَ نَسَبِي فأَثْبِتِ النِّسْبَةَ إني مِنْ بَلي

بَشِّرْ بيُتمٍ من أبيه البَخْتَرِي أو بَشِّرَنْ بمثِلها مِنّى بَنِي

ثم أتى المجذّر رسول الله ﷺ فقال: والذي بعثك بالحق لقد جَهدتُ عليه أن يستأسِر فآتيك به فأبى إلاّ أن يقاتلني، فقاتْلتُه فَقَتَلْتُه.

ولقي الزبيرُ بن العوام، عُبَيْدَة بن سعيد بن العاص، وهو مُدَجَّج لا يُرَى منه إلا عيناه، وكان يكنى أبا ذات الكرش، فحمل عليه الزبير بالعَنزَةِ[2] فطعنه في عيّنه فمات، فوضع رِجْلَه عليه، ثم تمطّى بجهده حتى نزعها من عينه، وقد انثنى طَرَفُها، فطلب تلك العنزة منه رسول الله ﷺ فأعطاه إياها، وتداولها الخلفاء بعده إلى أن عادت أخيراً لعبد الله بن الزبير.

كان سعد بن مُعاذ صديقاً لأُمية بن إخَلَف، فكان أمية إذا أتى المدينة نزل على سعد، وإذا أتى سعدٌ مكة نزل على أمية، فلما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة وأسلم سعد، أتى مكة فنزل على أمية حسب عادته، فقال لأمية: انظر لي ساعةً لعلِّي أطوف بالبيت، فخرج قريباً من نصف النهار، فلقيهما أبو جهل فقال: يا أبا صفوان، من هذا الذي معك؟ قال: هذا سعد، فقال له أبو جهل: لا أراك تطوف بمكة آمناً، وقد آويتم الصبأة وزعمتم أنكم تنصرونهم، وتعينونُهم، أما والله لولا أنك مع أبي صفوان ما رجعتَ إلى أهلك سالماً.

---

(١) انظر سيرة ابن هشام ٢ : ٢٨٢ فهي مشاطير.

(٢) العنزة عصا في قدر نصف الرمح أو أكثر شيئاً فيها سنان مثل سنان الرمح.

فقال له سعد، ورفع صوته عليه: أما والله لئن مَنعتني هذا لأمنعنّك ما هو أشدُّ عليك منه، طريقك إلى المدينة، فقال له أمية: لا ترفع صوتك على أبي الحكم سَيِّد أهل الوادي. فقال له سعد: دَعْنَا عنك يا أمية، فوالله لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنه قاتلك»، قال: إياي؟ قال: نعم، قال: بمكة؟ قال: لا أدري. ففزع لذلك أمية فزعاً شديداً وقال: والله لا أخرج من مكة. وقد خرج مكرهاً كما تقدم.

وقال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: كان أميَّة بن خلف لي صديقاً بمكة فمررت به يوم بدر، وهو واقف مع ابنه عليٍّ، آخذاً بيده، ومعي أدراع لي قد أستلبتُها، فلما رآني قال لي: هل لك فيَّ فأنَا خيرٌ لك من هذه الأدراع التي معك؟ قال: قلت: نعم. وطرحت الأدراع وأخذت بيده وبيد ابنه. وهو يقول: ما رأيتُ كاليوم قط. أما لكم حاجة في اللبن؟[١] ثم قال: من الرجل منكم المُعْلم بريشةِ نعامةٍ في صدره؟ قلت: ذاك حمزة بن عبد المطلب قال: ذاك الذي فَعل بنا الأفاعيل.

قال عبد الله بن عوف: فوالله إني لأقودهما إذ رآه بلالٌ معي. وكان هو الذي يعذّبه بمكة على ترك الإسلام. ويطرحه في الرمضاء إذا حَمِيَتْ. فيضع الصخرة العظيمة على صدره. ويقول له: لا تزال هكذا أو تفارق دين محمد، فلما رآه بلال قال: رأس الكفر أمية بن خلف، لا نجوتُ إن نجا. قال: قلت: أسيري؟ قال: لا نجوت إن نجا. قال: قلت: أتسمع يا ابن السوداء؟ قال: لا نجوت إن نجا. ثم صرخ بأعلى صوته يا أنصار الله، رأس الكفر أمية بن خلف، لا نجوت إن نجا. قال: فأحاطوا بنا حتى جعلونا في مثل المَسَكَة[٢] وأنا أذبُّ عنه قال: فأخلف[٣] رجل السيف فضرب

---

(١) يريد باللبن أن يفتدي نفسه بإبل كثيرة اللبن.

(٢) المسكة: السوار. وجعلونا في مثل المسكة، أي جعلونا في حلقة كالسوار وأحدقوا بنا.

(٣) أخلف الرجل السيف، إذا سله من غمده.

رِجْل ابنه فوقع، وصاح أميَّة صيحة ما سمعت مثلها قط، قال فقلت: أنج بنفسك ولا نجاء بك، فوالله ما أُغْنِي عنك. قال: فهبروهما بأسيافهم حتى فرغوا منهما، فقال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: يرحم الله بِلاَلاً، ذهبت أدراعي وفجعني بأسيِرَيّ.

هذا ما كان من أمر أمية بن خلف، وابنه، وأخذ بلال ثأره منه.

وأما ما كان من أمر أبي جهل. قال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: إني لواقف في الصف يوم بدر، فنظرتُ عن يميني وشمالي، فإذا أنا بين غُلامين من الأنصار حَديثة أسنانهما، فتمنَّيت أن أكون أضلَعَ منهما، فغمزني أحدهما سرّاً من صاحبه فقال: أي عَمّ، هل تعرف أبا جهل؟ فقلت: نعم، فما حاجتك إليه يا ابن أخي؟ قال: أُخبِرت أنه يسب رسول الله ﷺ، والذي نفسي بيده لئن رأيتهُ لا يفارق سوادي سَوادَه حتى يموت الأعجَلُ منا. قال: وغمزني الآخر سرّاً من صاحبه فقال مثلها، فعجبت لذلك. قال: فلم أنشب إلى أن نظرت إلى أبي جهل يجول في الناس وهو يرتجز:

مَا تَنْقِمُ الحَرْبُ العَوَانُ مِنِّي بَازِلُ عَامَيْنِ حَدِيثٌ سِنِّي
لِمِثْلِ هٰذَا وَلَدَتْنِي أُمِّي

فقلت: ألا تريانِ؟ هذا صاحبكما الذي تسألاني عنه؟ فابتدراه بسيفيهما. فضرباه حتى برد، وانصرفا إلى رسول الله ﷺ فأخبراه، فقال: «أيكما قتله»؟ فقال كلُّ واحد منا: أنا قتلته. قال: «مستحتما سيفيكما» قالا: لا. فنظر رسول الله ﷺ إلى السيفين فقال: «كلاكما قتله» وقضى رسول الله ﷺ بسلبه لمُعاذ بن عمرو بن الجموح، ومُعاذ بن عَفْراء[1].

وأقبل رسول الله ﷺ، حتى وقف على القتلى، فالتمس أبا جهل فلم

(١) وقيل إن قاتليه معاذ ومعوذ ابنا عفراء.

يجده حتى عرف ذلك في وجهه فقال: «اللهم لا يعجزني فرعون هذه الأمة» فقال النبي ﷺ: «من ينظر ما فعل أبو جهل»؟ وقال: «انظروا إن خفي عليكم في القتلى، إلى أثر جرح في ركبته، فإني ازدحمت يوماً أنا وهو على مأدبة لعبد الله بن جدعان، ونحن غلامان، وكنت أشفَّ منه[1] بيسير، فدفعته فوقع على ركبته فجُحِش في[2] إحداهما جَحْشاً لم يزل أثره به» فخرج عبد الله بن مسعود في طلبه، فوجده بآخر رمق، فعرفه، فأخذ بلحيته فقال: أنت أبو جهل؟ قال أبو جهل: وهل فوق رجل قتله قومه؟ فوضع عبد الله بن مسعود رجله على عنقه.

قال: وقد كان ضَبَث[3] بي مرة بمكة: فآذاني ولكزني. فقال أبو جهل: لقد ارتقيْتَ مُرتقى صعباً يا رُوَيْعِيَ الغنم.

قال له عبد الله بن مسعود: هل أخزاك الله يا عدُوَّ الله؟ قال: وبماذا أخزاني؟ أخبرني لمن الدائرة اليوم؟ قال: لله ورسوله. فسلبه عبد الله بن مسعود دِرْعه، وهو لا يتكلم، واخترط سيفه فضرب به عنقه، واحتز رأسه ثم جاء به إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، هذا رأس عدو الله أبي جهل، فقال له رسول الله ﷺ: «اللَّهِ الذي لا إله غيره» وكانت هذه الكلمة يَمين رسول الله ﷺ. قال ابن مسعود: نعم والله الذي لا إله غيره، ثم ألقى رأسه بين يدي رسول الله ﷺ، فحمد الله.

وقتلَ عمرُ بنُ الخطاب رضي الله عنه خالَه العاصَ بن هِشام.

وقاتل عُكَّاشة بن مِحْصَن حَليف عبد شمس يوم بـدْرٍ بسيفه حتى انقطع في يده، فأتى رسول الله ﷺ فأعطاه جذلاً[4] من حطب، فقال: «قاتِلْ

(١) فلان أشف من فلان أي أكبر منه قليلاً.
(٢) جحش أي خدش يقال جحشه أي خدشه.
(٣) ضبث بالشيء قبض عليه بكفه.
(٤) جذلاً: الجِذل أصل الشجرة. [المصحح].

بهذا يا عُكَّاشة» فلما أخذه من رسول الله ﷺ هزَّه فعاد سيفاً، قاتل به حتى فتح الله تعالى على المسلمين، ثم لم يَزلْ عنده يشهد به المشاهد مع رسول الله ﷺ حتى قُتل في الرِّدة وهو عنده.

ثم أمر رسول الله ﷺ بالقتلى أن يُطرحوا في القليب، فجمعوهم وطرحوهم فيه، إلا أُمية بن خلف فإنه انتفخ في دِرْعه فملأها، فذهبوا ليحَرِكوه، فَتزايَلَ لحمه، فأقروه وألقَوْا عليه ما غيَّبه من التراب والحجارة، فنظر رسول الله ﷺ في وجه أبي حذَيفْة بن عتبة فإذا هو كَئِيب قد تغير لونه، فقال: «يا أبا حذيفة، لعلك قد دَخَلَك من شأن أبيك شيء»؟ أو كما قال، فقال أبو حذيفة: لا والله يا رسول الله ما شككت في أبي، ولا في مصرعه، ولكني كنت أعرف من أبي رأياً، وحلماً، وفضلاً، فكنت أرجو أن يهَديه ذلك إلى الإسلام. فلما رأيت ما أصابه، وذكرت ما مات عليه من الكفر، بعد الذي كنت أرجو له، أحزنني ذلك. فدعا له رسول الله ﷺ بخير، وقال له خيراً.

وبعد أن ألقوا القتلى في القليب، وقف عليهم رسول الله ﷺ فقال: «يا أهلَ القَلِيب، هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقّاً؟ فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقاً»!! فقال له أصحابه: يا رسول الله أتكلم قوماً موْتَى؟ فقال لهم: «لقد علموا أن ما وعدهم ربهم حق» قال أنس بن مالك: يا أهلَ القليب، يا عتبة بن ربيعة، ويا شيبة بن ربيعة، ويا أُميَّة بن خلف، ويا أبا جهل بن هِشام ـ فعدَّدَ مَن كان منهم في القليب ـ هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقّاً فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقاً»؟ فقال المسلمون: يا رسول الله، أتنادي قوماً قد جَيَّفوا؟ قال: «ما أنتم بأسمعَ لما أقول منهم ولكنهم لا يستطيعون أن يجيبوني» ثم قال: «يا أهل القليب، بئس عَشيرةُ النبيِّ كنتم لنبيكم، كذبتموني وصدقني الناسُ، وأخرجتموني وآواني الناس».

كان رسول الله ﷺ أرى أصحابه مصارعَ قُريش قبل الوقعة ويقول: «هذا مصرع فلان غداً إن شاء الله» ويشير بيده الشريفة، «وهذا مصرع فلان غداً إن شاء الله، وهذا مصرع فلان غداً إن شاء الله» قال عمر: فوالذي بعثه بالحق ما أُخطئوا الحدود التي حَدَّها رسول الله ﷺ، وجعلوا يصرعون عليها.

وقال حسَّان بن ثابت رضي الله عنه في ذلك:

عــرفْتُ ديــارَ زَينَبَ بــالكَثِيبِ ... كخَطِّ الوَحْيِ في الوَرَقِ القَشيبِ
تَــدَاوَلُها الــرِّياحُ وكــلُّ جَـوْنٍ ... مِنَ الــوَسْمِيِّ مُنْهَمِــرٍ سَكُــوبِ
فــأمْسَى رَسْمُهــا خَلَقــاً وأمسَتْ ... يَبَــابــاً بَعْــدَ ســاكِنِهــا الحبِيبِ
فَدَعْ عَنْكَ التَّــذَكُّرَ كــلَّ يَوْمٍ ... وَرُدَّ حَــرَارَةَ الـصَّــدْرِ الـكئِيـبِ
وَخبِّــرْ بــالــذي لا عَيْبَ فِيــه ... بِصِــدْقٍ غيــر أخبــارِ الكَــذُوبِ
بما صَنَع المَلِيــكُ غَداةَ بَــدْرٍ ... لنَــا في المشــركِينَ مِنَ النَّصِيبِ
غَــداةَ كــأنَّ جَـمْـعَــهُـمُ حِـرَاءُ ... بَــدَتْ أركــانُـه جُنْحَ الغُــروبِ
فَــلاقَيْنَــاهُـمُ مِنَّــا بِـجَـمْــعٍ ... كــأُسْــدِ الغــابِ مُــرْدَانٍ وَشِيبِ
أمــامَ مُــحَــمَّــدٍ قــدْ وَازَرُوهُ ... عَلَى ٱلأعْداءِ في لَفْحِ الحُـروبِ
بِــأيْــدِيهِمْ صَــوَارِمُ مُــرْهَـفــاتٌ ... وكــلُّ مُجرَّبٍ خَــاظِي الكُعُــوبِ
بنــو ٱلأوْسِ الغَطارِفُ وازَرَتْهــا ... بَــو النَّجَّــارِ في الــدِّين الصَّلِيبِ
فغــادَرْنــا أبــا جَهْـلٍ صَــرِيعــاً ... وَعُتْبَــةَ قـد تَــرَكْنَا بِــالجَبُــوبِ
وَشَيْبَــةَ قـد تَــرَكْنَا في رجــالٍ ... ذَوِي حَسَبٍ إذا نُسِبُــوا حَسِيـبِ
يُنــادِيـهـمْ رَسُــولُ الـلَّه لــمَّــا ... قَــذَفْنَــاهمْ كَبَــاكِبَ في القَـلِيبِ
ألمْ تَجِــدُوا كلامِي كــانَ حقّــاً ... وأمـرُ اللَّهِ يَــأخُــذُ بــالقُـلوبِ؟
فَمَا نَـطَقُـوا ولـو نَـطَقُـوا لَقَـالُـوا ... صَـدَقْتَ وَكنْتَ ذا رَأْيٍ مُصِيـبِ

وكان ممن شهد بَدْراً مع المشركين الحارث بن زمعة بن الأَسْوَد، وأبو

قيس بن الفاكِهِ المخزوميّ، وأبو قيس بن الوليد بن المُغيرة المخزوميّ، وعليّ بن أُمية بن خلَف الجمحيّ، والعاص بن مُنَبِّه بن الحجَّاج. وكانوا قد أسلموا ورسول الله ﷺ بمكة، فلما هاجر رسول الله ﷺ حبستهم آباؤهم وعشائرهُم بمكة. وفَتنوهم فافتَتنوا، ثم ساروا مع قومهم إلى بدر، فأُصيبوا جميعاً بالقتل. فنزل فيهم من القرآن:

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الملائِكةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهم قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي ٱلْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ واسِعَةً فَتُهاجِرُوا فِيهَا فَأُولٰئكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيراً﴾[1].

ثم أمر رسول الله ﷺ بما في العسكر مما جَمع النـاسُ مِن الفَيْءِ فجُمِعَ، فاختلف المسلمون فيه. فقال مَنْ جمعه: لنا، وقال الذين كانوا يقاتِلون العدُوَّ ويطلبونه: والله لولا نحن ما أصبتموه، لَنَحْنُ شَغَلْنـا عنكم القومَ حتى أصبتم ما أصبتم. وقال الذين يحرسون رسول الله ﷺ مخافة أن يخَالِف إليه العدوُّ: والله ما أنتم بأحقَّ به منَّا، لقد رأيْنا أن نقتُل العدوَّ إذ منَحنَا اللَّهُ تعالى أكتافَهم، ولقد رأينا أن نأخُذ المتاعَ حين لم يكن دونه مَن يَمنعهُ، ولكنَّا خِفْنَا على رسول الله ﷺ كرة العدوِّ فقمنا دونه. فما أنتم بأحقَّ به منا. فأنزل الله تعالى على رسوله ﷺ: **﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفال قُلِ الأَنفَالُ لِلَّهِ والرَّسُولِ فاتَّقُوا اللَّهَ وأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنْتُم مُؤْمِنِينَ﴾**[2]. فأمر رسول الله ﷺ الناس أن يَردُّوا ما في أيديهم من النَّفلَ. وكان في الغنائم مائةٌ وخمسون من الإبل، وَمتاع، وأنطاعٌ، وثياب، وأدم كثيرة، وكانت الخيلُ عشرة أفراسٍ. وأصابـوا سلاحـاً كثيراً وجمـل أبي جهل. فصار للنبي ﷺ. فلم يزل عنده يضرب في إبله ويغزو عليه، حتى ساقه في هَدْىِ الحُدَيْبِية.

---

(١) سورة النساء، الآية: ٩٧.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ١.

فبعث رسول الله ﷺ عند الفتح، عبَد الله بن رَوَاحَةَ بشيراً إلى أهل العالِية بما فتح الله عز وجل على رسول الله ﷺ وعلى المسلمين. وبعث زيد بن حارثة إلى أهل السافلة. فلما أقبلا على المدينة جعل عبدُ الله بن رَوَاحة ينادي على راحلته: يا معشر الأنصار أَبْشِروا بسلامة رسول الله ﷺ وقتلِ المشركين، وأسرِهم ببدر. فقام إليه عاصم بن عَدِيٍّ فقال له: أحقّاً ما تقول يا ابن رَوَاحة؟ قال: إي واللَّهِ غداً يقدم رسولُ الله ﷺ بالأسرى مُقَرَّنين. ثم تتبَّع دُورَ الأنصارِ بالعالية يُبشرهم داراً داراً، والصبيان يشتَدُّون معه ويقولون: قُتِل أبو جهلٍ الفاسقُ.

قال أسامة بن زيد بن حارثة: أتانا الخبر (بالمدينة) حين سَوَّينا التراب على رُقَيَّة ابنةِ رسول الله ﷺ، زوجة عثمانَ بنِ عَفَّان، قال: فجئت وإذا زيد بن حارثة واقفٌ بالمُصَلَّى وقد غَشِيه الناسُ وهو يقول: قُتِل عُتبة بن ربيعة. وشَيْبَةُ بن ربيعة. وأبو جَهل بن هِشام. وزَمعَةُ بنُ الأسود. وأبو البَخْتَرِيّ العاصُ بن هِشام. وأُميّة بن خلف. ونُبَيْه ومُنَبْه آبنا الحجّاج. قال: قلت: يا أبتِ، أحقٌّ هذا؟ قال: نعم والله يا بني.

وكان قد قُتِل من المشركين سبعون رجلًا، وأُسِر منهم سبعون.

واستشهد من المسلمين أربعة عشر رجلًا، منهم ستة من المهاجرين. وثمانية من الأنصار، دُفِن منهم ببدر ثلاثة عشر. وأما الرابع عشر وهو عُبيدة بن الحارث كان به رَمَقٌ، فَحُمِل ومات بالصَّفْراء، على بُعْدِ ليلةٍ من بَدْرٍ، ودُفِن بها.

فقال رسول الله ﷺ يستشير الناس في أسارى بدر: «إن الله قد مَكْنكم منهم» فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله، اضرِبْ أعناقهم. فأعرض عنه ﷺ. ثم دعا ﷺ فقال: «يا أيها الناس، إن الله قد مكَّنكم منهم» فقال عمر: يا رسول الله، اضرِبْ أعناقهم. فأعرض عنه ﷺ. فعل

ذلك ثلاثاً، فقام أبو بكر فقال: يا رسول الله، أن تَعْفُوا عنهم، وأن تقبل منهم الفِداء. فذهب من وجه رسول الله ﷺ ما كان فيه من الغَم، فعفا. وأنزل الله تعالى:

﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالاً طَيِّباً وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾(١).

ثم أقبل رسول الله ﷺ قافلاً إلى المدينة، ومعه الأسارى من المشرِكين، وفيهم: عقبة بن أبي مُعَيط، والنضْر بن الحارث، واحتمل معه النفل الذي أُصِيب من المشركين، وجعل على النفل عبدَ الله بن كعب الأنصاري من بني النجَّار، فقال عَديُّ بن أبي الزَّغباءِ الجُهني، حلِيف بني النجار من المسلمين يرتجز:

أَقِمْ لَهَا صُدُورَها يَا بَسْبَسُ	ليس بذي الطلح لها معرَّسُ
ولا بصَحْرَاء غُمَيْرٍ مَحْبسُ	إنَّ مَطايَا القَوْم لا تُحَبَّسُ
فَحمْلُها على الطَّرِيقِ أكْيَسُ	قد نَصَرَ اللَّهُ وفَرَّ الأَخْنَسُ

ثم أقبل رسول الله ﷺ حتى إذا خرج من مَضيق الصفراءِ نزل على كَثِيب بين المَضِيق وبين النازِية ـ يقال له سَيَر ـ إلى سَرْحَة به، فقسم هنالك النفَلَ الذي أفاء الله تعالى على المسلمين من المشركين على السَّواء. فلما أمر رسول الله ﷺ أن تُقسم الغنائم على السَّواء قال له سعد بن مُعَاذ: يا رسول الله أتعطي فارسَ القوم الذي يحميهم مثل ما تُعْطِي الضعيفَ؟ فقال رسول الله ﷺ: «ثَكِلَتْك أُمُّك، وهل تُنصرون إلا بِضُعفائكم»؟ ونادى مناديه ﷺ: من قَتل قَتيلاً فله سَلبُه ومن أسر أسيراً فهو له. وكان يُعطي مَن قتل قتيلاً سَلبه. وأمر بما وُجِد فِي العسكر وما أُخِذ بغير قتال فقسمه بينهم، وتنفّل رسولُ الله ﷺ سيفاً (هو ذو الفقار) وكان لِنُبيْهِ بن الحجاج.

---

(١) سورة الأنفال، الآيتان ٦٨، ٦٩.

ثم ارتحل رسول الله ﷺ ومعه المسلمون حتى إذا كان بالرَّوْحاءِ لقيه المسلمون يُهنئُونه بما فتح اللَّهُ عليه ومن معه من المسلمين. فقال لهم سَلَمَةُ بن سلامة، ما الذي تهنئوننا به؟ فوالله إنْ لقينا إلاَّ عجائز صُلْعاً كالبُدْنِ المُعَقَّلَة فَنَحرْناها. فتبسم رسول الله ﷺ ثم قال: «أَي ابن أَخي، أولئك المَلأ»[1].

ولما كان رسول الله ﷺ بالصفراء أمر عَلِيَّ بن أبي طالب رضي الله عنه أن يَقتل النضْرَ بن الحارث، فقتله، ثم لما كان ﷺ بعِرْق الظبية أمر عاصم بن ثابت الأنصاري بقتل عُقبة بن أبي مُعَيط، فقال عقبةُ حين أمر رسولُ الله ﷺ بقتله: فمن للصَّبيْة يا محمد؟ قال: «النار» فقتله عاصم، وكان الذي أسر عُقبةَ عبد الله بن سَلَمَةَ البَلوِيّ حليف الأنصار.

ولقى رسولَ الله ﷺ بذلك الموضع أبو هِنْد مولى فَرْوة بن عمرو البيَاضِيّ بِحَمِيتٍ مملوءٍ حَيْساً[2]. وكان أبو هند قد تخلّف عن بدر، ثم شهد المشاهدَ كلها مع رسول الله ﷺ، وكان حجَّام رسول الله ﷺ.

فقدم رسول الله ﷺ المدينة يوم الأربعاء الثاني والعشرين من شهر رمضان، قَبْل الأسارى بيوم، فلما قدموا بالأسارى فرَّقهم بين أصحابه وقال: «استَوْصُوا بالأسارى خيراً» وكان في الأسارى، أبو عَزيز أخو مُصْعَب بن عُميْر العَبْدَرِيّ، فمر به مُصعَبُ ورجل من الأنصار يأسره، فقال له: شُدَّ يَدَيْكَ فإن أُمَّه ذاتُ مَتاعٍ لعلها تَفديه منك، قال أبو عَزيز: كنت في رهْطٍ من الأنصار، فإذا قَدَّموا غَداءهم أو عَشاءهم خَصوّني بالخبز وأكلوا التمر ـ حيث إن التمر مبذول عندهم والخبز كان أطيب من التمر ـ لوصية رسول الله

---

(١) الملأ: يعني الأشراف والرؤساء.

(٢) الحميت: الزق، ومملوء حيساً: داخله تمر مخلوط بسمن ومجمد اللبن.

ﷺ إياهم بنا، ما تَقع في يد رجل منهم كِسْرة خُبزٍ إلَّا نَفحوني بها، فأَستحي فأردّها على أحدهم فيردّها عَليَّ ما يَمسُّها. وكان أبو عَزيز هذا صاحبَ لواءِ المشركين ببدر بعد النضْر بن الحارث، فقال أبو عزيز لأخيه مصعب: يا أخي هذه وَصَاتُك بي؟ فقال له مصعب: إنه أَخي دُونك، فسألتْ أمُّه عن أعْلَى ما فُدِي به قُرشِيٌّ، فقيل لها أربعة آلاف درهم، فبعثت بأربعةِ آلاف درهم ففدتْه بها.

وكان أول من قَدِم مكة من قريش بعد الهزيمة، والقتل، والأسر الحَيْسُمَان بن عبد الله الخُزاعي، فقالوا: ما وراءك!؟ قال: قُتِل عتبةُ بن ربيعة، وشَيْبة بن ربيعة، والحكم بن هشام أبو جهل، وأُميَّة بن خلف، وزَمعة بن الأسود، ونبيه ومُنَبِّه ابنا الحجَّاج، وأبو البَختريّ بن هشام، فلما جعل يُعدِّد أشراف قريش قال صَفْوانُ بن أُمية وهو قاعد في الحِجْر: والله إن يَعْقِلُ هذا، فاسألوه عني. فقالوا: ما فعل صفوانُ بن أمية؟ قال: ها هو ذاك جالساً في الحِجْر وقد والله رأيتُ أباه وأخاه حين قُتِلا.

قال أبو رافع مولى رسول الله ﷺ: كنت غلاماً للعباس بن عبد المطلب، وكان الإسلام قد دخَلَنا أهلَ البيت، فأسلم العباسُ وأسلمت أمُّ الفَضْل، وأسلمتُ، وكان العباس يكتم إسلامه، يهاب قومه ويكره مخالفتهم، وكان أبو لهب تخلَّف عن بدْرٍ، فلما جاء الخبرُ عن مصاب قُريشٍ كَبَتَهُ الله وأخزاه وقد سَرَّنا ما جاء من الخبر، إذ أقبل أبو لهب يَجرُّ رِجْلَيه بِشَرٍّ حتى جلس على طُنُب الحُجْرة، فكان ظهره إلى ظهري، فبينما هو جالس إذ قال الناس: هذا أبو سفيان بن الحارث بن المطلب قد قَدِم فقال له أبو لهب: هَلمَّ إليَّ، فعندك لَعَمْرِي الخبرُ، فجلس، والناسُ قِيامٌ عليه. فقال: يا ابن أخي، أخبرني كيف كان أمرُ الناس؟ قال: والله ما هو إلا أن لقينا القومَ فمنحناهم أكتافَنا يَقتلوننا كيف شاءوا، ويأسروننا كيف شاءوا، وأيمُ الله مع ذلك ما لمت الناسَ، لَقِيَنا رِجالٌ بيضٌ على خَيْلٍ بُلْقٍ،

بين السمـاء والأرض، والله ما تُلِيق[1] شيئـاً، ولا يقـوم لهـا شيءٌ.

قال أبو رافع: فرفعْتُ طُنُبَ الحجرة[2] بيدي ثم قلت: تلك والله الملائكةُ. فرفع أبو لهب يده فضرب بها وجهي ضربةً شديدة. قال وثاوَرْتُهُ، فاحتملَنِي فضرب بي الأرض، فقامتْ أمُّ الفضلِ إلى عمودٍ فضربَتْه به ضربةً فَلَعَتَ[3] في رأسه شجَّة مُنكرةً، وقالت: استضعفْتَه أن غابَ عنه سَيِّدُه، فقالم مُوَلِّياً ذليلاً، فوالله ما عاش إلاَّ سبعَ ليالٍ حتى رماهُ الله بالعَدَسة[4] فقتلته.

ونـاحت قريش على قتـلاهم، ثم قـالـوا: لا تَفعلوا فيبلغ محمـداً وأصحابه فيشْمَتوا بكم، ولا تبعثوا في أسراكم حتى تَستأنُوا بهم، لا يأْرَب عليكم محمد وأصحابه في الفِداء[5].

وكان الأسود بن عبد المطلب قد أصيب له ثلاثة من الولد: زَمعة بن الأسود، وعَقِيل بن الأسود، والحارث بن زمعة.

وكان في الأسارى أبو وَدَاعة بن ضُبَيْرة السهمي فقال رسول الله ﷺ: «إن له بمكة ابناً كَيِّساً، تاجراً، ذا مال، وكأَنَّكم به قد جاءكم في طلَبِ فداء أبيه» فلما قالت قُريش: لا تتعجلوا بِفداء أسرَاكم لا يأْرب عليكم محمد وأصحابه، قال المطّلب بن أبي وَدَاعة: صدقتم، لا تعجلوا، وانسَلّ من الليل، فقدم المدينة، فأخذ أباه بأربعة آلاف درهم فانطلق به.

---

(١) ما تليق: ما تبقى.
(٢) طنب الحجرة: حبلها.
(٣) فلعت: شقت.
(٤) العدسة: قرحة قاتلة.
(٥) تستأنسوا بهم: تؤخروا فداءهم. لا يأرب: لا يشتد.

وكان عَمْرو بن أبي سفيان بن حَرْب أسيراً من ضمن أسارى بدر، فقيل لأبي سفيان: افْدِ عمْراً، قال: أيُجمع عليّ دمي ومالي، قتلوا حنظلة، وأفدي عمْراً، دعوه في أيديهم يُمسكوه ما بَدَا لهم، فبينا هو كذلك خرج سعْدُ بن النُّعمان بن أكَّال الأنصاريّ مَعتمراً، ولم يظنّ أنه يُحبس بمكة، لأنّه يعهد قريشاً لا تتعرَّض لأحد حاجّاً أو معتمراً إلا بخير، فعدا عليه أبو سفيان بن حرب فحبسه بمكة بابنه عمرو، ثم قال أبو سفيان بن حرب:

أرَهْطَ ابْنِ أكَّالٍ أجِيبُوا دُعَاءَه ... تَعاقَدْتُم لا تُسْلموا السَّيِّدَ الكَهْلَا
فإنَّ بَنِي عَمْرٍو لِئَامٌ أذِلَّةٌ ... لئن لَم يفُكُّوا عَن أسِيرِهم الكَبْلَا

فمشى بنو عمرو بن عَوْف ـ من الأنصار ـ إلى رسول الله ﷺ وأخبروه خبره، وسألوه أن يعطيهم عَمرو بن أبي سفيان فيفكُّوا شيخهم، ففعل رسول الله ﷺ، فبعثوا به إلى أبي سفيان، فخلَّى سبيل سَعْد بن النعمان. وأجابه حسان بن ثابت رضي الله عنه:

ولَوْ كَانَ سَعْدُ يَوْمَ مَكَّة مُطْلَقاً ... لأكْثَر فيكم قَبْلَ أن يُؤْسَرَ القَتْلَا
بِعَضْبِ حُسَامٍ أو بصفْرَاءَ نَبْعَةٍ ... تَحِنُّ إذا ما أُنْبِضَتْ تَحْفِزُ النَّبْلَا

ثم بعثت قُريش في فداء الأسارى، وكان من الأسارى أبو العاص بن الربيع زوج زينب بنت رسول الله ﷺ، فبعثت قِلادَتَها لتفتدي بها زوجها، فَمنَّ عليه رسول الله ﷺ بغير فداء، أطلقه وردَّ عليها قِلَادتها.

وقد مَنَّ النبي ﷺ وأصحابه على بعض الأسارى فأُطلِقوا بغير فداء، فمنهم: المطَّلب بن حَنْطب المخزومي، كان لبعض بني الحارث من الخزرج فتُرِك في أيديهم حتى خلَّوْا سبيله فلحِق بقومه، وصَيْفيّ بن أبي رِفاعة المخزومي، ترك في أيدي أصحابه، فلم يأت أحد في فدائه فتركوه، وأبو عَزَّة عمرو بن عبد الله الجمحيّ، وكان محتاجاً ذا بنات، فكلّم رسول الله ﷺ فأخذ عليه أن لا يُظاهر عليه أحداً، فَمنَّ عليه وأطلقه. فقال

أبو عَزة يمدح رسول الله ﷺ ويذكر فضله في قومه بعد عودته لمكة وهو مشرك:

مَنْ مُبْلغٌ عني الرسولَ مُحمَّداً	بأنك حَقٌّ وَالمليكَ حَميدُ
وأنت امرُؤٌ تَدعُو إلى الحقِّ والهُدَى	عليك من اللّهِ العَظِيم شَهِيدُ
وأنت امرُؤٌ بُوِّئْتَ فِينَا مَباءَةً	لها دَرَجاتٌ سَهْلَةٌ وصُعودُ
فَإنَّك مَنْ حارَبْتَه لَمُحَارَبٌ	شَقيٌّ ومَنْ سالمتَهُ لَسعِيدُ
ولكِنْ إذَا ذُكِّرْتُ بَدْراً وأهلَه	تَأَوَّبَ مَا بِي حَسْرةٌ وقعُودُ

وكان فداء المشركين يومئذ أربعة آلاف درهم، للرجل، إلى ألف درهم، إلا من لا شيء له، فَمنَّ رسول الله ﷺ عليه.

وكان قد جلس عُمَيْر بن وَهب الجمحي، مع صَفْوان بن أُمَيَّة، بعد مُصاب أهل بدر من قريش في الحِجْر، وكان عُمَير شيطاناً من شياطين قُريش، وممن يؤذي رسول الله ﷺ وأصحابه، ويَلْقَوْنَ منه عَناءً وهو بمكة، وَكان وَهْب بن عُمَير في أسارى بدر، أَسره رِفاعة بن رافعٍ أحدُ بني زُرَيق، فذكر أصحابَ القَليب ومصابَهم، فقال صفوان: والله ما إن في العيش بعدهم خير.

قال له عُمير: صدقت، أما واللّهِ لولا دَيْنٌ عليَّ ليس له عندي قَضاء، وعيال أخشى عليهم الضَّيْعَة بعدي، لركبت إلى محمد أقتله، فإن لي قِبَلَهم عِلَّة، ابن أَسيرٌ في أيديهم. فاغتَنَمها صَفوانُ وقال: عَلَيَّ دينُك، أنا أَقضيه عنك، وعِيالُك مع عِيالي أُواسيهم ما بَقُوا، لا يَسعُني شيء ويعَجز عنهم.

فقال له عُمير: فاكْتُم شأني وشأنك. قال أَفعَلُ. ثم أمرَ عُمير بسيفه فشُحِذَ له وسُمَّ، ثم انطلق حتى قَدِم به المدينة.

بينا عمر بن الخطاب رضي الله عنه في نَفرٍ من المسلمين يتحدثون

عن يوم بدر ويذكرون ما أكرمهم الله به وما أراهم من عدوّهم، إذ نظر إلى عمير حين أناخ على باب المسجد متوشحاً سيفه، فقال: هذا الكلب عدوّ الله عمير بن وهب، ما جاء إلّا لشرّ، وهو الذي حَرَّش بيننا وحزَرَنا للقوم[1] يوم بدر. فدخل عمر على رسول الله ﷺ فقال يا نَبيّ الله، هذا عدوُّ اللَّهِ عميرُ بن وهب قد جاء متوشِّحاً سيفه. قال: «فأَدْخِله عليَّ» فأقبل عمر حتى أخذ بِحمالة سيفه في عنقه فغَلَبَّه، بها، وقال لرجال ممن كان معه من الأنصار: ادْخُلوا على رسول الله ﷺ فاجلسوا عنده، واحذروا عليه من هذا الخبيث، فإنه غيرُ مأمون.

ثم دخل به على رسول الله ﷺ وعمرُ آخِذٌ بحمالة سيفه في عنقه، قال: أَرْسِلْهُ يا عُمَر، وادنُ يا عُمَير، فدنا. ثم قال: انْعَمُوا صَباحاً، وكانت تَحِيَّةَ أهلِ الجاهلية بينهم.

قال رسول الله ﷺ: «قد أكرَمنا اللَّهُ بالسلام تحية أهلِ الجَنَّة» فقال: أمَا والله يا محمدُ إن كنتُ بها لَحديث عَهْدٍ.

قال: «فما جاء بك يا عُمَير»؟ قال: جئت لهذا الأسير الذي في أيديكم، فأَحْسِنوا فيه. قال: «فما بالُ السيفِ في عُنقك»؟ قال: قَبحها اللَّهُ من سيوف، وهل أغْنَتْ عنّا شيئاً؟ قال: «أَصْدِقني ما الذي جِئْتَ له»؟ قال: ما جئت إلاّ لذلك. قال: «بل قعدتَ أنت وصَفْوَانُ بن أُمية في الحِجر، فذكرتما أصحاب القَليب مِن قريش، ثم قلت: لولا دَيْنٌ عليَّ وعِيالٌ عندي لخرجتُ حتى أقتل محمداً، فتَحمَّلَ لك صفوانُ بِدَيْنِك وعِيالك على أن تَقتُلني له، واللَّهُ حائلٌ بينك وبين ذلك»، قال عمير: أشهد أنك رسولُ الله، قد كُنّا يا رسولَ الله نُكذِّبك بما كنتَ تأتينا به من خبر السماء، وما يَنْزل عليك من الوَحْي، وهذا أمرٌ لم يَحضُرْه إلاّ أنا وصفوان، فوالله إني لأعلم ما أتاك به

(١) حزره: قدر عدده تخميناً.

إلا الله، فالحمد لله الذي هداني للإسلام وساقني هذا المَساقَ. ثم تشهدَّ شهادةَ الحقّ. فقال رسول الله ﷺ: «فَقِّهُوا أخاكم في دينه، وأقرِئوه القرآنَ، وأطلِقوا له أسيرَه» ففعلوا: ثم قال: يا رسول الله، إني كنت جاهداً على إطفاء نور الله، شديد الأذى لمن كان على دين الله عزّ وجل، وأنا أُحِبُّ أن تأذن لي فأُقدم مكة، فأدعوهم إلى الله تعالى وإلى رسوله ﷺ، وإلى الإسلام، لعل الله يهديهم، وإلاّ آذيتهُم في دينهم كما كنتُ أُوذي أصحابَك في دينهم، فأذِن له رسول الله ﷺ، فلحق بمكة.

وكان صفوانُ بنُ أُمية حين خرج عُمَيْرٌ يقول: أَبْشِروا بِوَقْعَة تأتيكم الآن في أيام تُنْسِيكم وقْعةَ بدرٍ، وكان صفوان يسأل عنه الرُّكبان، حتى قدِم راكبٌ فأخبره عن إسلامه، فحلف أن لا يكلِّمَه أبداً ولا يَنْفعه بنفْعٍ أبداً، فلما قدم عُمير مكة أقام بها يدعو إلى الإسلام، ويؤذي مَن خَالفه أذىً شديداً، فأسلم على يديه ناس كثير.

وقال رسول الله ﷺ لعمه العباس: «يا عباس، افْدِ نفسَك وابنَ أخيك عَقِيل بن أبي طالب، ونَوْفل بن الحارث، وحَلِيفَك عُتبة بن عمرو» قال العباس بن عبد المطلب: إني كنت مسلماً ولكن القوم استكرهوني، قال: «الله أعلم بما تقول، إن يَكِ ما تقول حقّاً فإن الله يَجزيك ولكن ظاهر أمرك أنك كنت علينا» فجعل على العباس مائة أوقية، وعلى عَقِيل ثمانين. فقال له العباس: أللقرابة صنعْتَ هذا؟ فأنزل الله تعالى: **﴿يَا أَيُّها النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الأَسْرىٰ إن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْراً يُؤْتِكُمْ خيراً مِمَّا أُخِذَ مِنْكُم ويَغْفِرْ لَكمْ واللَّهُ غَفورٌ رَحِيمٌ﴾**[1] فقال العباس: وددت لو كان أُخذَ مني أضعافها، لقوله: «يؤتكم خيراً مما أخِذَ منكم»، وقد أبدلني الله خيراً مما أخذ مني عشرين عبداً كلهم تاجر يضرب بمال كثير، أدناهمَ

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٧٠.

يَضْرب بعشرين ألفَ درهم، مكان العشرين أوقية، وأَعطاني زَمزم وما أُحِبّ أنَّ لي بها جميعَ أموال أهلِ مكة، وأنا أنتظر المغفرة من ربي عزّ وجلّ.

وكان بعض الأسارى فداؤه أن يعُلّم عشرةً من الغِلمان القراءةَ والكتابة.

وقال النبي ﷺ لنوفل: «افْدِ نفسك برماحك التي بجدَّة»، فقال: والله ما علم أحد أن لي بجدّة رِماحاً بعد الله غيري: أشهد أنك رسول الله، ففدى نفسه بها، وكانت ألفَ رُمْح.

وجاء مِكْرَز بن حَفْصٍ في فِداء سُهَيْل بن عَمْرو، وكان الذي أسره مالك بن الدُّخْشُم الأنصاري، وكان سُهيل أعلَم مِن شَفَتِه السُّفلى، فلما اتَّفقَ مِكْرَزٌ معه على الفِداء قال: اجعلوا رِجْلي مَكان رِجْله وخَلُّوا سَبِيله حتى يَبعث إليكم بفدائكم.

فَخَلَّوْ سَبيل سُهَيل وحَبسوا مِكْرَزاً. وكان سُهيل قد قام في قُريش خطيباً بعدما استنفرهم أبو سفيان للعِير، كما تقدَّم. فقال عمرُ بنُ الخطاب: يا رسولَ الله، دَعْنِي أنزع ثَنِيَّتَيْ سُهيل بن عمر، فإنه يَلْدَغ بلسانه[1]، فلا يَقومِ عليك خَطيباً في مواطِنَ أبداً. فقال رسول الله ﷺ: «لا أُمَثِّلُ به فيُمَثِّل الله بي وإن كنتُ نَبِيّاً، وإنه عسى أن يقوم مَقاماً لا تَذُمُّه».

المطعمون من قريش

كان عظماء قريش وأغنياؤهم وساداتهم، تَعهَّدوا أن يُطعُموا الجيش الذي خرج إلى بدر لحماية عِيرِهم، كلّ يومٍ على رَجل من عظمائهم. والذين تعهدوا بذلك هم: العباس بن عبد المطلب، وعُتبة بن ربيعة،

(١) في سيرة ابن هشام ٢: ٣٠٤ «ثنيتي سهيل بن عمرو، ويدلع لسانه، فلا يقوم» ومعنى يدلع: يخرج.

والحارث بن عمرو بن نوفل، وطُعَيْمة بن عَدِيّ بن نَوْفل، وأبو البَخْتَرِيّ بن هشام، وحَكِيم بن حِزام، والنَّضْر بن الحارث بن كَلَدَة العَبْدَرِيّ، وأبو جهل بن هِشام، وأميّة بن خلف، ونُبَيْه ومُنَبِّه ابنا الحَجَّاج الجمحيّ، وسُهيل بن عمرو العامريّ،

وكان خرج العبَّاسُ ومعه عِشرون أُوقية من ذهب ليُطعِم بها إذا جاءت نوبته، فكانت نَوْبَتَه يوم الوَقْعَة ببدر، فأراد أنْ يُطعم ذلك اليوم، فاقتتلوا فلم يُطْعِم شيئاً، وبقيت العشرون أوقية معه. فلما أُسر أخذت منه، فكلّم رسول الله ﷺ أن يَحْسِب العِشرين أوقية من الفداء. فأَبَى رسول الله ﷺ وقال: «أمَّا شيءٌ خَرجْت به لتَستعِين به علينا فلا أتركه لك» وكُلِّفَ فِداءَ ابنَيْ أخِيه عَقِيل بن أبي طالب، ونَوْفَل بن الحارث، فقال العباس: يا محمد، تتركني أتكَفَّفُ قريشاً ما بقيت؟ فقال رسول الله ﷺ: «فأين الذهب الذي دَفَنَتْه أمُّ الفَضْل وقت خروجك من مكة، وقلت لها: إني لا أدري ما يُصيبني في وجْهي هذا، فإن حَدَثَ بي حَدَثٌ فهذا لك، ولعَبْدِ الله، والفَضْلِ، وقُثَم» يعني بَنِيه.

فقال العباس: وما يُدْرِيك يا ابنَ أخي؟ قال: «خبرني به رَبيّ»، قال العباسُ: أشهد إنك لصادقٌ، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأنك عبدُه ورسوله، لم يطَّلِع عليه أحدٌ إلاّ الله. وأمرَ ابنَيْ أخيه عَقِيلاً ونَوْفَرً، فأَسْلما. وهذا يدل على أَن العباس لم يُسْلِم قبلَ ذلك.

فهذا حاصل ما وقع في غزوة بدر الكبرى، وما جرى فيها من قتال ومبارزة. فقد اقتتل ثلاثمائة من المسلمين، مع ثلاثة أضعافهم من المشركين، وإن أصحاب رسول الله ﷺ، من مهاجرين، وأنصار، لم يكونوا على استعداد تام في كل ما يلزمهم من سلاح، وخيل، وركائب، وذلك لأنهم نفروا متعجِّلين لإدراك عير قريش قبل فواتها، وكان غالبهم لا

يملك كل ما يحتاجه من عتاد.

وأما المشركون فقد خرجوا من مكة على استعداد تام، في كل ما يلزمهم، من خيل، وسلاح، وركائب، فكان لديهم من الخيل مائة، ومن الركائب سبعمائة، يقابله ما كان عند المسلمين: ثلاثة من الخيل، وسبعون من الركائب، ولم يخطر ببال المسلمين حين خروجهم أنهم سيلقون نَفِير قريش، بما فيهم من أشراف وحلفاء، وأحابيش، وما شعروا بهم إلا بغتةً في بدر، فقد التَقَوْا بالعدوِّ على حين غِرّة، ووقعت الواقعة، واقتتل الفريقان، وتصارع الأبطال، وتبارز الفرسان، وحملت الصفوف بعضها على بعض، وبذل كل فريق جهده، وأفرغت كل طائفة ما عندها من بسالة وشجاعة، فانجلت المعركة عن فوز القِلّة، على الكثرة، تلك القلّة في العَدد والعُدَّة والعتاد، ولكنها كانت كثيرة الإيمان بالله، قوية اليقين في نصر الله، فبذلك قد فازت على عدو الله المغرور باللاَّت والعُزَّى.

فقتلت منهم سبعين بطلاً مِغواراً شريفاً، وأسرت سبعين سيِّداً جبَّاراً عنيداً، وغنمت ما كان لديهم من سلاح وخيل وإبل وعتاد وذلك مقابل ما استشهد من حزب الله تعالى وجنده أربعة عشر قتيلاً، وبذلوا أرواحهم الطاهرة في سبيل إعلاء كلمة الله تعالى فهل كان يعقل أو يتصور حصول ذلك بغير قوى الإيمان بالله تعالى، قوى الاعتماد على رب العِزَّة والجَبروت؟ على المغرور بِشِرْكه، المفتون بعزة نفسه، شديد الظلم على عباد الله المخلصين في طاعته، والمتمسكين بحبله؟ حاشا وكلاّ، لا يتصوره إلاّ كلُّ مخلص في وحدانية الله عز وجل!! فهذا قضاء الله تعالى وقدره على أهل البغي والفساد، وعلى أرباب الشرِّ والعِناد.

فقتل اللَّهُ القاهرُ فوق عباده، أبا جهل، رأسَ الكفر والفساد، والغطرسة والغرور بقضاء الله عز وجل وقدره على الضالين المضلين. ذلك أبو جهل الذي تصدَّى أكثر من غيره لإطفاء نور الله تعالى بغروره،

وإيذاء رسول الله ﷺ وكل من آمن بالله وبنبوة رسوله ﷺ.

كما قتل أمية بن خلف، وجعل قتله على يد من كان بالأمس يَزدريه، ويُعذبه ويؤذيه. وكان في نظره أحقر من الذباب ذلك (بلال الحبشي)، فأصبح ذلك الحقير - في نظره - عظيماً بإيمانه، كبيراً بإسلامه. قويّاً بالله عز وجل، فمكّنه الله عز وجل منه في موطن البأس، فشدَّ عليه مع الأنصار، وأذاقه بسيفه البتار أَلَم القتلِ، وحاسبه حساباً عسيراً، فقتله وابنه شرَّ قِتْلة، وأعلمه عاقبة البغي، في يوم يتبارى فيه السيد والمولى، والشريف والوضيع، فهل خطر على قلب أمية بن خلف، ذلك الشريف القرشي السيد في قومه، صاحب الجاه والمال والسؤدد والجبروت في عشيرته، أن يأتي عليه يوم في الدنيا قبل الآخرة كيوم (بدر) يحاسبه فيه (بلال) حساباً عسيراً، ويقتص منه بيده؟ كلا!!

وكذلك أبو جهل، فما أظنه قد خطر بباله أنه إذا أتى (بدراً) يطأ على رقبته عبدُ الله بن مسعود؟ وذلك لأنه لا يعلم أن يوم بدر يكون ميدان مباراة بين أهل الإيمان، وأهل الشرك. وأن العاقبة للمتقين، حيث إنه أتى بدراً لأجل أن ينحر فيها الجزور، ويشرَب الخمر وتعزف له القينات، وتسمع بمسيرهم القبائل فَيهَابُوهم. فقد أفلَ نجمُه. وبرَّ بيمينه. وورد بدراً، ولكنه لم يشرب الخمر، بل شرب الحَميم. ولم يسمع عزف القينات، بل سمع صَليل السيوف.

وكذلك كان عاقبة طغاة قريش وبغاتهم، مثل عتبة بن ربيعة. وشيبة بن ربيعة، ونُبيه، ومُنبّه ابنا الحجاج، لأنه لم يخطر ببالهم أن أحداً يجسر على مبارزتهم، لما يعهدونه في أنفسهم من الشجاعة، والقوة والبأس والشدة، لأنهم يعتمدون على أنفسهم. فقد برزَ لهم أسودُ الله، وأبطال الإسلام. فما برحوا من موقفهم حتى نالوا حتفهم، وذاقو ألمَ طُغيانهم، وسُحِبوا من أرجلهم سَحبَ الشاةِ المذبوحةِ، إلى القَليب. فهذه صناديد

قـريش في خَيْلها، وخُيَـلائها وفـرسانهـا وأبـطالهـا، وشجعـانهـا وجَمْعِهـا وقُـوَّتها واستعـدادها، فقـد قدر الله سبحـانه وتعـالى لتلك الفئـة القليلة الضعيفة، الضئيلة، أن تقتل أبطالها، وتَصرع فرسانها، وتُبيد شجعانهـا، وتأسر أشرافها، وتنتفل غنائمها، فهذا الذي يجعلنا نُكـرِّر القول بـأنه لم يخطر ذلك على بالها، ولا دار بخلدها، وما أظنها كانت تُصدِّق بوقوعه ولو قال لها به ألفُ نبيٍّ ورسول، أو نطقت لهم بهِ اللاَّتُ والعزّى، لما هم فيه من الغرور، حيث إن الغرور وحده كافٍ لخذلان صاحبه؛ هكذا يصرع الله الطغاة!! وهكـذا يبيد الله البغـاة!! وهكذا يسحق الله الـظالمين!! وهكذا يمحق الله الكافرين!! وبذلك يكون النصر حليف المؤمنين، وعلى ذلـك تكون العاقبة للمتقين. حيث قد جعل الله سبحانه وتعالى قوة الإيمان بـه فوق كل قـوة، في ذلك العصـر، وفي عموم العصـور، لأن الإيمان هـو السلاح الوحيد للمسلم، سواء في ذلك العصر أو في أي عصر كان، فمتى تَقلَّدَ المسلم سـلاح الإيمان فهو قوي في كل عصر ومصر إلى يوم القيامة.

نزول سورة الأنفال ببدر

أنزل الله تبارك وتعالى سورة الأنفَال ببدر، مفصلاً بها حالتهم حين خـروجهم، وقلتهم أمام عـدوهم، ووعدهم من الله تعـالى بـالنصـر على عدوِّهم، وإنزال الغيث عليهم، وإمدادهم بالملائكة بقوله تعالى:

﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِن الملائِكةِ مُرْدِفِينَ﴾[1] وقال تعالى:

﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الملائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الذينَ آمنُوا سَأُلْقِي فِي

(١) سورة الأنفال، الآية: ٩.

قُلُوبِ الذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْنَاقِ واضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ * ذٰلِك بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ومَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ ورَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ العِقَابِ﴾[1] وقوله تعالى يخاطب المهاجرين:

﴿واذْكُرُوا إِذْ أَنتمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ تَخافُونَ أَنْ يَتخطَّفكُم النَّاسُ فَآوَاكُمْ وأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[2] وذكَّر نبيه ﷺ بما صنع أبو جهل وحزْبُه بمكة بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الذينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أو يَقْتُلُوكَ أو يُخْرِجُوكَ ويمْكُرون ويَمْكُرُ اللَّهُ واللَّهُ خَيْرُ الماكِرِينَ﴾[3] وذكر حالة كفار قريش بقوله تعالى: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعذِّبَهم اللَّهُ وهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ المَسْجِدِ الْحرام وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا المُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهمْ لا يَعْلَمُونَ * وَما كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ البَيْتِ إِلَّا مُكاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا العَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ * إِنَّ الذِينَ كَفرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَها ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالذِينَ كَفرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾[4] لقد ذاق المشركون فعلاً العذاب، وبالقتل والأسر ببدرٍ مُعجَّلاً، وَمؤَجَّلاً يوم القيامة. وقال تعالى: ﴿قلْ للذِينَ كَفرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ ما قَدْ سَلَفَ[5] وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ *[6] وقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكونَ الدِّينُ كُلُّهُ

---

(١) سورة الأنفال، الآيتان: ١٢، ١٣.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٢٦.

(٣) سورة الأنفال، الآية: ٣٠.

(٤) سورة الأنفال، الآيات ٣٤، ٣٥، ٣٦.

(٥) أي لمن بقي من المشركين بعد وقعة بدر. وهذا لطف من الله تعالى ورأفة بخلقه إن تكن لهم شفقة على أنفسهم فيقلعون عن شركهم وأوزارهم ويؤوبون إلى الله تعالى.

(٦) أي قد رأوا ما صنع الله بهم يوم بدر.

للّهِ[1] فَإِن انْتَهوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * وَإِنْ تَولَوْا فَاعْلَمُـوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعْمَ المَوْلَى وَنِعْمَ النصير[2]﴾ ثم أنزل الله تعالى على رسوله كيفية الْحُكم في تقسيم الغنائم فقال تعالى:

﴿وَاعْلُموا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِن شَيْءٍ فَأَنَّ للَّهِ خُمُسَهُ وللرَّسـولِ وَلِـذي القُرْبَى وَاليَتَامَى والمَساكِينِ وابْنِ السَّبيلِ إنْ كُنْتُمْ آمنتُمْ بِاللَّهِ وَما أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الفُرْقَانِ[3] يَوْمَ التَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * إِذْ أَنتُمْ بِـالعُدْوَةِ الـدُّنْيَا[4] وَهُمْ بِـالعُدْوَةِ القُصْـوَى[5] وَالرَّكْبُ أَسْفَـلَ مِنْكُمْ[6] وَلَـوْ تَوَاعَدتُمْ لاَخْتَلَفْتُمْ فِي المِيعَادِ[7] ولٰكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيي مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[8] وهكذا نزلت سورة الأنفال بتفصيل وقعة بدر، وحالة المؤمنين، وحالة المشركين، وما مَنَّ الله تعالى على المؤمنين من النصر، والعِزِّ، والفوز، وما قضى الله على المشركين من القتل والأسر، والهلاك. وهكذا حكمة الله في مُلْكِـه وخَلْقه وعجائب قُدْرته على عباده، والله بصيرٌ بالعِباد.

---

(١) أي فلا يفتتن مسلم عن دينه ولا يعبد صنماً.

(٢) سورة الأنفال، الآيات ٣٨، ٣٩، ٤٠.

(٣) يوم الفرقان، يوم بدر.

(٤) شق الوادي الأدنى من جهة المدينة.

(٥) شق الوادي الأقصى من جهة مكة.

(٦) أي عير قريش وأبو سفيان وحاميا العير، بغرب بدر على بعد ثلاثة أميال من بدر من جهة ساحل البحر.

(٧) حيث كان خروج النبي ﷺ وأصحابه لعير قريش فلم يستعدوا لقتال قريش: الذين هم ثلاثة أضعافهم، لأن الحكمة تقتضي أن لا يقابل العدو إلا بمثل عدده وعدته أو أزيد. ولو بلغهم خروج قريش بهذه القوة، وهذا الاستعداد لما خرجوا لهم بما هم عليه من القلة. ولكن إرادة الله قضت بذلك. حتى يرى المؤمنـون نصر الله لهم.

(٨) سورة الأنفال، الآيتان: ٤١، ٤٢.

أسمـــاء من حضـــر وقعـــة بـــدر من المسلمين

حزب المهاجرين(1)

حضر وقعة بدر من المهاجرين ثلاثةٌ وثمانون رجلاً، وهم:

١ ـ محمد رسول الله ﷺ سيد المرسلين وإمام المتقيم.
٢ ـ حمزة بن عبد المطلب عمّ رسولِ الله ﷺ وأسد الله وأسد رسوله.
٣ ـ عليٌّ بن أبي طالب.
٤ ـ زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ.
٥ ـ عُبيدة بن الحارث بن المطَّلب.
٦ ـ أبو كَبْشَة مولى رسول الله ﷺ.
٧ ـ أبو مَرْثَد الغَنوِيّ.
٨ ـ مَرْثَد بن أبي مَرْثد الغنويُّ ـ المتقدم ـ حليف حمزة بن عبد المطلب.
٩ ـ الطُّفيل بن الحارث بن المطلب.
١٠ ـ الحُصَين بن الحارث بن المطَّلب.
١١ ـ مِسْطَح واسمه عَوْف بن أثاثة بن عبَّاد بن المطَّلب.
١٢ ـ أَنَسَةُ مولى رسول الله ﷺ.

فهؤلاء الاثنا عشر رجلاً من بني هاشم وآل المطلب. وموالي القوم يعدون منهم.

---

(١) انظر سيرة ابن هشام جـ ٢ ص ٣٣٣.

١٣ ـ أبو حُذيفة بن عُتبة بن ربيعة.

١٤ ـ سالم مولى أبي حذيفة.

١٥ ـ عبد الله بن جَحش.

١٦ ـ عُكّاشَة بن مِحْصَن.

١٧ ـ شُجاع بن وَهْب الأسديّ.

١٨ ـ وأخوة عُقبة بن وَهْب الأسديّ.

١٩ ـ أبو سِنَان بن مِحْصَن أخو عكَّاشَة بن مِحْصن.

٢٠ ـ وابنه سِنان بن أبي سِنان ـ المتقدم ـ الأسديّ.

٢١ ـ مُحْرِز بن نَضْلَةَ الأسديّ.

٢٢ ـ رَبِيعة بن أَكثم الأَسديّ من حلفاء بني أسد.

٢٣ ـ ثَقْف بن عمرو[1].

٢٤ ـ مالك بن عَمْرو[1].

٢٥ ـ مُدْلج[2] بن عمرو[1].

٢٦ ـ يَزيد بن رُقَيْش الأسديّ.

٢٧ ـ أبو مَخشي حليف بن حَجْر آلا بني سُلَيْم واسمه سُوَيْد بن مَخْشي الطائي.

٢٨ ـ عُتبة بن غَزْوَان النَّوْفليّ.

٢٩ ـ خَبَّاب مولى عُتبة بن غزوان.

٣٠ ـ الزُّبَيْر بن العَوَّام.

٣١ ـ حَاطِب بن أبي بَلْتَعَة.

٣٢ ـ سَعْد الكلبيّ مولى حَاطِب بن أبي بَلتعة.

٣٣ ـ مُصْعَب بن عُمَير العَبْدَرِيّ.

٣٤ ـ سُوَيْبط بن سعد العبدريًّ.

---

(١) وهم من بني حَجْر وأبو مخشي حليف لهم. [المصحح].

(٢) اسمه أيضاً مدلاج بن عمرو.

٣٥ ـ عبد الرحمن بن عَوْف.
٣٦ ـ سعد بن أبي وَقَّاص.
٣٧ ـ عُمَيْر بن أبي وَقَّاص.
٣٨ ـ المِقْدَاد بن عَمْرو بن الأسود[1] الحضرمِيّ.
٣٩ ـ عبد الله بن مسعود الهذلي.
٤٠ ـ مسعود بن رَبيعة بن عَمرو من القَارَة.
٤١ ـ ذو الشِّمالين بن عبد عمرو الخُزاعي واسمه عُمَير.
٤٢ ـ خباب بن الأرتّ.
٤٣ ـ أبو بكر الصِّديق.
٤٤ ـ عامر بن فُهَيْرة مولى أبي بكر الصديق.
٤٥ ـ بِلال بن رَباح مولى أبي بكر.
٤٦ ـ صُهَيْب بن سِنان.
٤٧ ـ أبو سَلَمة بن عبد الأَسد.
٤٨ ـ شَمَّاس بن عثمان بن الشريد المخزومي.
٤٩ ـ الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي.
٥٠ ـ عمَّار بن ياسر.
٥١ ـ مُعَتِّب بن عَوْف بن عامر الخُزاعيّ.
٥٢ ـ عُمر بن الخطاب.
٥٣ ـ زَيْد بن الخطاب.
٥٤ ـ مِهْجَع مولى عُمر بن الخطاب.
٥٥ ـ عمرو بن سُرَاقة بن المُعْتَمِر.
٥٦ ـ عبد الله بن سُراقة.
٥٧ ـ واقِد بن عبد الله حَليف بني عَديّ.

---

(١) في سيرة ابن هشام: المقداد بن عمرو بن ثعلبة من بهراء.

٥٨ ـ خَوْلِيّ بن أبي خَوْلِيّ حليف بني عديّ.

٥٩ ـ مالك بن أبي خَوْلّي.

٦٠ ـ عامر بن ربيعة حليف آل الخطاب.

٦١ ـ عامر بن البُكَير بن عبد ياليل.

٦٢ ـ عاقل بن البُكير.

٦٣ ـ خالد بن البُكير.

٦٤ ـ إياس بن البكير، حلفاء بني عديّ.

٦٥ ـ عثمان بن مَظعون.

٦٦ ـ السائب بن عُثمان بن مظعون.

٦٧ ـ قُدَامة بن مَظعون.

٦٨ ـ عبد الله بن معظعون.

٦٩ ـ معمَـر بن الحارث بن مَعمر الجمحيّ.

٧٠ ـ خُنَيْس بن حُذافة السَّهْميّ.

٧١ ـ أبو سَبْرة بن أبي رُهمْ العامريّ.

٧٢ ـ عبد الله بن مَخْرَمة بن عبد العُزَّى.

٧٣ ـ عبد الله بن سُهَيل بن عمرو بن عبد شمس. خرج مع أبيه سُهيل بن عمرو، فلما نزل الناس ببدر فرَّ إلى رسول الله ﷺ فشهدها معه.

٧٤ ـ عُمَيرُ بن عوف مولى سُهَيل بن عمرو.

٧٥ ـ سعد بن خَوْلة العامريّ.

٧٦ ـ أبو عُبيدة عامر بن الجرَّاح.

٧٧ ـ عمرو بن الحارث بن زُهير.

٧٨ ـ سُهَيْل بن وَهْب بن رَبيعة، ابن بيضاء.

٧٩ ـ صفوان بن وهب، ابن بيضاء.

٨٠ ـ عمرو ابن أبي سرح.

٨١ ـ وهب بن سعد بن أبي السَّرْح.

٨٢ - حَاطِب بن عمرو.

٨٣ - عِيَاض بن زهير بن أبي شدَّاد الفِهري.

فهؤلاء ثلاثة وثمانون رجلاً من المهاجرين الذين شهدوا وقعة بدر، وقد ضرب رسول الله ﷺ لثلاثة من أصحابه المهاجرين السابقين الأولين بسهم في غنائم بدر. وهم: عثمان بن عفَّان، تخلف بالمدينة على امرأته رُقَيَّة بنت رسول الله ﷺ، فضرب له رسول الله ﷺ بسهم قال عثمان: وأَجْراً يا رسول الله؟ قال: «وأَجْرُك».

وطلحة بن عُبيد الله، وسَعِيد بن زيد، بعثهما رسول الله ﷺ يتجسَّسان خَبَر عِير قريش، فقدِما المدينة بعد أن رجع رسول الله ﷺ، فكلَّماه فضرب لكلٍّ واحد منهما بسهم، فقالا: وأَجْرنا يا رسول الله. قال لكل واحد منهما: «وأَجرك». رضي الله عنهم أجمعين، وجزاهم عن الإسلام والمسلمين خير جزاء.

حزب الأنصار[1]

وشهد بدراً من الأنصار مع رسول الله ﷺ من الأوس سبعة وخمسون رجلاً وهم:

١ ـ سعد بن مُعاذ.

٢ ـ عَمرو بن مُعاذ.

٣ ـ الحارث بن أوس بن مُعاذ.

٤ ـ الحارث بن أنس بن رَافع.

٥ ـ سعد بن زيد بن مالك.

٦ ـ سلمة بن سلاَمة بن وَقَش.

٧ ـ عبَّاد بن بِشر بن وَقَش.

٨ ـ سلمة بن ثابت بن وَقَش.

٩ ـ رافع بن يَزيد بن كُرز.

١٠ ـ الحارث بن خَزَمَة بن عديّ.

١١ ـ محمد بن مَسلمة بن خالد.

١٢ ـ سلمة بن أسلَم بن حَرِيش.

١٤ ـ عُبَيد بن التَّيِّهان[2].

١٥ ـ عبد الله بن سَهْل.

وهؤلاء الخمسة عشر من بني عبد الأشهل.

١٦ ـ قتادة بن النُّعمان بن زيد[3].

---

(١) انظر سيرة ابن هشام جـ ٢ ص ٣٤٢.

(٢) يقال أيضاً: عتيك بن التيهان.

(٣) في الأصل «بن المنذر» والتصويب عن ابن هشام ١/٦٨٧. [المصحح].

١٧ - عُبيد بن أوْس بن مالك ويقال له المقرِّن، لأنه قَرَن أربعة أسرى يوم بدر، فيهم: عَقيل بن أبي طالب.

١٨ - نَضْر بن الحارث بن عبد.

١٩ - مُعَتِّب بن عَبْد.

٢٠ - عبد الله بن طارق البلويّ حليفهم.

٢١ - مسعود بن سعد بن عامر.

٢٢ - أبو عَبْس بن جَبْر بن عمرو.

٢٣ - أبو بُرْدَة هانىء بن نِيار البلويّ حليفهم.

٢٤ - مُعَتِّب بن قُشير بن مُلَيل.

٢٥ - أبو مُلَيل بن الأزعر.

٢٦ - عُمرو بن معبد بن الأزعر.

٢٧ - سَهْل بن حُنَيف بن وهب.

٢٨ - مُبَشِّر بن عبد المنذر بن زَنْبر.

٢٩ - رفاعة بن عبد المنذر بن زَنْبر.

٣٠ - سعد بن عُبَيد بن النُّعمان.

٣١ - عُويم بن ساعدة.

٣٢ - رافع بن عُنْجُدة.

٣٣ - عُبيد بن أبي عُبيد.

٣٤ - ثَعلبة بن حاطِب بن عمرو.

٣٥ - أُنيس بن قَتادة بن ربيعة.

٣٦ - مَعْن بن عَدِيّ البلويّ من حلفائهم.

٣٧ - ثابت بن أَرْقم[1].

٣٨ - عبد الله بن سَلمة بن مالك.

٣٩ - زيد بن أَسلم بن ثعلبة.

---

(١) في سيرة ابن هشام مكتوب أقرم وذلك عن نسخة وعن الاستيعاب.

٤٠ ـ رِبعيّ بن رافع بن زيد.

٤١ ـ عبد الله بن جخبير بن النعمان.

٤٢ ـ عاصم بن قَيس.

٤٣ ـ أبو ضَيَّاح بن ثابت بن النعمان.

٤٤ ـ وأخوه أبو حَنَّة[1].

٤٥ ـ سالم بن عُمير بن ثابت بن النُّعمان.

٤٦ ـ الحارث بن النُّعمان.

٤٧ ـ خَوَّات بن جُبَير بن النعمان.

٤٨ ـ مُنذر بن محمد بن عُقْبة.

٤٩ ـ أبو عقيل بن عبد الله بن ثعلبة، حليفهم من قضاعة.

٥٠ ـ قِسْميل بن فَارَان[2].

٥١ ـ سعد بن خَيْثَمة بن الحارث.

٥٢ ـ مُنذر بن قُدامة بن عَرْفجة.

٥٣ ـ الحارث بن عَرْفجة.

٥٤ ـ تَميم مولى بني غنْم[3].

٥٥ ـ جَبْر بن عتيك بن الحارث.

٥٦ ـ مالك بن نُميلَة المُزَنيّ، حليفهم.

٥٧ ـ النعمان بن عَصرَ البلوى حليفهم.

وشهد بدراً مع رسول الله ﷺ من الأنصار الْخَزْرجِ مائةٌ وستة وسبعون رجلاً وهم.

---

(١) ويقال فيه أيضاً «أبو حبة» «وأبو حية» انظر سيرة ابن هشام جـ ٢ ص ٣٤٦.

(٢) قسميل بن فاران هو جد قديم، وقد وهم المؤلف حين عدّه ممّن شهد بدراً، حيث أورده ابن هشام في سلسلة نسب أبي عقيل بن عبد الله، انظر ابن هشام ١/ ٦٩٠. وجمهرة ابن حزم ٤٤٣. [المصحح].

(٣) قال ابن هشام: تميم مولىٰ سعد بن خيثمة.

٥٨ - خارِجة بن زيد بن أبي زُهير.

٥٩ - سعدُ بن ربيع بن عَمْرو.

٦٠ - عبد الله بن رَوَاحة.

٦١ - خلَّاد بن سُوَيد بن ثعلبة.

٦٢ - بَشير بن سعد بن ثعلبة.

٦٣ - سِمَاك بن سَعْد.

٦٤ - سبيع بن قيس بن عيشة.

٦٥ - عبَّادِ بن قيس.

٦٦ - عبد الله بن عَبْس.

٦٧ - يزيد بن الحارث بن قيس ويقالُ له ابن فُسْحُم.

٦٨ - زيد بن الحارث بن الخزرج[١].

٦٩ - خُبَيْب بن إساف بن عِتَبَة.

٧٠ - عبد الله بن زيد بن ثعلبة.

٧١ - الحارث[٢] بن زيد.

٧٢ - سُفْيَان بن نَسْر[٣] بن عمرو.

٧٣ - تميم بن يَعَار بن قيس.

٧٤ - عبد الله بن عُمَير بن عَدِيّ.

٧٥ - زيد بن المُزَين[٤] بن قيس.

٧٦ - عبد الله بن عُرْفُطة بن عديّ.

٧٧ - عبد الله بن ربيع بن قيس.

---

(١) كذلك وهم المؤلف هنا في إثبات زيد بن الحارث بن الخزرج فهو كذلك جد قديم. وسبب الوهم أن ابن هشام أورده في سلسلة نسب الخزرج وهما التوءمان: جُشم وزيد. انظر سلسلة ابن هشام ١/٦٩٢ وجمهرة ابن حزم ٣٦١.

(٢) في ابن هشام: حريث.

(٣) وقيل فيه «بشر» انظر سيرة ابن هشام ٢/٣٤٩.

(٤) ويقول فيه «بن المري».

٧٨ ـ عبد الله بن عبد الله بن أبي بن مالك وهو ابن عبد الله بن أُبي ابن سلول رئيس اتلمنافقين.

٧٩ ـ أَوْس بن خَوْلِيّ بن عبد الله،

٨٠ ـ زيد بن وديعة بن عمرو.

٨١ ـ عُقبة بن وَهْب بن كَلَدة، حليفهم.

٨٢ ـ رِفاعة بن عمرو بن زيد.

٨٣ ـ عامر بن سَلَمة بن عامر اليمانيّ[1]، حليفهم من بَلِيّ من قُضاعة.

٨٤ ـ أبو حُمَيضة معبد بن عبَّاد.

٨٥ ـ عامر بن البُكَيْر[2] حليفهم[3].

٨٦ ـ نوفل بن عبد الله بن نَضْلة.

٨٧ ـ عبادة بن الصامت.

٨٨ ـ أوس بن الصامت.

٨٩ ـ النعمان بن مالك بن ثعلبة.

٩٠ ـ ثابت بن هَزَّال بن عمرو.

٩١ ـ مالك بن الدُّخْشم بن مَرْضَخة.

٩٢ ـ ربيع بن إياس بن عمرو.

٩٣ ـ ورقة بن إياس.

٩٤ ـ عمرو بن إياس[3].

٩٥ ـ المُجذَّر بن ذِيَاد البلوى حليفهم[4].

٩٦ ـ عُبَادة بن الخَشْخاش بن عمرو.

---

(١) قال ابن هشام ١/٦٩٣، ويقال عمر بن سلمة وهو من بليّ من قضاعة وحليفهم: أي حليف بني جزء بن عدي. [المصحح].

(٢) ويقال له أيضاً العكير.

(٣) عمرو بن إياس حليف لبني لوذان، وربيع وورقة أخوان من بني لوذان. [المصحح].

٩٧ - نَحَّاب بن ثعلبة بن حَزَمة، ويقال له بحّاث.
٩٨ - عبد الله بن ثعلبة بن حَزَمَة، وأخوه.
٩٩ - عتبة بن ربيعة بن خالد، حليفهم[١] من بني بهراء.
١٠٠ - أبو دُجَانة سِمَاك بن خَرَشَة.
١٠١ - المنذر بن عمرو بن خُنَيس.
١٠٢ - أبو أُسَيد مالك بن ربيعة بن البَدِيّ.
١٠٣ - مالك بن مسعود البَدِيْ[٢].
١٠٤ - عبد ربه بن حَقّ بن أوس.
١٠٥ - كعب بن جَمَّاز[٣] الجهني، حليفهم[٤].
١٠٦ - ضَمْرة.
١٠٧ - وزِياد.
١٠٨ - وبَسْبَس، والثلاثة بنو عمرو بن ثعلبة الجهْني[٥] حليفهم.
١٠٩ - عبد الله بن عامر البَلوِيّ، حليفهم[٣].
١١٠ - خِرَاش بن الصِّمَّة بن عمرو.
١١١ - الحُباب بن المنذر بن الجَموح.
١١٢ - عُمَير بن الحُمام بن الجَموح.
١١٣ - تميم مولى خِراش بن الصِّمَّة.
١١٤ - عبد الله بن عمرو بن حَرام.
١١٥ - مُعاذ بن عمرو بن الجَموح.
١١٦ - مَعَوِّذ بن عمرو بن الجَموح.

---

(١) حليفهم: أي حليف بمنى لوذان.
(٢) قال ابن هشام (٦٩٦/١) مالك بن مسعود بن البدي. [المصحح].
(٣) ويقال «حمار».
(٤) حليهم أي حليف بني طريف. [المصحح].
(٥) قال ابن هشام (١٩٦/١) ضخمرة وزياد ابنا بشر. [المصحح].

١١٧ - خَلَّاد بن عمرو بن الجموح.
١١٨ - عُقبة بن عامر بن نابي.
١١٩ - حَبِيب بن أسود مولاهم.
١٢٠ - ثابت بن ثعلبة بن زيد.
١٢١ - عُمير بن الحارث بن ثعلبة.
١٢٢ - بِشْر بن البَراء بن مَعْرُور بن صخر بن مالك بن خنساء.
١٢٣ - الطُّفيل بن مالك بن خنساء.
١٢٤ - الطَّفيل بن النعمان بن خنساء.
١٢٥ - سِنَان بن صَيْفِيّ بن صخر بن خنساء.
١٢٦ - عبد الله بن الجَدّ بن قيس بن صخر بن خنساء.
١٢٧ - عُتْبة بن عبد الله بن صَخْر بن خنساء.
١٢٨ - جَبَّار بن صخر بن أُمَيّة بن خنساء.
١٢٩ - خارجة بن حُمَيّر.
١٣٠ - عبد الله بن حُمَير من أشجع، حليفانِ لهم.
١٣١ - يزيد بن المنذر بن سَرْح بن خُناس.
١٣٢ - مَعقِل بن المنذر بن سَرْح بن خُناس.
١٣٣ - عبد الله بن النعمان بن بَلْدمة.
١٣٤ - الضحّاك بن حارثة بن زيد.
١٣٥ - سَوَاد بن زُرَيْق[1] بن ثعلبة.
١٣٦ - معبد بن قيس بن صَخْر بن حرام.
١٣٧ - عبد الله بن قيس بن صَخْر بن حَرام.
١٣٨ - عبد الله بن عبد مناف بن النعمان.
١٣٩ - جابر بن عبد الله بن رئاب بن النعمان.
١٤٠ - خُلَيْدة بن قيس بن النُّعمان.

---

(١) ويقال: رزن.

١٤١ ـ النُّعمان بن سِنان، مولاهم:
١٤٢ ـ أبو المُنذر يزيد بن عامر بن حَدِيدة.
١٤٣ ـ سُلَيْم بن عمرو بن حَدِيدة.
١٤٤ ـ قُطْبَة بن عامر بن حَدِيدة.
١٤٥ ـ عنترة مولى سُلَيْم بن عمرو.
١٤٦ ـ عَبْس بن عامر بن عدّي.
١٤٧ ـ ثعلبة بن غَنَمة بن عدّي.
١٤٨ ـ أبو اليَسَر كعب بن عمرو بن عباد[1].
١٤٩ ـ سَهْل بن قيس بن أبي كعب[2].
١٥٠ ـ عِمرو بن طَلْق بن زيد.
١٥١ ـ مُعَاذ بن جَبل.
١٥٢ ـ قيس بن مِحْصن بن خالد.
١٥٣ ـ أبو خالد الحارث بن قيس بن خالد.
١٥٤ ـ جُبَير بن إياس بن خالد.
١٥٥ ـ أبو عُبادة سعد بن عثمان بن خَلَدة.
١٥٦ ـ عُقبة بن عثمان.
١٥٧ ـ ذَكْوان بن عبدِ قَيْس بن خَلَدة.
١٥٨ ـ مسعود بن خَلَدة.
١٥٩ ـ عبَّاد بن قيس بن عامر بن خالد.
١٦٠ ـ أسعد بن يزيد بن الفاكه بن زيد بن خلدة
١٦١ ـ الفاكِه بن بشر بن الفاكِه بن زيد بن خَلَدة.
١٦٢ ـ مُعَاذ بن ماعِص بن خَلَدة.
١٦٣ ـ وأخوه عائذ.

---

(١) في الأصل: كعب بن عبادة، والتصحيح عن ابن هشام ١/٧٠٠. [المصحح].
(٢) في الأصل «ابن سواد» والتصحيح عن المرجع السابق. [المصحح].

١٦٤ ـ مسعود بن سعد بن قيس بن خَلَدة.

١٦٥ ـ رِفاعة بن رافع بن العجلان.

١٦٦ ـ وأخوه خلاد.

١٦٧ ـ عُبيد بن زيد بن عامر بن العجلان.

١٦٨ ـ زياد بن لبيد بن ثعلبة بن سِنان بن بَياضة(١).

١٦٩ ـ فَرْوَة بن عمرو بن وَذْفة بن بياضة(١).

١٧٠ ـ خالد بن قيس بن مالك بن بياضة(١).

١٧١ ـ رُجَيلة بن ثعلبة بن خالد بن بياضة.

١٧٢ ـ عطية بن نُويرة بن عطية بن عامر بن بياضة.

١٧٣ ـ خليفة بن عديّ بن عمرو بن مالك بن بياضة.

١٧٤ ـ رافع بن المُعلَّى بن لَوْذَان.

١٧٥ ـ أبو أيُّوب خالد بن زيد الأنصاريّ(٢).

١٧٦ ـ عُمَارة بن حَزْم بن زيد بن لَوْذَان.

١٧٧ ـ سُراقة بن كعب بن عبد العزى.

١٧٨ ـ سُلَيم بن قيس بن قَهْد.

١٧٩ ـ سُهَيل بن رافع بن أبي عمرو.

١٨٠ ـ عدي بن الزَّغْباء الجهني حليفهم.

١٨١ ـ مسعود بن أوْس بن زيد.

١٨٢ ـ أبو خُزَيمة بن أوس أخوه.

١٨٣ ـ رافع بن الحارث بن سَوَاد بن زيد.

١٨٤ ـ مُعَوِّذ.

١٨٥ ـ ومُعَاذ.

١٨٦ ـ وعَوف، بنو الحارث بن رفاعة، وهم بنو عَفْراء.

---

(١) بياضة هو الجد الثالث لسنان ومالك، والثاني لوذفة.

(٢) كذا في الأصل وهؤلاء كلهم من الأنصار.

١٨٧ ـ النّعْمان بن عمرو بن رفاعة.

١٨٨ ـ عامر بن مُخَلّد بن الحارث.

١٨٩ ـ عبد الله بن قَيْس بن خالد.

١٩٠ ـ عُصَيْمة، حليفهم من أشجع.

١٩١ ـ وَدِيعة بن عمرو الجهنيّ حليفهم.

١٩٢ ـ ثابت بن عمرو بن زيد.

١٩٣ ـ ثَعلبة بن عمرو بن مِحْصَن بن عمرو بن عَتيك.

١٩٤ ـ سَهْل بن عَتِيك بن عمرو بن النُّعمان بن عَتيك.

١٩٥ ـ الحارث بن الصِّمَة بن عمرو بن عَتِيك.

١٩٦ ـ أُبَيّ بن كعب بن قَيْس الأنصاري[1].

١٩٧ ـ أنس بن مُعاذ بن أَنَس.

١٩٨ ـ أوْسُ بن ثابت بن المنذر بن حَرَام.

١٩٩ ـ أبو شَيْخ أُبَيّ[1] بن ثابت بن المنذر بن حرام.

٢٠٠ ـ أبو طَلْحة زيد بن سَهْل بن الأسود بن حَرَام.

٢٠١ ـ حارثة بن سُرَاقة بن الحارث.

٢٠٢ ـ عمرو بن ثعلبة بن وَهْب بن عديّ.

٢٠٣ ـ سَلِيط بن قيس بن عمرو بن عَتِيك.

٢٠٤ ـ أبو سَلِيط أُسَيْرة بن عمرو.

٢٠٥ ـ ثابت بن خَنْساء بن عمرو.

٢٠٦ ـ عامر بن أُمَيَّة بن زيد.

٢٠٧ ـ مُحْرِز بن عامر بن مالك.

٢٠٨ ـ سواد بن غَزِية بن أُهيب البلويّ حليفهم.

٢٠٩ ـ أبو زيد قَيْس بن سَكَن بن قيس بن زَعُوراء بن حرام.

٢١٠ ـ أبو الأعور بن الحارث بن ظالم بن عَبْس بن حرام.

---

(١) أبي هذا أخو حسان بن ثابت.

٢١١ - سُلَيم بن مِلْحان.
٢١٢ - حَرام بن مِلْحان بن خالد بن زيد بن حرام.
٢١٣ - قيس بن أبي صَعْصَعة.
٢١٤ - عبد الله بن كَعْب بن عمرو.
٢١٥ - عُصَيْمة الأسدي حليفهم.
٢١٦ - أبو داود عُمَير بن عامر بن مالك بن خَنْساء.
٢١٧ - سُرَاقة بن عمرو بن عطية بن خَنْساء.
٢١٨ - قيس بن مُخَلَّد بن ثعلبة.
٢١٩ - النعمان بن عبد عمرو بن مسعود.
٢٢٠ - الضحْاك بن عبد عمرو بن مسعود.
٢٢١ - سُلَيم بن الحارث بن ثعلبة، أخو الضحاك لأُمّه.
٢٢٢ - جابر بن خالد بن عبد الأشهل.
٢٢٣ - سعد بن سُهَيل بن عبد الأشهل.
٢٢٤ - كعب بن زيد بن قيس.
٢٢٥ - بُجير بن أبي بُجير من غَطَفان حليفهم.
٢٢٦ - عِتْبَان بن بن مالك بن عمرو بن العجلان.
٢٢٧ - مُلَيْل بن وبرة بن خالد بن العجلان.
٢٢٨ - عِصْمَة بن الْحُصَين بن وَبرة بن خالد بن العجلان.
٢٢٩ - هِلال بن المُعَلَّى بن لَوْذَان.

هذا ما ذكره ابن إسحاق من رواية ابن هشام في سيرته ممن شهد بدراً من الأنصار. وزاد الحافظ ابن حجر في الإصابة من لم يذكرهم ابن إسحاق ممن شهد بدراً من الأنصار وهم:

٢٣٠ - هِلال بن أبّي خَوْلِيّ بن عمرو بن زُهير الجعفي الأنصاري.
٢٣١ - وأخواه خَوْلي.
٢٣٢ - وعبد الله.

٢٣٣ ـ هلال بن أُمية بن عامر بن قيس بن عبد الأعلم الواقفي الأنصاري[١].

هذا ما وقفت عليه بعد مراجعة الإصابة. وعليه فالذي شهد بدراً من المهاجرين ثلاثة وثمانون رجلاً، والذي شهدها من الأوس سبعة وخمسون رجلاً، والذي شهدها من الخزرج مائة وستة وسبعون رجلاً. وقد ذكر ابن إسحاق أن الذين شهدوا بدراً من المهاجرين والأنصار ومن ضرب له بسهم وأجر، ثلاثمائة وأربعة عشر رجلاً، وكان ممن ضرب لهم بسهم من المهاجرين ثلاثة لم ندخلهم فيمن عددناهم من المهاجرين، وكذلك الذين أدرجناهم هنا ممن نقلناهم من الإصابة في آخر عدد الأنصار من الأوس في عداد الأوس، وعليه فيكون مجموع من حضر بدراً من المهاجرين ستة وثمانون رجلاً، ومن الأوس واحد وستون رجلاً، ومن الخزرج مائة وستة وسبعون رجلاً، ومجموعهم من المهاجرين والأنصار ثلاثمائة وثلاثة وعشرون رجلاً، وإذا أخرجنا منهم من ضرب له بسهم ولم يحضرها ـ وهم سبعة ـ فيكون من حضر وقعة بدر مع رسول الله ﷺ ثلاثمائة وستة عشر رجلاً. وهذا يوافق رواية البخاري من حديث البراء رضي الله عنه. قال: «كُنَّا نتحدث أن أصحاب بدر ثلاثمائة وبضعة عشر».

وقد ورد في عِدَّة أصحاب بدر رواياتٌ كثيرة. أوردها الحافظُ بن حجر في فتح الباري في كتاب المغازي، وأصحها ما ذكره، حيث كان ذلك بغاية التحرِّي، والله أعلم.

فهؤلاء أبطال الإسلام الذين خُلِّد ذكرهم أربعة عشر قرناً، وسيخلّد إلى أبد الآبدين، وإذا نظرنا إلى الأسباب التي جعلتهم فوق العالم الإسلامي فخراً وأجراً وذِكراً وفضلاً وإجلالاً وسعادةً في الدين

(١) ممن جاء في سيرة ابن هشام ولم يذكر هنا: ثابت بن خالد بن النعمان وحارثة بن النعمان بن زيد وأضفت ثلاثة هم: نوفل بن عبد الله وعبادة بن الصامت، وأوس بن الصامت. كانت أرقامهم ساقطة أيضاً.

والدنيا والآخرة أربعة عشر قرناً، وإلى آخر الأزمان، وعلى عموم من وجد في خلالها، من مئات الملايين من المسلمين، وصار يُضرب بهم المثل في عموم المفاخر والفضائل، تجدها سبباً واحداً، وهو وقوفهم ذلك الموقف العظيم، وقوف المستميت أمام قوم أكثر منهم عدداً وعُدَّة وممارسة للحروب، ويعدون من أعظم أبطال الوغى شجاعةً وبَسالة وإقداماً، لأن ذلك الموقف هو فتح باب السعادة للإسلام. فبانتصارهم عليهم وقتل ساداتهم وأشرافِهم وأبطالهم، كان عزّ الإسلام وأهله وخذلان الشركِ وأهله، فوقفة يوم واحد، وفوز ساعة واحدة، وصبر مدّة وجيزة، أكسبت الإسلامَ عزّاً أبديّاً مدى الدهر، مع أنهم لم يقتلوا في ذلك الموقف العظيم عموم المشركين، بل الذين قتلوهم سبعين رجلاً فقط. وقد قتل المسلمون بعد هذه الوقعة عشرات الألوف من الكفار، ووقفوا مواقف أعظم حرجاً من مواقف بدر. ولم يكتسبوا من الفخر والأجر ما يُضاهي ما اكتسبه أهلُ بدر، وذلك لأن وقعة بدر هي ـ كما قلنا ـ باب سعادة الإسلام والمسلمين، حيث لو لم يقدّر الله تعالى لهم الفوز. وكانت القضية بعكس ما حصل، لذهب الإسلام والمسلمون كما صرح بذلك رسول الله ﷺ وهو يناجي ربه في العَريش يوم بدر بقوله: «اللّهم إن تهلك هذه العصابة ـ يعني أهل الإيمان ـ اليوم فلا تعبد في الأرض أبداً». فلهذه الأسباب حازوا ما حازوه من السعادة الأبدية، وكل شيء بقضاء الله تعالى وقدره، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

أسماء من استشهد من المسلمين يوم بدر

استشهد يوم بدر من المسلمين الذين دافعوا عن الإسلام وأهله، وضَحَّوْا بحياتهم في سبيل الله، ودفاعاً عن رسول الله ﷺ، وحبّاً في نصر دين الله، ولأجل أن تكون كلمة الله هي العليا، أربعة عشر شهيداً، وهم:

١ - عبيدة بن الحارث بن المطَّلب، قتله عُتبة بن ربيعة ضرب ساقَهُ بالسيف فمات منه، ودفن بالصفراء.

٢ - عُمَير بن أبي وقاص بن أهيب بن عبد مناف بن زُهْرة الزُّهري، أخو سعد بن أبي وقاص.

٣ - ذو الشِّمالين بن عبد عمرو بن نَضْلة من خزاعة من بني غُبْشَان حليف بني زُهرة.

٤ - عاقل بن البُكَير بن عبد ياليل الليثيّ حليف بني عدي، وأسلم بدار الأرقم قديماً.

٥ - مِهْجَع العكّي أصله من (عك)[1] المسماة الآن (عكّة)[1] من فلسطين، سُبي وبيع، فاشتراه عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ومَنَّ عليه بالعِتق، كان من السابقين الأولين إلى الإسلام، قتله عامر بن الْحَضْرَمِيْ.

٦ - صَفوان بن بيضاء (وبيضاء أمه) واسم أبيه: وَهْب بن ربيعة بن عمرو بن عامر الفِهْري القُرشيّ. هؤلاء الستة من المهاجرين.

وبقية الأربعة عشر من الأنصار وهم:

٧ - سعد بن خَيْثَمَة بن الحارث بن مالك بن كعب الأوسي، كان أحد

---

(١) كذا في الأصل والصواب أنه من قبيلة (عك) المعروفة وليس من مدينة «عكة» انظر الإصابة ترجمة «مهجع».

النقباء في بَيعة العَقَبة، ولما نزل رسول الله ﷺ بِقُباء على كُلْثوم بن الهِدْم كان يجلس للناس في بيت سعد بن خَيْثَمَة.

٨ - مُبَشّر بن عبد المنذر بن زَنْبر أخو أبي لُبابة الأنصاري الأوسي.

٩ - يزيد بن الحارث بن قيس بن مالك الخزرجي ويعرف بابن فُسْحُم الأنصاري.

١٠ - عُمير بن الحمام بن الْجَموح الأنصاري الأسلمي، قتله خالد بن الأعلم العقيلي.

١١ - رافع بن المُعلَّى بن لوذان بن حارثة بن عدي بن زيد بن ثعلبة الأنصاري الخزرجي، قتله عِكرمة بن أبي جهل.

١٢ - حارثة بن سُراقة بن الحارث بن عديّ بن مالك الأنصاري النجَّاريّ رماه حبان بن العرقة بسهم وهو يشرب من الحوض فأصاب نحره فقتل.

١٣ - عوف بن الحارث بن عَفْرَاء، نزع دِرْعه لما التقى الجمعان واشتدّ القتال، وتقدم فقاتل حتى قتل.

١٤ - مُعَوّذ بن الحارث بن رِفاعة بن عفْراء، كان حمل هو وأخوه مُعاذ على أبي جهل فقتلاه، وقتل يوم بدر، فتقفاه عكرمة بن أبي جهل فضربه على مَنْكِبه بالسيف حتى تدَلى منكبه، وبقي يقاتل على تلك الحال يومه حتى مات.

فهؤلاء الذين استشهدوا من الأنصار ومن المهاجرين، ومجموعهم كما قدمنا أربعة عشر شهيداً، وقد نالوا بذلك سعادة الدنيا والآخرة، ولا شك أن أرواحهم في حواصل طيور خضر ترتع في الجنة، وأجسادهم دفنت في بدر، إلا عُبيدة بن الحارث ابن عم رسول الله ﷺ فإنه دفن بالصفراء، فجزاهم الله عن الإسلام خير الجزاء.

أسماء من قتل من المشركين ببدر

قتل من المشركين يوم بدر من قريش من بني عبد شمس بن عبد مناف بن قصي:

١ - حنظلة بن أبي سُفيان بن حرب الأموي: قتله زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ. وساعَدَه حمزةُ وعليٌّ بن أبي طالب.

٢ - الحارث بن الحَضرمي حليف بني أُمية، قتله النُّعمان بن عصر حليف الأوس الأنصاري.

٣ - عامر بن الحضرميّ حليف بني أُمية، قتله عمَّار بن ياسر.

٤ - عُمير بن أبي عُمير، قتله سالم مولى أبي حذيفة.

٥ - وابن عُمير بن أبي عمير، وهما موليان لبني أُمية.

٦ - عُبيدة بن سَعيد بن العاص الأموي، قتله الزُّبير بن العوّام.

٧ - العاص بن سعيد بن العاص الأموي، قتله عليّ بن أبي طالب.

٨ - عُقبة بن أبي مُعيط الأموي، قتله عاصم بن ثابت بن أبي أقْلَح الأنصاري صبراً، ويقال عليّ بن أبي طالب.

٩ - عُتبة بن ربيعة بن عبد شمس، قتله عُبيدة بن الحارث بن المطلب مُبارزةً، وساعده حمزة وعليّ.

١٠ - شَيْبة بن رَبيعة بن عبد شمس، قتله حمزة بن عبد المطلب مبارزةً.

١١ - الوليد بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، قتله عليٌّ بن أبي طالب مبارزةً.

١٢ - عامر بن عبد الله الأنماري حليف بني عبد شمس، قتله عليٌّ بن أبي طالب.

فهؤلاء الإثنا عشر رجلاً من بني عبد شمس.

ومن بني نوفل بن عبد مناف بن قصي:

١٣ ـ الحارث بن عامر بن نوفل، قتله خَبِيب بن إساف الخزرجيّ.

١٤ ـ طُعيمة بن عديّ بن نوفل، قتله عليّ بن أبي طالب وساعدَه[1] حمزةُ عمُّه. وهؤلاء الرجلان من بني نوفل.

ومن بني أسد بن عبد العزي بن قصي:

١٥ ـ زَمَعة بن الأسود بن المطلب الأسديّ. اشترك في قتله حمزةُ، وعلي، وثابت بن الجِذْع الأنصاريّ.

١٦ ـ الحارث بن زَمَعة بن الأسود قتله عمَّار بن ياسر.

١٧ ـ عقيل بن الأسود بن المطَّلب، اشترك في قتله حمزةُ وعليّ.

١٨ ـ أبو البَخْتَرِيّ العاصُ بن هِشام الأسدي قتله المجذَّر بن ذياد البلوي مبارزةً. فهؤلاء الخمسة الرجال من بني أسد.

١٩ ـ نوفل بن خويلد الأسدي، وهو الذي قَرَن أبا بكر الصديق وطلحة بن عبيد الله في حبل واحد حين أسلما بمكة، وكان من شياطين قريش، قتله علي بن أبي طالب.

ومن بني عبد الدار بن قصي:

٢٠ ـ النضْر بن الحارث بن كَلَدة العَبْدَرِيّ. قتله عليٌّ بن أبي طالب صبراً عند عودة رسول الله ﷺ بالصَّفْراء.

٢١ ـ زيد بن مُليص. مولى عُمَير بن هاشم العبدري، قتله بِلال بن رَباح مولى أبي بكر الصديق. فهذان الرجلان من بني عبد الدار.

ومن بني تيم بن مرة:

٢٢ ـ عُمَير بن عثمان بن عمرو التيميّ، قتله عليّ بن أبي طالب وساعده عبد لرحمن بن عوف.

---

(١) عند ابن هشام ٧٠٩/١: «ويقال» بدل «وساعدة». [المصحح].

٢٣ ـ عثمان بن مالك بن عبيد الله التيمي، قتله صُهيب بن سنان، فهذان الرجلان من بني تيم.

ومن بني مخزوم:

٢٤ ـ أبو جهل بن هشام، اشترك في قتله ثلاثة: الأول مُعاذ بن عمرو بن الْجَموح الأنصاريّ، ضربه بالسيف فقطع رِجله، ثم إن عِكْرمة بن أبي جهل ضَرب مُعاذاً على يده فطرحها. الثاني ـ مُعَوّذ بن عفراء، ضرب أبا جهل بالسيف حتى أَثْبَتَه، فتركه وبه رمق. الثالث ـ عبْد الله بن مسعود اِحتزَّ رأسه بالسيف، وأتى به إلى رسول الله ﷺ.

٢٥ ـ العاص بن هِشام أخو أبي جهل، خال عمر بن الخطاب، قتله عمر بن الخطاب.

٢٦ ـ يَزيد بن عبد الله التميمي حليف أبي جهل، كان شجاعاً، قتله عمّار بن ياسر.

٢٧ ـ أبو مُسافع الأشعريّ حليفهم، قتله أبو دُجَانة الأنصاري.

٢٨ ـ حَرْملة بن عمرو حليفهم، قتله خارِجة بن زيد بن أبي زُهير الخزرجيّ الأنصاري وساعده عليٌّ بن أبي طالب.

٢٩ ـ حَرْمَلة، مِن الأسدِ[١].

٣٠ ـ مسعود بن أبي أُمية بن المغيرة المخزومي، قتله حمزةُ بن عبد المطلب وساعده علي بن أبي طالب[٢].

٣١ ـ أبو قيس بن الوليد بن المغيرة، قتله حمزة بن عبد المطلب[٣]، ويقال: علي بن أبي طالب[٣].

---

(١) كذا في الأصل وهو وهم أوقعه فيه ابن هشام، وعبارة ابن هشام تفهم أن قبيلة حرملة بن عمرو ذي الرقم ٢٨ هنا هي الأسد. [المصحح].

(٢) ابن إسحاق يقول إن قاتله عليّ، وابن هشام يقول حمزة. [المصحح].

٣٢ ـ أبو قيس بن الفاكه بن المغيرة المخزومي، قتله عليٌّ بن أبي طالب وساعده عمّار بن ياسر[٤].

٣٣ ـ رِفاعة بن أبي رِفاعة بن عائذ[١] المخزومي، قتله سعد بن الربيع الخزرجي الأنصاري.

٣٤ ـ المنذر بن أبي رفاعة بن عائذ[١] المخزومي، قتله معن بن عدي بن الجد بن العجلان حليف بني عبيد بن زيد بن مالك بن عوف الأنصاري.

٣٥ ـ عبد الله بن المنذر بن أبي رفاعة المخزومي، قتله عليّ بن أبي طالب.

٣٦ ـ السائب بن أبي السائب بن عابد بن عبد الله المخزومي. قال ابن إسحاق: قتله الزُّبير بن العوام. وقال ابن هِشام: إن السائب هذا هو شريك النبي ﷺ. وقد أسلم وحسن إسلامه. وممن بايع النبي ﷺ من قُريش وأعطاه يوم الجِعرَّانة من غنائم حُنين.

وقال الحافظ بن حجر في الإصابة: وقد خالف الزبير بن بكار ما دلت عليه هذه القصة فذكر أن السائب بن أبي السائب قُتل يوم بدر كافراً، فيحتمل أن يكون السائب بن صيفي عنده غير السائب بن أبي السائب. وكان الزبير بن بكار وافق ابن إسحاق، وإنما يدل هذا الخلاف على أن المقتول هو اسمه السائب، ولكن غير شريك النبي ﷺ الذي أثبت إسلامه الحافظُ بن حجر في الإصابة، والله أعلم.

---

(١) كذا في الأصل والصواب «عابد» انظر المؤلف والمختلف للدارقطني ص ١٥٤٠/٣٠ هـ.

٣٧ ـ الأسود بن عبد الأسد بن هلال المخزومي، قتله حمزة بن عبد المطلب.

٣٨ ـ حاجب بن السائب بن عُوَيمر بن عمرو المخزومي، قتله عليّ بن أبي طالب.

٣٩ ـ عُوَيمر بن السائب بن عُوَيمر المخزومي. قتله النُّعمان بن مالك القَوْقلي الأنصاري مبارزةً.

٤٠ ـ عمرو بن سُفيان حليف بني مخزوم، قتله يزيد بن رُقَيش بن رِئاب الأسدي.

٤١ ـ جابر بن سفيان حليف بني مخزوم، قتله أبو بُرْدَةَ بن نِيَار الأنصاري.

فهؤلاء السبعة عشر من آل أبي جهل بني مخزوم عَدوٍّ الله وعدو رسوله ﷺ، قتلهم الله بسيف أهل الإيمان. ولم يقتل من أي قبيلة من قريش في بدر بقدر ما قتل من بني مخزوم.

ومن بني سهم بن عمرو بن هُصَيص بن كعب بن لؤي:

٤٢ ـ مُنَبِّه بن الحجاج بن عامر السهميّ، قتله أبو اليَسَر كعب بن عمرو الأنصاري، وهو الذي انتزع راية المشركين من يد أبي عزيز بن عُمير يوم بدر.

٤٣ ـ العاص بن مِنَبِّه بن الحجّاج السهمي قتله علي بن أبي طالب.

٤٤ ـ نُبَيه بن الحجاج أخو مُنَبِّه السهميّ، اشترك في قتله حمزةُ بن عبد المطلب وسعدُ بن أبي وَقَّاص.

٤٥ ـ أبو العاص بن قيس بن عدي السهميّ، قتله علي بن أبي طالب.

٤٦ ـ عاصم بن عوف بن ضُبيرة السهمي، قتله أبو اليَسر بن كعب الأنصاري.

فهؤلاء الخمسة من بني سهم.

ومن بني جُمح بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي:

٤٧ ـ أُميّة بن خلف بن وهب بن حُذافة بن جمح الجمحي، قتله مُعاذ بن عفـراء وخارجـة بن زيـد، وخَبيب بن إسـاف، كلهم من الأنصـار، اشتركوا في قتله ومعهم بلال بن رباح.

٤٨ ـ علي بن أمية بن خلف، قتله عمار بن ياسر.

٤٩ ـ أوس بن مِعْيَر بن لَوْذَان الجمحي. قتله عليّ بن أبي طالب. فهؤلاء الثلاثة من جمح.

ومن بني عامر بن لُؤي:

٥٠ ـ معاوية بن عامر بن[1] عبد القيس حليف بني عامـر، قتله علي بن أبي طـالـب.

٥١ ـ مَعْبد بن وهب من بني كلب. قتله خالد وإياس ابنا الْبُكير بن عبـد ياليل الليثي.

فهؤلاء الذين ذكرهم ابن إسحـاق من قتلى المشركين ممن عـرف أسماءهم وأسماء من قتلهم.

وقد زاد ابن هشام عليه:

٥٢ ـ وهب بن الحارث من بني أنمار حليف بني عبد شمس.

٥٣ ـ عامر بن زيد، من اليمن، حليف بني عبد شمس.

٥٤ ـ عُقبة بن زيد، من اليمنِ، حليف بني أسد.

٥٥ ـ عُمَير مولى بني أسد.

٥٦ ـ نُبَيه بن زيد بن مُلَيص.

٥٧ ـ عُبيد بن سَلِيط من قيس عَيْلان[2]، والرجلان من حلفاء بني عبد الدار.

---

(١) كذا في الأصل والصواب «من عبد القيس».

(٢) في ابن هشام ١/٧١٥ «من قيس» بدون إضافة إلى عيلان.

٥٨ ـ مالك بن عُبَيد الله بن عثمان أخو طلحة بن عُبيد الله.

٥٩ ـ عمرو بن عبد الله بن جُدْعان التيمي.

٦٠ ـ حُـذيفة بن أبي حُـذيفة بن المغيـرة المخزومي، قتله سعـد بن أبي وقاص.

٦١ ـ هِشام بن أبي حُذيفة بن المغيرة المخزومي، قتله صُهيب بن سنان.

٦٢ ـ زُهيـر بن أبي رِفاعـة المخزومي، قتله أبـو أُسَيْـد مـالـك بن ربيعـة الساعدي الأنصاري.

٦٣ ـ السائب بن أبي رفاعة المخزومي، قتله عبد الرحمن بن عوف.

٦٤ ـ عائذ بن السائب بن عُويمر المخزومي. قال ابن هشام: أُسِرَ ثم افْتُدِي فمات في الطريق من جِرَاحةٍ جَرَحَه إياها حمزةُ بن عبد المطلب، فعُدَّ من قتلى بدر.

٦٥ ـ عُمَير من طَيِّء، حليف بني مخزوم.

٦٦ ـ خيار من القارة، حليف بني مخزوم.

فهؤلاء السبعة من بني مخزوم ممن قُتل يوم بدر في رواية ابن هشام، وإذا أضيف إليهم السبعة عشر الذين تقدموا في رواية ابن إسحـاق يكون مجموعهم أربعةً وعشرين رجلاً ممن قُتِـلوا من آل أبي جهل، يوم بدر، بسيف الله الجبار القهار فوق عباده.

٦٧ ـ سَبْرة بن مالك حليف بني جُمح.

٦٨ ـ الحارث بن مُنَبّه بن الحجاج، قتله صُهيب بن سِنان.

٦٩ ـ عامر بن عوف بن ضُبيرة، أخـو عاصم بن ضُبيـرة. قتله عبد الله بن سَلمة العجلاني.

هذا ما أورده ابن هشام من روايته ورواية ابن إسحاق. وقـد بلغوا تسعة وستين رجلاً، وكـأنّه بقي رجل واحد لم يُسَمَّ من السبعين.

ومن ذلك يعلم أن أكثر من قُتل من المشركين هم ساداتهم وأشرافهم وأبطالهم، قتلهم الله تعالى بسيف بعض من كانوا يُعذّبونهم على الإسلام بمكة مِثل: صُهيب، وعمّار بن ياسر، وبلال، فقد أراد الله سبحانه وتعالى أن يشفي صُدورَ الذين تعذّبوا في الله، بقتل من عَذّبهم في حَوْمَة الوغىٰ، ذلك اليوم الذي تقابل فيه الخصوم وجهاً لوجه. وحاسب كلُّ إنسان غريمه بما له عليه من ظلم وعُدْوَان. وبرهنَ كلُّ شخص عن مقدرته في الإيمان والشجاعة ذلك اليوم الذي ظهر للناس بأس أسد الله تعالى وأسد رسوله ﷺ، حمزة بن عبد المطلب، يوم تعلَّم بريشة النعامة، ونادى بأعلى صوته في ذلك الموقف الرهيب: هلِ من مبارز؟ أنا حمزة بن عبد المطلب؛ فما برز له فارس إلاَّ جَنْدَله، وما بدا له شجاع إلا أناله حَتْفه. قتل حمزةُ بسيفه البتار: تسعةً من صناديدهم ممن عُرِف قاتلُهم، وهناك بعض القتلى لم يُعرف قاتلهم، فربما يكون منهم من ناله سيف حمزة. وأما كونه اشترك معه في بعضهم أو هو اشترك معهم في البعض فتلك عادتهم في حومة القتال، وكان هذا موقفاً عظيماً، تفوَّق فيه حمزةُ بالنسبة للأبطال الذين بارزوه، فقد نال حمزةُ هذا اللقبَ الكبير: «أسد الله وأسد رسوله» رضي الله عنه.

وأما عليٌّ بن أبي طالب، ذلك الشاب الذي لم يتدَّرب على القتال وملاقاة الأبطال، ومبارزة الشجعان، قبل يوم بدر. ذلك الفتى الذي لم يتجاوز الرابعة والعشرين من عمره، فقد قتل يوم بدر بمفرده، وبغير اشتراك عمه حمزة بن عبد المطلب، ستة عشر فارساً من فرسان قريش، وصنديداً من صناديدهم، وبطلاً من أبطالهم، مبارزةً وجهاً لوجه، مع أن بعضهم يُعَدّ بمائة فارس، واشترك معه عمه حمزة في قتل خمسة آخرين، ففي يوم واحد، وفي موقف واحد، وفي وقعة واحدة: قتل عليٌّ بن أبي طالب واحداً وعشرين بطلاً من أبطال قريش، فلا شك أن الثقة بالله، والاعتماد على الله، جعلت ذلك الشابَّ الذي لم يتدرَّب على القتال ولم يحمل السيف قبل ذلك اليوم، عليّ بن أبي طالب، أن ينال هذا التفوُّق الذي هو

غريبٌ في بابه، ويحقُّ له أن يلّقب بليث بني غالب، حيث لم يستطع أعظم بطل من بني غالب أن يثبت أمامه إلاّ جْنَدَله صريعاً، وإلا فأين عليٌّ بن أبي طالب من صناديد قريش الذين تدربوا في المعارك التي جرت في الجاهلية وفي حرب الفجار؟

تقول العرب: لكل معركةٍ بطل، ولكل وقعة شجاع، ولكل يوم فارس، يمتاز عن غيره في ذلك الموقف، ولا شك أن الذي امتاز يوم بدر هو حمزة بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب، كما أننا لا نهضم غيرهما حقه، فقد قتل عمار بن ياسر ـ ذلك العبد الذي كان بالأمس ذليلاً حقيراً يُعَذَّب بمكة أشد العذاب ولا يستطيع أن يدافع عن نفسه ولا بكلمة واحدة ـ خمسة من سادات قريش وأبطالها مبارزةً وجهاً لوجه، وذاك صهيب بن سنان ـ الذي كان بالأمسِ يُعذب في العبودية، يمتهن في الإسلام، وهو من المستضعفين ـ قتل يوم بدر ثلاثة من أشراف قريش وشجعانهم، في معركة بدر، تلك المعركة التي لم يحضرها طُفيليّ، ولا يستطيع أن يجول فيها جولة واحدة غير القِرْن، فبِقُوَّة الإيمان والثقة بالله، والاعتصام به، جلّ وعلاَ، جعل هؤلاء الأبطالَ يفتكون في أعدائهم فتكاً ذريعاً، حتى صاروا عبرة الدهر، ولما سُئِلت قريشٌ عن وقعة بدر قالوا: ما هو إلا أن منحناهم رقابنا يقتلون ويأسرون كما يشاءون.

أسماء من أسر من المشركين يوم بدر

أسر يوم بدر من قريش أولئك الذين لم يتمكنوا من الفرار وهم:

من بني هاشم بن عبد مناف بن قصي:

١ ـ العباس بن عبد المطلب.

٢ ـ عَقيل بن أبي طالب.

٣ ـ نَوْفل بن الحارث بن عبد المطلب.

ومن بني المطلب بن عبد مناف بن قصي:

٤ ـ السائب بن عُبيد بن عبد يزيد.

٥ ـ نُعمان بن عمرو بن عَلْقمة بن المطلب.

ومن بني عبد شمس.

٦ ـ عَمرو بن أبي سفيان بن حرب.

٧ ـ الحارث بن أبي وجْزة الأموي.

٨ ـ أبو العاص بن الربيع بن [عبد العزّى][1] عبد شمس.

٩ ـ أبو العاص بن نوفل بن عبد شمس.

١٠ ـ أبو ريشة بن عمرو من حلفائهم.

١١ ـ عمرو بن الأزرق حليفهم.

١٢ ـ عُقبة بن عبد الحارث بن الحضرميّ، حليهم.

ومن بني نوفل بن عبد مناف بن قصي:

١٣ ـ عديّ بن الخِيار بن عديّ.

١٤ ـ وعثمان بن عبد شمس، بن أخي غَزوان المازنيّ، حليفهم.

١٥ ـ وأبو ثَوْر، حليفهم.

(١) عن ابن هشام.

ومن بني عبد الدار بن قصي:

١٦ - أبو عزيز بن عُمير بن هاشم العبدريّ.
١٧ - والأسود بن عامر، حليفهم.

ومن بني أسد بن عبد العزى بن قصي:

١٨ - السائب بن أبي حُبيش بن المطلب الأسدي.
١٩ - والحويرث بن عباد الأسدي.
٢٠ - وسالم بن شماخ، حليفهم.

ومن بني مخزوم:(١)

٢١ - خالد بن هشام بن المغيرة، أخو أبي جهل.
٢٢ - وأمية بن أبي حذيفة بن المغيرة المخزومي.
٢٣ - وعثمان بن عبد الله بن المغيرة المخزومي.
٢٤ - وصَيفيّ بن أبي رفاعة بن عابد المخزومي.
٢٥ - وأبو المنذر بن أبي رفاعة بن عابد المخزومي.
٢٦ - وأبو عطاء عبد الله بن أبي السائب بن عبد الله(٢) المخزومي.
٢٧ - والمطلب بن حَنْطَب بن الحارث المخزومي.
٢٨ - وخالد بن الأعلم، حليفهم، فهؤلاء تسعة نفر من آل أبي جهل أُسروا.

ومن بني سهم بن عمرو بن هُصيص:

٢٩ - أبو وَداعة بن ضُبيرة بن سعيد السهمي.
٣٠ - وفروة بن قَيس بن عدي السهمي.

---

(١) لم يذكر المؤلف من بني مخزوم الوليد بن الوليد بن المغيرة، وقد ذكره ابن هشام انظر ٢/٥. [المصحح].
(٢) في الأصل بن عابد والتصويب عن ابن هشام ٢/٥. [المصحح].

٣١ ـ حنظلة بن قبيصة بن حُذافة السهمي.

٣٢ ـ والحجّاج بن الحارث[1] بن قيس السهمي.

ومن بني جمح بن عمرو بن هُصيص:

٣٣ ـ عبد الله بن أُبيّ بن خلف.

٣٤ ـ وأبو عَزَّة عمرو بن عبدٍ الجمحيّ.

٣٥ ـ والفاكه، مولى أُمية بن خلف.

٣٦ ـ ووهب بن عُمير بن وهب الجمحي.

٣٧ ـ وربيعة بن درَّاج بن العَنْبس الجمحي.

ومن بني عامر بن لؤي:

٣٨ ـ سُهَيل بن عمرو بن شمس العامري.

٣٩ ـ وعبد بن زَمَعَة بن قيس بن عبد شمس العامري.

٤٠ ـ وعبد الرحمن بن مَشنوء بن وَقـدان العامري.

ومن بني الحارث بن فهر:

٤١ ـ الطُّفيل بن أبي قُنَيع.

٤٢ ـ وعتبة بن عمرو بن جَحْدَم.

هؤلاء هم الذين ذكرهم ابن إسحاق من الأسارى في يوم بدر.

وقال ابن هشام: وممن لم يذكر ابن إسحاق من الأسارى.

من بني هاشم بن عبد مناف.

٤٣ ـ عُتبة، حليف لهم من بني فِهر.

ومن بني المطلب بن عبد مناف:

---

(١) في ابن هشام ٢/٦ الحجاج بن قيس. [المصحح].

٤٤ ـ عليل[١] بن عمرو، حليف لهم.
٤٥ ـ وأخوه تميم بن عمرو.
٤٦ ـ وابنه.

ومن بني عبد شمس.
٤٧ ـ خالد بن أسِيد من أبي العِيص.
٤٨ ـ أبو العريض يَسار مولى العاص بن أُمية.

ومن بني نوفل بن عبد مناف:
٤٩ ـ نبهْان، مولى لهم.

ومن بني أسد بن عبد العزىٰ:
٥٠ ـ عبد الله بن حُميد بن زُهير.

ومن بني عبد الدار بن قصي:
٥١ ـ عَقِيل، حليف لهم من اليمن.

ومن تيم بن مرة:
٥٢ ـ مُسافع بنِ عياض بن صخر.
٥٣ ـ وجابر بن الزُّبير، حليف لهم.

ومن بني مخزوم:
٥٤ ـ قيس بن السائب.

ومن بني جمح.
٥٥ ـ عمرو بن أُبَيّ بن خلف.
٥٦ ـ وأبو رُهْم بن عبد الله، حليف لهم[٢].

---

(١) في سيرة ابن هشام ٣/٦ «عقيل» وبهامشها أن نسخة فيها عليل.
(٢) قال ابن هشام بعد ذكره رهم «وحليف لهم ذهب عني اسمه».

٥٧ ـ ونسطاس مولى أُميّة بن خلف.
٥٨ ـ وأبو رافع غُلام أمية بن خلف.

ومن بني سهم:

٥٩ ـ أسلَم مولى نُبَيه بن الحجاج.

ومن بني عامر:

٦٠ ـ حبيب بن جابر.
٦١ ـ والسائب بن مالك.

ومن بني الحارث بن فهر:

٦٢ ـ شافع.
٦٣ ـ وشَفيع، حليفان لهم من اليمن.

فهؤلاء الذين عُرِفت أسماؤهم من السبعين الأسير. وقد ذكر ابن إسحاق ما قيل من الشعر في وقعة بدر، من المسلمين والمشركين، وحيث إن في صحتها مقالاً. تركنا نقلها لذلك، ثم للإختصار:

سرية عُمير بن عدي الخطمي[1]

لما فرغ رسول الله ﷺ من غزوة بدر، وعاد إلى المدينة، فكر في إبادة كلّ من يقف متعنداً في وجه تقدم الإسلام، أو يؤذي المسلمين، أو يحرض عليهم، أو يكاثر عليهم العدو، أو يدس لهم الدسائس، أو يحبل لهم الأحابيل، وكان ممن يؤذي رسول الله ﷺ، ويكيد للإسلام، ويحرض عليه الأعداء: (العصماء) بنت مروان، زوج يزيد بن زيد الخطميّ، فبعث لها يوم خمس وعشرين من شهر رمضان، سنة اثنتين من الهجرة، عُمَيرَ بن عدي الأنصاري الخطمي، فجاءها ليلاً ـ وكان أعمى ـ فدخل في بيتها،

(١) انظر الإصابة ترجمة عمير بن عدي والمواهب اللدنية ١/٤٥٣.

وحولها نفر من ولدها نيام، فجّسها بيده، ونحّى الصبية عنها، ووضع سيفه على صدرها، حتى أنفذه من ظهرها، ثم عاد من ليلته إلى المدينة، وصلى الصبح مع رسول الله ﷺ، وأخبره بذلك. فقال ﷺ: «لا ينتطح فيها عنزان» فكان أول من قالها، فسار بها المثل.

غزوة الكدر[1]

هذه الغزوة تسمى «الكدْر» وتسمى أيضاً غزوة قَرْقَرة الكُدْر[2] فلما قدم المدينةَ رسولُ الله ﷺ من بدر، بلغه أن بهذا الموضع جمعاً من بين سُلَيم وغطفان، فأقام بالمدينة سبع ليال، وخرج في أول شوال، بعد أن صلى صلاة عيد الفطر من السنة الثانية للهجرة، واستخلف على المدينة: سِباع بن عُرْفُطة الغِفاري، أو ابن أُمّ مكتوم، وحمل اللواءَ عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه، وكان ـ أي اللواء ـ أبيض، وسار إليهم، فبلغ ماءً يقال له: الكُدْر ـ نسبة إلى الطيور التي تحوم حوله ـ فأقام بها ثلاثة أيام، فلم يجد في المحالّ أحداً، وأرسل نفراً من أصحابه في أعلى الوادي، واستقبلهم رسول الله ﷺ في بطن الوادي، فوجد رِعاءً، فيهم غلام يقال له: يسار. فسأله عن الناس؟ فقال: لا عِلْم لي بهم، أنا أورد مخمساً، وهذا يومٍ ربعي، والناس قد ارتفعوا إلى المياه، ونحن عِزَابٌ في النَّعم. فظفر بالنَّعم، فانحدر بها إلى المدينة، واقتسموا غنائمهم «بِصِرار» على ثلاثة أميال من المدينة، وكانت النعم خَمْسمائة بعير، فأخرج خُمسها، وقسم أربعة أخماسها على المسلمين، فأصاب كلَّ رجل منهم بكْرانِ، وكانوا مائتي رجل، وصار الغلام يسار في سهم رسول الله ﷺ، فأعتقه،

---

(١) انظر سيرة ابن هشام ٣/٤٦. والمواهب اللدنية ١/٤٥٤.

(٢) وهي أرض ملساء من ديار بني سليم، والكدري ضرب من القطا غبر الألوان، رقش الظهور، صفر الحلوق.

لأنه رآه يصلي، ثم عاد إلى المدينة وكانت غيبته خمس عشرة ليلة. كذا في السيرة الشامية (سبيل الهدى والرشاد).

بعثة سالم بن عمير[1]

كانت اليهود تؤمل أن مشركي قريش يستأصلون رسول الله ﷺ ويبيدونه وأصحابه يوم بدر، لما علموا من كثرة قريش، وقلة المسلمين، واستكمال قريش في العَدد والعُدَّة، وحضور أبطالهم معهم، أولئك الذين مارسوا الحروب في ميادين القتال، ويضرب بهم المثل في الشجاعة. وقلّة من كان مع رسول الله ﷺ من الرجال، وقلة السلاح، والخيل، وأن كثيراً من المسلمين لم يشاهدوا حرباً، ولم يبارزوا الأبطال، لحداثة سنهم، مثل: عليّ بن أبي طالب. فلما انتهت وقعة بدر بفوز النبي ﷺ وأصحابه، وانتصارهم على أعدائهم، كما تقدم تفصيله، اشتد حنق اليهود وازداد حسدهم، وتفاقم شرُّهم على النبي ﷺ، وأخذ كبارهم يحرّضون الناس على رسول الله ﷺ وأصحابه، ويتجاهرون لهم بالعدوان والإفساد، والهجو بالشعر. وممن قام بذلك منهم: أبو عفك اليهودي، وكان شيخاً كبيراً، قد بلغ عمره مائة وعشرين سنة، فبعث إليه رسولُ الله ﷺ، سالمَ بنَ عُمير الأوسي الأنصاري، رضي الله عنه، في شهر شوال، سنة اثنتين من الهجرة، فأقبل إليه سالم بن عمير ـ ذلك الفدائي العظيم ـ ووضع سيفه على كبده، ثم اعتمد عليه حتى خشَّ في الفراش، فصرخ عدوُّ الله أبو عفك، فثار إليه أناس ممن هم على شاكلته، فأدخلوه منزله، فهلَكَ.

(١) انظر المواهب اللدنية ١/٤٥٥.

غزوة بني قينقاع[1]

وقعت غزوة بني قَيْنقاع، يوم السبت، منتصف شهر شوال، سنة اثنتين من الهجرة، وبنو قَيْنُقاع أشهرُ بطنٍ من يهود المدينة، لهم شجاعة وصبر.

وقد كانت الكفار بعد الهجرة مع النبي ﷺ على ثلاثة أقسام: قسم تصالح معه ﷺ على أن لا يحاربوه، ولا يُؤَلِّبوا عليه عَدوَّه، وهم طوائف اليهود الثلاثة، قُرَيظة، والنَّضير، وقينقاع.

وقسم حاربون، ونصبوا له العداوة، كقريش ومن انضم معهم من القبائل.

وقسم تاركوه، وانتظروا ما يَؤول إليه أمرُه، كطوائف من العرب. فمنهم من كان يُحِبّ ظهوره في الباطن، كخُزاعة، ومنهم بعكس ذلك، كبني بَكْر. ومنهم من كان معه في الظاهر ومع عدوه في الباطن، وهم المنافقون.

وأما ما كان من أمر بني قينقاع، فهم أوّل يهود نقضوا العهد، وأظهروا البغي والحسد، وقطعوا ما كان بينهم وبين رسول الله ﷺ من العهد، وكانوا يتظاهرون للمسلمين بالازدراء، والتطاول عليهم. فلما رأى رسول الله ﷺ ذلك منهم، جمعهم بسوق قينُقاع ثم قال لهم: «يا معشرَ يَهودَ، احذروا من الله مثلَ ما نزل بقريش من النقمة، وأسلِموا فإنكم قد عرفتم أني نبيٌّ مرسل، تجدون ذلك في كتابكم وفي عهد الله إليكم» قالوا: يا محمد، إنك ترانا مثل قومك[2]، لا يغُرنْك أنك لقيت قوماً لا علم لهم

---

(١) انظر سيرة ابن هشام ٣/ ٥٠ والمواهب اللدنية ١/ ٤٥٦.

(٢) في سيرة ابن هشام: إنك ترى أنا قومك.

بـالحرب، فـأصبت منهم فُرْصـة، إنا والله لئن حـاربتنا لتعلمن أنـا نحن الناس. فأنزل الله تعالى:

﴿قُل للَّذينَ كفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وتُحْشَرُونَ إلى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ المِهَادُ * قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ في فئتين الْتقَتَا[1] فِئَةٌ تُقَـاتِلُ فِي سَبِيـلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَـافِرَةٌ يَرونَهُم مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ العَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لأُولِي الأَبْصَارِ﴾[2].

فكان بنو قينقاع أولَ يهود نقضوا ما بينهم وبين رسول الله ﷺ وحاربوا فيما بين بدر وأحد، وذلك أن امرأةً من العرب قدِمت بجَلَبٍ لها، فباعَتْه بسوق بني قينقاع، وجلست إلى صائع بها يهوديٍّ، فجعـل يريـدها على كشْف وجهها، فأبت، فعَمد الصائغُ إلى طَرف ثوبها فعقـده بشوكـة إلى ظهـرها، وهي لا تشعـر، فلما قـامت انكشفَتْ سَوْأتُهـا، فضحكوا بهـا، فصاحت، فوثبَ رجلٌ من المسلمين على الصائغ فقتله، فشدَّت اليهـود على المسلم فقتلوه، فـاستصـرخَ أهـلُ المُسْلِمُ المسلمينَ على اليهـود، فغضب المسلمون، فوقع الشرُّ بينهم وبين بني قينقاع فأنزل الله تعالى:

﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ الله لَا يُحِبُّ الخَائِنِينَ﴾[3].

فقال رسول الله ﷺ: «إني أخافُ من بني قيقناع» فسار بهذه الآية، فخرج رسول الله ﷺ، واستخلف على المـدينة أبـا لُبَابـةَ بن عبد المنـذر الأنصاري، رضي الله عنه، وأعطى اللواء حمزة بن عبد المطلب، رضي الله عنه، وكان أبيض، ثم لما وصل إليهم حاصرهم أشدَّ الحصار خمس عشرة

---

(١) فئة الإسلام، وفئة الشرك بيوم بدر.
(٢) سورة آل عمران الآيتان ١٢، ١٣.
(٣) سورة الأنفال، الآية: ٥٨.

ليلة إلى هلال ذي القعدة، فقذف الله في قلوبهم الرعب، حتى نزلوا على حكمه. فقام إليه عبد الله بن أُبَيّ ابن سَلول حين أمكنه الله منهم فقال: يا محمد أَحْسِن في مَوالِيَّ، فأعرض عنه، فأدخل يده في جَيْبِ دِرْع رسول الله ﷺ. فقال رسول الله ﷺ: «أَرْسِلْنِي»[1] وغضب رسول الله ﷺ حتى رأوا لوجهه الشريف ظُلَلاً[2] فقال له رسول الله ﷺ: «ويحك!! أَرْسِلْني» قال: لا والله لا أُرسلك حتى تحسن في موالي. أربعمائة حاسر، وثلاثمائة دارع قد منعوني من الأحمر والأسود، تحصدهم في غداة واحدة، إني والله امرؤ أخشى الدوائر[3].

فهذا رئيس المنافقين لما رأى خذلان اليهود قام بنفاقه يشفع لهم، ولو أنه رأى اليهود في مَنعة وقوّة وفوز على رسول الله ﷺ لما شفع للمسلمين عند اليهود، ولأظهر كفره عندئذ. فقال له رسول الله ﷺ: «هُمْ لَكَ» وسبب تشبُّث ابن سلول في الشفاعة لهم هو أنهم كانوا حُلفاءه. فلما رأى ذلك عُبادة بن الصامت رضي الله عنه ـ وكانوا حُلفاءه ـ قام إلى رسول الله ﷺ فخَلعهم وتبرَّأ إلى الله عز وجل وإلى رسول الله ﷺ مِنْ حِلْفهم وقال: يا رسول الله، أَتَوَلَّى اللَّهَ ورسولَه والمؤمنين، وأبرأ من حِلف هؤلاء الكُفارِ وولايتهم. فأنزل الله تعالى في عُبادة بن الصامت وفي ابن سلول:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا اليَهُودَ والنَّصارَى أَوْلِيَاءَ بَعضُهُم أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ومَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِينَ * فَتَرَى

---

(١) أرسلني: أطلقني.

(٢) ظللاً: أي قتامة كقتامة السحاب.

(٣) يريد ابن سلول: أن بني قينقاع رجال هذه عدتهم قد منعوه وأنفسهم من تعدي العرب، والعجم، فتحصدهم في غداة واحدة.

الذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ[1] يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يأتيَ بِالفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فيصبحوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ * وَيَقُولُ الَّذِين آمَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أعمالُهُمْ فأَصْبَحُوا خاسِرِين * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ منكُمْ عَنْ دِينِهِ فسوفَ يأتي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهِمْ ويُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الكافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ولَا يَخافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيه مَنْ يَشَاء واللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ * إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهِ والَّذِينَ آمَنُوا الّذِينَ يُقِيمُون الصَّلَاة ويؤْتُونَ الزكاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾[2].

فصار الحكم فيهم ـ بعد أن عفا رسول الله ﷺ عن قتلهم ـ على أن له أموالهم، وأن لهم النساء والذرية. فشُدَّت أكتافهم وأُخرجوا. ثم أمر رسولُ الله ﷺ المنذرَ بن قُدامة الأنصاري بحلّهم، وأمر أن يجلوا من المدينة، فلحقوا بأَذْرِعات من جهة الشام، فما كان أقلَّ بقاءَهم فيها، وغنم المسلمون من حُصونهم سلاحاً وآلات كثيرةً، وأخذ رسول الله ﷺ من سلاحهم لنفسه خاصَّةً ثلاثَ قِسِيّ، منها قوسٌ تدعى: «الكَتوم» كُسِرت بأُحد، وقوس تدعى: «الرَّوْحَاء» وقوس تدعى: «البَيضاء»، وأخذ دِرْعَيْنِ، درعاً يقال لها: «السعدية» وأخرى: «قصة» وثلاثة أرماح، وثلاثة أسياف، سيف يدعى: «قلعيّ» وسيف يقال له: «بتّار» وآخر لم يُسَمَّ.

ووجد في منازلهم سلاحاً كثيراً وآلة صياغة، وأخذ رسول الله ﷺ صفية والخمس، وفضّ أربعة أخماسه على أصحابه، وكان الذي قبض أموالهم، محمد بن مسلمة الأنصاري.

---

(١) كعبد الله بن أبي ابن سلول بقوله: إني أخشى الدوائر.
(٢) سورة المائدة، الآيات ٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٤، ٥٥.

فهذه قصة بني قينقاع، حفروا عن حتفهم بظِلفهم، قاتل الله الغرور، فإنه أساس المصائب، وجالب للبلاء، كان بنو قنيقاع على كمال الراحة والأمن السعادة مع المسلمين، فأدًّاهم الحسد، والبغض، إلى مشاكستهم والتحرش بهم، ولم يبالوا بما عقد معهم من العهد، ولما نصحهم رسول الله ﷺ، وذكَّرهم بالعهد الذي عقد معهم، وحذرهم من سوء العاقبة، قالوا له بكل وقاحة: إنا والله لئن حاربتنا لتعلمن أنا نحن الناس.

فأين ذهب غرورهم ولِم لَم يبرزوا للقتال ويبرهنوا على شجاعتهم؟ وهل عملوا شيئاً غير أنهم تحصنوا بحصونهم، ولم يتحملوا الحصار أكثر من خمسة عشر يوماً، ثم سلَّموا أنفسهم بغير قتال؟ ولو لم يشملْهم عفوُ النبي ﷺ: لأمْسَوْا في عِداد الأموات أو ـ على الأقل ـ أرقَّاءَ؟ وهل هناك سبب جلب لهم هذا البلاء غير غرورهم، وحماقتهم، وحسدهم؟ فكان الأجدر بهم أن يجيبوا النبي ﷺ: لما حذرهم عاقبة غرورهم ألا إنهم هم الجبناء الحمق، والأذلاء إليهم!! وهل اعتبر اليهود الآخرون بذلك وتركوا غرورهم، أو خففوا من حقدهم وحسدهم، وحمدوا الله على الأمْن والعافية، وعملوا بعقدهم، وعهدهم؟ كلا، فإنهم لا يزالون يدسون الدسائس للمسلمين!! ولما قنعوا من أنفسهم بأنهم أجبن خلق الله على الإطلاق أخذوا يحرضون بعض القبائل على حرب رسول الله ﷺ، وأصحابه، ويبذلون في سبيل ذلك كل ما يقدرون عليه من مال، ومكر، وحيلة. واللَّهُ غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعقلون.

غزوة السويق[1]

سُميت هذه الغزوة بغزوة السَّوِيق، لأنه كان زاد المشركين فيها السويق. وسبب ذلك أن أبا سفيان بن حرب لما رجع إلى مكة من بدر، ورجع فلُّ قُريش، نَذَر أن لا يمس رأسَه ماءً من جنابة، ولا يدهن طيباً حتى يغزو محمداً . ولما تجهز أبو سفيان قال أبياتاً من الشعر يحرِّض قريشاً وهي:

كُرُّوا على يَثْربٍ وجَمْعِهِمُ ... فَإِنَّ ما جَمَّعُوا لكم نَفَلُ
إنْ يكُ يَوْمُ القليب كان لهمْ ... فَإِنَّ ما بَعْدَه لكُمْ دُوَلُ
آلَيتُ لا أَقْرَبُ النِّسَاءَ وَلَا ... يَمسُّ رَأْسِي وَجِلْدِيَ الغُسُلُ
حَتَّى تُبِيدُوا قبائلَ الأَوْسِ والـ ... خَزْرَج إنَّ الفُؤادَ مُشْتَعِلُ

فخرج في مائتي راكب من قريش، لِيبِّر بيمينه، فسلك النجدِيَّة حتى نزل بصدر قَنَاةٍ إلى جَبَل يقال له: «ثَيْب»[2] ثم خرج تحت جنح الليل إلى بني النَّضِير، فأتى حُيَيَّ بن أَخْطب، فضرب عليه بابَه فأبى أن يفتح له وخافه، فانصرف عنه إلى سَلّام بن مِشْكَم ـ وكان سيِّد بني النضير في زمانه ذلك وصاحب كنزهم ـ فاستأذن عليه، فأذن له، فقراه وسقاه وبَطَن[3] له مِن خبر الناس، ثم خَرج في عقب ليلته حتى أتى أصحابه ـ فبعث رجالاً من قريش إلى المدينة، فأتوا ناحية منها يقال لها: «العُرَيْض» على بعد ثلاثة أميال من المدينة، فحرقوا في أصْوَارٍ من نخل بها، ووجدوا بها مَعْبد بن عمرو من الأنصار، وحليفاً له في حَرْثٍ لهما ـ فقتلوهما، ثم انصرفوا

---

(١) انظر سيرة ابن هشام ٣/٤٧ والمواهب اللدنية ١/٤٥٨.
(٢) ثيب: جبل على بريد أو نحوه من المدينة على سمت الشام.
(٣) بطن له: أي أعلمه من سرّهم.

راجعين. فرأى أبو سفيان أنه قد برَّ بيمينه ـ ونذِرَ بهم الناسُ: فخرج رسول الله ﷺ يوم الخميس، في خامس ذي الحجةِ سنة اثنتين من الهجرة، في طلبهم، واستخلف على المدينة أبا لُبابة الأنصاريّ، ومعه مائتان من المهاجرين والأنصار، وجعل أبو سفيان وقومه يلقون جُرُبَ السَّويق تخفيفاً للهرب والنجاة، خشية أن يدركهم النبي ﷺ وأصحابُه، فيصيبهم ما أصابهم ببدر، فبلغ رسول الله ﷺ قَرْقرة الكُدْر فلم يدركهم. فجمع المسلمون السويقَ غنيمةً لهم، ورجع رسول الله ﷺ إلى المدينة، وكانت غيبته خمسة أيام، فقال المسلمون حين رجوعهم لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، أتطمع لنا أن تكون غَزْوة؟ قال: «نعم». ولما بلغ رسول الله ﷺ المدينة كان بلغ كعبَ بن مالكٍ الأنصاريَّ رضي الله عنه ما قاله أبو سفيان من الشعر حين خروجه، فقال مجيباً له:

تَلْهف أمّ المسبِّحينَ عَلَى ... جَيْشِ ابْنِ حَرْبٍ بالْحَرَّةِ الفَشلِ
إذ يَطْرَحونَ الرِّجالَ مِن شِيَمِ الـ ... ـطَّيْرِ تَرَقَّى لِقُنَّهِ الْجَبَلِ
جَاءوا بِجَمعٍ لَوْ قِيسَ مَبْرَكُهُ ... مَا كان إلَّا كَمفْحَصِ الدُّؤلِ
عَارٍ من النَّصرِ والثراءِ ومِنْ ... أَبْطَالِ أَهْلِ البَطْحَاءِ والأَسَلِ

حوادث سنة اثنتين من الهجرة

في ذي الحجة صلى رسول الله ﷺ عيدَ الأضحى، وأمر بالأضحية.

وفيها تُوفي عثمانُ بن مَظعون، وهو من السابقين الأوَّلين، أسلم بعد ثلاثة عشر رجلاً، وهاجر الهجرتين، وهو أول من مات من المهاجرين، وأول من دفن منهم بالبقيع، رضي الله عنه.

زواج علي بن أبي طالب بفاطمة الزهراء[1]

وفي شهر صفر من السنة الثانية عقد رسول الله ﷺ لعليّ بن أبي طالب رضي الله عنه على فاطمةَ الزهراءِ رضي الله عنها، وَبَنى بها عليٌّ في ذي الحجة من تلك السنة، وهو ابن أربع وعشرين سنة وخمسة شهور، وهي ابنة خمس عشرة سنة وخمسة أشهر ونصف، وقد كان أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما خطباها من النبي ﷺ، فسكت، فانطلقا إلى عليّ بن أبي طالب يأمرانه بطلب ذلك، قال عليٌّ رضي الله عنه. فَنبهَّاني لأمر، فقمت أجرُّ رِدائي، حتى أتيت النبي ﷺ فقلت: تُزوّجني فاطمة؟ قال: «وعندك شي»؟ فقلت: فرسي وبَدَني[2] فقال: «أمّا فَرسُك فلا بدَّ لك منها، وأمَّا بَدنك فبِعْها»، قال: فبعتها بأربعمائة درهم وثمانين، فجئته بها، فوضعها في حِجره فقبض منها قبضة وقال: «أي بِلالُ ابتَغْ لنا بها طيباً» وأمرهم أن يجهزوها، فجعل لها سرير مشروط، ووسادة من أَدم

(١) انظر المواهب اللدنية جـ ٢ ص ٢.
(٢) البدن: الدرع.

حَشْوُها لِيف، ثم أمر رسول الله ﷺ أنساً، أن يَدْعُو أبا بكر، وعمر، وعثمان، وعبد الرحمن، وعدَّة من الأنصار، فلما اجتمعوا وأخذوا مجالسهم ـ وكان عليٌّ غائباً ـ قال رسول الله ﷺ: «الحمد لله المحمودِ بنعمته، المعبودِ بقُدرته، المطاعِ بسلطانه، المرهوبِ من عذابه وسطوته، النافذِ أمرهُ في سمائه وأرضه، الذي خلق الخلْق بِقُدرته، وميَّزهم بأحكامه، وأعزَّهم بدينه، وأكرمهم بنبيه محمد ﷺ، إن الله تبارَك اسمُه، وتعالت عَظَمتُه، جعل المصاهرةَ سبباً لاحقاً، وأمراً مفترضاً، أوشجَ به الأرحام، وألزم به الأنام، فقالَ عزَّ من قائل: ﴿وهَوَ الذِي خَلَقَ مِنَ المَاء بَشَراً فَجَعَلَهُ نَسَباً وَصِهراً وكانَ رَبُّكَ قَدِيراً﴾[1]. فأمرُ الله تعالى يجري إلى قضائِه، وقضاؤه يجري إلى قدره، ولكلِّ قضاءٍ قَدَر، ولكل قَدرٍ أجلٌ، ولكلّ أجلٍ كتابٌ، يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب، ثم إن الله عزّ وجل أمرني أن أزوج فاطمة من عليّ بن أبي طالب، فاشهدوا أني زوجته على أربعمائة مِثقال فضة، إن رضي بذلك عليّ». ثم دعا ﷺ بطبَقٍ من بُسْر ثم قال: «أنْتَهِبُوا» فانتَهَبُوا، ودخل عليٌّ فتبسم النبي ﷺ في وجهه ثم قال: «إن الله عز وجل أمرني أن أزوجك فاطمة على أربعمائة مثقال فضة، أرضيت بذلك»؟ فقال: رضيت بذلك يا رسولَ الله. فقال رسول الله ﷺ: «جَمَع الله شَمْلَكما، وأعزَّ جَدَّكما، وبارك عليكما، وأخرج منكما كثيراً طيباً» قال أنس: فوالله لقد أخرج الله منهما الكثير الطيّب.

وأوْلم عليٌّ عَلَى فاطمة أفْضَلَ وليمة كانت في ذلك الزمان، وكانت آصعاً[2] من شعير، وتمْرٍ، وحَيْس، هذا ما ذكره القسطلاني في المواهب من أمر الخِطبة، والعَقد، والوليمة.

(١) سورة الفرقان، الآية: ٥٤.

(٢) آصعاً: جمع صاع وهو مكيال معروف.

قتل كعب بن الأشرف اليهودي[1]

أصل كعب بن الأشرف عربي، من بني نَبهان (بطن من طيّيء) وكان أبوه أصاب دماً في الجاهلية، فأتى المدينة، فحالف بني النضير فشرف فيهم، وتزوّج عقيلة بنت أبي الحقِيق، فولدت كَعْباً، وكان طويلاً جسيماً، ذا بطن وهامة، وكان كعب بن الأشرف ممن عاهد النبيَّ ﷺ مع أشراف اليهود، حينما عاهدوه على أنهم لا يؤذونه ولا يغدرون به، ولا يحرضون عليه عدوَّه، وكان كعبٌ شاعراً، وكان يهجو النبي ﷺ والمسلمين، وقد وجدوه مع من حارب من بني قَيْنُقاع، وعُفِيَ عنه، ولما أُصيب المشركون ببدر وبلغ كعباً ذلك من المبشرين: زيدِ بن حارثة، وعبدِ الله بن رواحة، قال كعبٌ: ويلكم، أحقٌّ هذا وهؤلاء أشراف العرب وملوك الناس؟ وإن كان محمدٌ أصاب هؤلاء فبطنُ الأرض خيرٌ من ظهرها!

ثم قدم مكةَ، ونزل على المطلب بن أبي وَدَاعة السهمي، وعنده عاتكة بنت أبي العِيص بن أمية فجعل يحرّض على رسول الله ﷺ وَيْنشد الأشعار، ويبكي على أصحاب القَلِيب، ثم رجع إلى المدينة فشبَّب بعاتكة، وأخذ يُشبّب بنساء المسلمين.

فقال رسول الله ﷺ: «مَنْ لِكَعْبِ بن الأشرف فإنه قد آذى الله ورسوله»؟ فقام محمد بن مَسمة، أخو بني عبد الأشهل الأنصاري فقال: يا رسول الله، أتحب أن أقتله؟ قال: «نعم» قال: فأْذَنْ لي أن أقول شيئاً. قال: «قُلْ» فأتاه محمد بن مسلمة، فقال له: يا كعب. إن هذا الرجل - يعني النبي ﷺ -: قد سألنا صدقة وإنه قد عَنّانا، وإني قد أتيتك أستسلفك: قال كعب: وأيضاً والله لتملّنه، قال محمد بن مسلمة: إنا قد اتبعناه فلا نُحب أن ندعه حتى ننظر إلى أي شيء يصير شأنُه، وقد أردنا أن

---

(١) انظر سيرة ابن هشام ٣/٥٤ والمواهب اللدنية ٢/٨.

تُسلفنا وسْقاً أو وسقَيْنِ. فقال: نعم ارْهنوني. قال: أي شيء تريد؟ قال: ارهنوني نساءكم. قال: كيف نرهنك نساءنا وأنت أجمل العرب؟ قال: فارهنوني أبناءكم، قال: كيف نرهنك أبناءنا؟ فيُسَبّ أحدهم فيقال رُهِن بوسْقٍ أو وسقين، هذا عارٌ علينا. ولكننا نَرْهنك السلاح[1].

فواعده أن يأتيه مع من يريد الرهان، فجاءه ليلاً، ومعه أبو نائلة سِلْكان بن سَلامة بن وَقْش، وهو أخو كعبٍ من الرضاع، كما أن محمد بن مسلمة ابن أخته، وعبَّاد بن بِشْر بن وقش، والحارث بن أَوْس بن مُعاذ، وأبو عَبْس بن جَبْر، وهؤلاء الخمسة من الأوس والأنصار، فدعاهم إلى الحصن، فنزل إليهم فقالت له امرأته: أين تخرج هذه الساعة؟ فقال: إنما هو محمد بن مسلمة، وأخي أبو نائلة، قالت: أسمع صوتاً كأنه يَقطر منه الدمُ، قال: الكريم لو دُعِي إلى طَعْنِهِ بلَيْلٍ لأجاب، فقال محمد بن مسلمة لأصحابه: إذا ما جاء فإني قائلٌ[2] بشعره فأشمه، فإذا رأيتموني استمسكت من رأسه فدونكم فَاْضربوه. فنزل إليهم متوشِّحاً، وهو ينفح منه ريح الطيب، فقال له محمد بن مسلمة: ما رأيت كاليوم ريحاً أطيب!! قال كعب: عندي أعطرُ نِساء العرب، وأكملُ العرب. فقال: أتأذن لي أن أشم رأسك؟ قال: نعم، فشمَّه ثم أشمّ أصحابك. ثم قال: أتأذن لي؟ قال: نعم، فلما استمكن منه قال: دونكم فاقتلوا عدوّ الله. فضربوه بأسيافهم، فاختلفت عليه فم تغنِ شيئاً.

وكان لمحمد بن مسلمة مِغْوَل[3] في سيفه، فوضعه في سُرَّته ثم تحامل عليه، فغطَّه حتى انتهى إلى عانته، فصاح وصاحت امرأته: يا

---

(١) رهن السلاح من محمد بن مسلمة من أعظم طرق الدهاء حتى إذا أتوه متسلحين لا ينكر عليهم ذلك.

(٢) قائل: معناه آخذ، وهو من إجراء القول مجرىٰ الفعل.

(٣) المغول: السكين تكون في الصوت.

آل قريظة والنضير، مرتين، فحزَّ رأسه، ورجعوا. فلما بلغوا بَقي الغَرْقد، كبَّروا وقد قام رسول الله ﷺ تلك الليلة يُصلِّي، فلما سمع تكبيرهم، كبَّر وعرف أن قد قتلوه، ثم انتهوا إليه فقال: «أَفْلَحَت الوجوهُ» فقالوا: وجهك يا رسول الله. ورموا رأسه بين يديه فحمد الله على قتله. فأصبحت اليهود مذعورين. فأتوا النبي ﷺ فقالوا: قُتِل سيدنا غَيْلةً، فذكرهم النبي ﷺ صَنِيعَه وما كان يُحرِّض عليه ويؤذي المسلمين. وكان ذلك ليلة الرابع عشر من شهر ربيع الأول، سنة ثلاث من الهجرة.

وهذه القصة لخَّصْتها من البخاري وشرحه للحافظ بن حجر.

فمن ذلك يتَّضح أن الإيمان إذا تمكن من قلب الإنسان يجعله لا يرى شيئاً أفضل منه، ويضحي كلّ عزيز لديه دونه، فهذا محمد بن مسلمة، وهذا أبو نائلة من قرابة كعب بن الأشرف، فلما تبيّن لهما أنه عدوٌّ لله وللإسلام ولنبي الإسلام، ﷺ تبادرا دون غيرهما إلى قتله وإبادته، تقرُّباً إلى الله تعالى، وإعزازاً للإسلام.

فلو كان عندنا اليوم أمثال هؤلاء الأبطال، الذين يضحون بكل شيء لإعزاز كلمة الله تعالى، لأراحوا الإسلام من الملاحدة الذين هم أشبه بأولئك اليهود، كفراً وغروراً وجهلاً وحماقةً وغباوةً وغطرسةً ووقاحةً، وتبجُّحاً وسفسطةً.

غزوة غطفان[1]

هذه الغزوة تسمى غَطَفان، وتسمى ذات الرِّقاع، وتسمى غزوة ذي أَمَر، وتسمى غزوة أَنمار. وغطفان هم مَطير، ومنازلهم شرق المدينة،

---

(١) انظر سيرة ابن هشام ٣/٤٩ والمواهب اللدنية ٢/١٤.

وتمتد من الجنوب إلى الشمال، ومن غطفان بُطون شعوب كثيرة، وهم بطن من قيس عيلان من العدنانيين.

وكانت هذه الغزوة في اليوم الثاني عر من شهر ربيع الأول من السنة الثالثة للهجرة، وذلك أن دُعْثور بن الحارث المحاربي - كان شجاعاً - جمع بني ثعلبة ومحارب، يريد الإغارة على رسول الله ﷺ؛ فندب رسول الله ﷺ المسلمين، وخرج في أربعمائة وخمسين من أصحابه المهاجرين، والأنصار، ومعهم عدة من الخيل، واستخلف على المدينة عثمان بن عفان، رضي الله عنه، فلما سمعوا بمهبطه ﷺ، هربوا في رؤوس الجبال، فأصابوا رجلاً منهم يقال له: «حِبان» من بني ثعلبة، فأُدخل على رسول الله ﷺ، فدعاه إلى الإسلام؛ فأسلم، وضمه إلى بلال، وأصاب النبيَّ ﷺ مطرٌ، فنزع ثوبَيه، ونشرهما على شجرةٍ ليجِفّا، واضطجع تحتها وهم ينظرون، فقالوا لدعثور - رئيس القوم -: قد انفرد محمد، فعلَيْك به، فأقبل ومعه سيفه، حتى قام على رأس رسول الله ﷺ، فقال: مَنْ يَمنعك مني اليوم، فقال ﷺ: «الله» فدفعه جبريل في صدره، فوقع السيف من يده، فأخذه النبي ﷺ فقال له: «مَنْ يَمْنَعُكَ مِني»؟ فقال: لا أحد، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله. ثم أتى قومه فدعاهم إلى الإسلام. ثم رجع رسول الله ﷺ ولم يلقَ كيداً، وكانت غيبته إحدى عشرة ليلة.

هذا ما ذكره القسطلاني في المواهب، وأما ابن إسحاق فجعلها في أول المحرم من السنة الثالثة، وأنه أقام شهر صفر بأكمله. أو قريباً منه، وتابعه على ذلك ابن خلدون في تاريخه.

غزوة بحران[1]

وهي غزوة بني سُليم من ناحية الفُرُع، في شهر ربيع الآخر، سنة ثلاث من الهجرة، خرج رسول الله ﷺ، في ثلاثمائة رجل من أصحابه، واستعمل على المدينة ابنَ أُمِّ مكتوم، يريد عِيرَ قريش، حتى بلغ بَحْرَان - وهي معدِنٌ من ناحية الفُرُع جنوب المدينة بغرب - فأقام بها شهر ربيع الآخر وجمادى الأُولى. ثم رجع إلى المدينة ولم يلقَ كيداً.

سرية زيد بن حارثة إلى القردة[2]

وقعت هذه السرية، في هلال جُمادى الآخرة، سنة ثلاث من الهجرة، والقردة اسم ماء من مياه نجد.

وسبب ذلك: أن قريشاً خافوا من طريقهم التي يسلكونها عادة إلى الشام مما وقع عليهم ببدر. فسلكوا طريق العراق. فخرج منهم تجار وفيهم: أبو سفيان بن حرب. وصَفْوان بن أمية. وَحُوَيطب بن عبد العُزَّى. واستجاروا بفُرات بن حبان - من بني بكر بن وائل - فخرج بهم في الشتاء.

وسلك بهم طريق العراق. وكان معهم المال الكثير والفضة الكثيرة، وهي أعظم تجارتهم. فبلغ ذلك رسول الله ﷺ؛ فبعث إليهم زيد بن حارثة في مائة راكب. فلقيهم على ذلك الماء، فأصاب تلك العير وما فيها. وأعجزه الرجالُ، وأَسَرَ فُرُاتَ بنَ حبان. وقدموا بالعير والأسير على رسول الله ﷺ، وقد بلغ الخمسُ عِشرينَ ألفَ درهم، ويقول ابن مغلطاي) خمسة وعشرين ألف درهم وأما الأسير فاعتصم بالإسلام، وحسن إسلامه، وأرسله رسول الله ﷺ، إلى ثمامة بن أثال في شأن مُسَيلِمة ورِدَّته.

---

(١) انظر سيرة ابن هشام جـ ٢ ص ٥٠ والمواهب اللدنية ٢/ ١٦.

(٢) انظر سيرة ابن هشام ٥٣/٣ والمواهب اللدنية ٢/ ١٧.

وقال في ذلك حسان بن ثابت رضي الله عنه شعراً:

دَعُوا فَلَجَاتِ الشَّامِ قَدْ حَالَ دُونَهَا ... جِلَادٌ كَأَفْوَاهِ المَخَاضِ الأَوَارِكِ

بِأَيْدِي رِجَالٍ هاجَرُوا نَحْوَ رَبِّهِمْ ... وأَنْصَارِه حَقّاً وأَيْدي المَلائِكِ

إذا سَلَكَتْ لِلغَوْرِ مِنْ بَطْنِ عَالِجٍ ... فَقُولَا لَهَا: لَيْسَ الطَّرِيقُ هُنَالِكِ

غزوة أحد[1]

سُميت هذه الغزوة بإسم الجبل الذي وقعت الواقعة تحته. وهو شمال المدينة. على نحو ثلاثة أميال من مسجد رسول الله ﷺ، وكانت الواقعة يوم السبت، في منتصف شهر شوال، من سنة ثلاث من الهجرة، وسبب ذلك: أنه لما أُصيب كفار قريش يوم بدر وقتل فيها من عظمائهم، وأشرافهم، ورجع مكة فلُّهم، وأبو سفيان بِعيره.

مشى عبد الله بن أبي ربيعة، وعِكرمة بن أبي جهل، والحارث بن هِشام، وحُوَيطب بن عبد العُزَّى، وصَفوان بن أمية، في رجال من قريش ممن أصيب آباؤهم وإخوانهم يوم بدر، بكلموا أبا سفيان بن حرب، ومن كانت له في تلك العير من قريش تجارة، فقالوا: يا معشر قريش، إن محمداً قد وَتَركم وقتل خياركم، فأعينونا بهذا المال على حربه، فلعلنا ندرك منه ثأرنا بمن أصاب منا، فقال أبو سفيان: أنا أول من أُجيب إلى ذلك، وتبعته بنو عبد مناف، فباعوها، وكانت ألفَ بعير، وخمسين ألف دينار، وبذلك أجمعت قريش على حرب رسول الله ﷺ، وبَثُّوا شعراءهم وخطباءهم يستنفرون القبائل لمشاركتهم.

وكان ممن بُعِث لهذه المهمة: أبو عَزَّة عمرو بن عبد الله الجُمحي

---

(١) انظر سيرة ابن هشام ٣/٦٤ والمواهب اللدنية ٢/١٨.

الذي كان قد مَنَّ عليه رسول الله ﷺ، في أسراء بدر، وأطلقه من الأسر لفقره كثرة عياله بدون فِداء. فقال له صفوان بن أمية: يا أبا عَزّة إنك امرؤٌ شاعر، فأَعِنَّا بلسانك، فاخرج معنا. فقال: إن محمداً قد مَنَّ عليَّ، فلا أريد أن أُظاهر عليه، قال: فأعِنَّا بنفسك، فلك اللَّهُ عليَّ إن رَجَعْت أن أُغنيك، وإن أُصبتَ أن أجعل بناتك مع بناتي، يصيبهن ما أصابهن من عسر ويسر. فخرج أبو عَزَّة يسير في تِهامة. ويدعو بني كنانة ويقول:

أَيَا بَنِي عَبْدِ مَنَاةَ الرُّزَّامْ[1] أَنْتُمْ حُمَاةٌ وأَبُوكُمْ حَامْ
لا تَعِدُوني نَصْرَكُمْ بَعْدَ العَامْ لا تُسْلِمُونِي لَا يَحِلُّ إِسْلَامْ

وخرج مُسافع بن عبد مناف بن وَهْب الجمحي إلى بني مالك بن كنانة يحرضهم ويدعوهم لحرب رسول الله ﷺ، وهو يقول:

يا مَالِ مَالِ الحسب المُقَدَّمِ أُنْشُدُ ذا القُرْبَى وذا التَّذَمُّمِ
مَن كَانَ ذَا رُحْمٍ وَمَنْ لَمْ يَرْحَمِ الحِلْفَ وَسْطَ البَلَدِ المُحَرَّمِ
عِنْدَ حَطِيمِ الكَعْبَةِ المُعَظَّمِ

ودعا جُبير بن مُطْعِم غلاماً له حبشيّاً يقال له: وَحْشِي، كان يقذف بحربة له قَذْفَ الحبشةِ. قلَّما يخْطِىء بها، فقال له: أخرُج مع الناس، فإن أنت قتلت حمزة عمَّ محمد، بعمي طُعَيْمة بن عَدِيّ فأنت عَتِيق، فخرجت قريش بحَدّها وجَدِّها وخَيْلِها ورجلها، وأحابيشها، ومن تابعها من بني كنانة وأهل تهامة. وأخرجوا معهم الظعن ـ النساء ـ التماسَ الحفيظة، كي لا يفروا، وخرج أبو سفيان بن حرب ـ وهو القائد ـ ومعه هند بنت عتبة بن ربيعة زوجته، وخرج عِكرمة بن أبي جهل، ومعه زوجته أم حَكِيم بنت الحارث بن هشام، وخرج الحارث بن هشام أخو أبي جهل، ومعه زوجته فاطمة بنت الوليد. وخرج صفوان بن أمية بزوجته بَرْزَة بنت مسعود

---

(١) في إحدى نسخ سيرة ابن هشام إيهأبني.

الثقفية. وخرج عمرو بن العاص بزوجته رَيْطة بنت مُنَبِّه بن الحجاج. وخرج طَلْحة بن أبي طلحة[1] بزوجته سُلَافة بنت سَعد بن شُهَيد الأنصارية. وهي أم بني طلحة: مسافعٍ، والجُلاسِ، وكِلابٍ. وخرجت خُناس بنت مالك بن المُضرب من بني مالك. مع ابنها أبي عزيز بن عُمير، وهي أم مُصعب بن عمير العَبدري رضي الله عنه، وخرجت عَمْرة بنت عَلْقَمة الكنانية.

وكانت هند بنت عتبة كلما مرت بوحشي أو مرّ بها قالت: ويهاً أبا دَسْمة اشفِ واستشف. فأقبلوا حتى نزلوا بِعَيْنَين، بجبل ببطن السَّبْخة من قَناة على شَفِير الوادي مقابل المدينة. وكان خروج قريش من مكة في خمس من شهر شوال من السنة الثالثة.

فكتب العباس بن عبد المطلب كتاباً لرسول الله ﷺ يخبره بخبر قريش ومسير أبي سفيان ومن معه إليه، فلما سمع رسول الله ﷺ والمسلمون بهم، وقد نزلوا حيث نزلوا، وقد رأى رسول الله ﷺ ليلة الجمعة التي صبيحتها وقعة أحد رؤيا، فقال رسول الله ﷺ للمسلمين: «إني قد رأيت واللَّهِ خيراً[2]، رأيت بقراً تذبح ورأيت في ذُباب سيفي ثَلْماً، ورأيت أني أدخلت يدي في دِرْعٍ حصينة، فأوْلْتها المدينةَ، فإن رأيتم أن تُقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا، فإن أقاموا، أقاموا بشر مُقام، وإن هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها»، وكان عبد الله بن أُبيٍّ بن سلول يرى هذا الرأي، وكان رجال من المسلمين أسِفوا على ما فاتهم من مشهد بدر، فقالوا: يا رسول الله، اخرُجْ بنا إلى أعدائنا، لا يرون أنّا جَبُنّا عنهم وضعفنا، كنا نتمنى هذا اليوم. فقال عبد الله بن أُبَيّ بن سلول: يا رسول الله، أقِمْ بالمدينة لا تخرج إليهم، فوالله ما خرجنا منها إلى عدوٍّ لنا

---

(١) أبو طلحة هذا: هو عبد الله بن عبد العزى.

(٢) في صحيح البخاري «واللَّهُ خيرٌ». [المصحح].

قط إلَّا أصاب منا، ولا دخلها علينا إلَّا أصبنا منه، فدعهم يا رسول الله، فإن أقاموا أقاموا بشر مجلس، وإن دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم، ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم، وإن رجعوا رجعوا خائبين كما جاءوا.

قال حمزة بن عبد المطلب، وسعد بن عبادة، والنّعمان بن مالك، في طائفةٍ من الأنصار: إنا نخشى يا رسول الله أن يَظنَّ عدُوَّنا أنا كرهنا الخروج إليهم جُبْناً عن لقائهم، فيكون هذا جُرأةً منهم علينا. وقد كنت يوم بدر في ثلاثمائة رجل فظفرك الله عليهم. ونحن اليوم بَشَرٌ كثير، كنّا نتمنى هذا اليوم ندعو الله تعالى به، فساقه الله إلينا في ساحتنا. ورسول الله ﷺ لما يرى من إلحاحهم كارِهٌ، وقد لبسوا السلاح.

وقال إياس بن أوس بن عَتيك: إحدى الحُسنيين. الظفر أو الشهادة، ولا تطمع العرب في أن تدخل علينا منازلنا، وقال حمزة: والذي أنزل عليك الكتاب لا أطعم اليوم طعاماً حتى أجادلهم بسيفي خارج المدينة.

وحثّ مالك بن سنان الخدري، وإياس بن عتيك وجماعة على الخروج للقتال. فلم يزل الناس برسول الله ﷺ الذيت يتوقدون شجاعة وبأساً وينظرون إلى عدوهم مهما كملت عدته، وكثر عدده بنظر حطّه وحقارة، لما علموا من موقف (بدر) وما أبلوه في تلك المعركة من قتل وأسر، فكان الناس على ثلاثة أقسام: قسم شجاع لا يرى إلا الفوز أو الموت. وقسم جبان وهو ابن سلول، وقسم: شفوق وهو رسول الله ﷺ. فكان من رأيه عدم الخروج. شفقةً ورحمة بأصحابه، لما علم من كثرة العدو وأنهم لم يأتوا إلا للانتقام. فأراد أن يرجعوا بخيبة الأمل. فلما رأى رسول الله ﷺ رغبة أصحابه لقاءَ العدوّ، صلى بهم صلاة الجمعة. ثم وعظهم، وأمرهم بالجد والاجتهاد. وأخبرهم أن لهم النصر ما صبروا. وأمرهم بالتَّهيُّؤ لعدوهم. ففرح الناس بذلك، ثم صلى رسول الله ﷺ

بالناس العصر. وقد حشدوا وحضر أهل العوالي. ورفعوا النساء في الأطم. ثم دخل ﷺ بيته ومعه صاحباه أبو بكر وعمر، رضي الله عنهما. فَعمَّماه وألبساه. وصفّ الناس ينتظرون خروج رسول الله ﷺ. فقال سعد بن مُعاذ وأُسَيْد بن حُضَيْر: استكرهتم رسول الله ﷺ، فرُدُّوا الأمرَ إليه. فخرج رسول الله ﷺ وقد لبس لأمته. وتقلَّد سيفه، فندموا جميعاً على ما صنعوا ـ فقالوا: يا رسول الله استكرهناك ولم يكن ذلك لنا، فإن شئت فاقْعُد صلى الله عليك وسلم. فقال ﷺ: «مَا ينبغي لنبيٍّ إذا لبس لأمته أن يضَعها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه» وعقد رسول الله ﷺ ثلاثة ألوية: لواء الأوس بيد أُسَيد بن حُضير الأنصاري، ولواء الخزرج بيد الحُبَاب بن المنذر الأنصاري، ولواء المهاجرين بيد مُصْعَب بن عمير العبدري. واستعمل على المدينة ابنَ أُمٍّ مكتوم على الصلاة بالناس.

وكان المشركون ثلاثة آلاف رجل من قريش وحلفائهم والأحابيش، وفيهم سبعمائة دارع، ومائتا فرس. وثلاثة آلاف بعير، وخمس عشرة امرأة. وكان المسلمون ألف رجل. وفيهم مائة دارع، ولم يكن معهم من الخيل غير فرسين، إحداهما لرسول الله ﷺ، والأخرى لأبي بُرْدَة بن نيار الأنصاري.

فخرج رسول الله ﷺ راكباً فرسه: (السَّكْب) وتقلد القوس، وأخذ قتادة بيده. وخرج السَّعدان: سعدُ بن مُعاذ، وسَعد بن عُبادة، الأنصاريان يَعْدُوَان دارَعَيْنِ أمامه. وذلك بعد العصر، ثم ردَّ رسول الله ﷺ جماعة من المسلمين لصغر سنهم، منهم: أسامة بن زيد، وعبد الله بن عمر، وزيد بن ثابت، وأبو سعيد الخُدْرِي، والنُّعمان بن بَشير، وزيد بن أرقم. والبَرَاء بن عازب، ثم عسكر رسول الله ﷺ (بالشيخين) وهما أُطمانِ من حُصون المدينة، ونزل عبد الله بن أُبَيّ ابن سلول ناحيةً. ولما فرغ رسول الله ﷺ من استعراض عسكرِه ـ جُنْدِ الله ـ من مهاجرين، وأنصار، وغربت الشمس، أَذَّنَ بِلالٌ بالمغرب، فصلى بهم ﷺ المغرب، ثم أَذّنَ بالعشاء، فصلىٰ

بأصحابه العِشاء، وبات بالشَّيْخين تلك الليلة، واستعمل على الحرس محمد بن مَسلمة الأنصاري في خمسين رجلاً يطوفون بالعسكر، وقال ﷺ: «من يحفظنا الليلة» فقام ذَكْوان بن عبد قيس، فلبس درعه وأخذ دَرقته، فكان يحرس رسول الله ﷺ لم يفارقه، ونام ﷺ حتى كان السَّحَر، ثم أدلج ﷺ في السحر، حتى إذا كانوا بالشَّوْط، بين المدينة وأحد، انخزل عنه عبدُ الله بن أُبيّ بن سلول بثُلث الناس، وقال: أطاعهم وعصاني، ما ندري علام نقتل أنفسنا ها هنا أيها الناس؟ فرجع بمن اتبعه من قومه من أهل النفاق والريب، فقال لهم عبدُ الله بن عَمرو بن حرام - أخو بني سلمة الأنصاري -: يا قوم أذكركهم الله أن لا تخذلوا قومكم ونبيكم عندما حَضر من عَدُوِّهم.

فقالوا: لو نعلم أنكم تقاتلون لما أسلمناكم ولكن نرى أن لا يكون قتالٌ. فلما استعصوا عليه قال لهم: أبعدكم الله أعداءَ الله. فسيغني اللَّهُ عزَّ وجل عنكم نَبيَّه ﷺ. وأنزل الله تعالى:

﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْه حَتَّى يَميز الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الذينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لهمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا في سَبِيلِ اللَّهِ أوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتالاً لاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾[2].

فقال الأنصار: يا رسول الله ألا نَسْتعينُ بحلفائنا من يَهود؟ فقال: «لا حاجة لنا فيهم» ومضى رسول الله ﷺ حتى سلك حَرَّة بني حارثة، فقال

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٧٩.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٦٧.

رسول الله ﷺ لأصحابه: «من رَجل يخرج بنا على القوم من كَثَب ـ قُرْبٍ من طريق ـ لا يمرُّ بنا عليهم»؟ فقال أبو خَيْثمة حارثة بن الحارث الأنصاري: أنا يا رسول الله، فنفذَ به في حَرَّة بني حارثة وبين أموالهم حتى سلك في مال لمرْبَع بن قَيْظِيّ وكان رجلاً منافقاً ضريرَ البصر، فلما سمع صوتَ رسول الله ﷺ ومن معه من المسلمين قام يَحْثِي في وجوههم التراب ويقول: إن كنتَ رسول الله فإني لا أُحِلّ لك أن تدخل حائطي. وأخذ حفنة من تراب في يده ثم قال:

والله لو أني أعلم أني لا أصيب بها غيرك يا محمد لضربت بها وجهك. فابتدره القوم ليقتلوه، فقال رسول الله ﷺ: «لا تقتلوه، فهذا الأعمى القلب أعمى البصر» وقد بدر إليه سعد بن زيد أخو بني عبد الأشهل قبل نَهْي رسول الله ﷺ، فضربه بالقوس في رأسه فشجه. ودبّ فرس أبي بُردة بن نيار بذنبه كلاَب سيفه فاستله، فقال رسول الله ﷺ: «يا صاحب السيف شِمْ سَيْفَك[1] إني إخال السيوف تستل اليوم فيكثر سَلّها» ومضى رسول الله ﷺ حتى نزل الشِّعب من أُحد في عُدْوَة الوادي إلى الجبل، فجعل ظهره وعسكره إلى أُحد، واستقبل المدينة، وصفّ المسلمين بأصل أُحد، وحانت صلاة فجر يوم السبت والمسلمون يرون المشركين، فأذَّن بلال وأقام، وصلى رسول الله ﷺ بأصحابه الصبح صُفوفاً، ثم قام رسول الله ﷺ فخطب الناس فقال: «أيها الناس، أوصيكم بما أوصاني الله تعالى به في كتابه، من العمل بطاعته، والتناهي عن محارمه، ثم إنكم بمنزلِ أجرٍ وذُخر لمن ذكر الذي عليه ثم وطن نفسه على الصبر واليقين والجلد والنشاط، فإن جهاد العدو شديد كربه، قليل من يصبر مع من أطاعه، وإن الشيطان مع من عصاه فاستفتحوا أعمالكم بالصبر على الجهاد، والتمسوا بذلك ما وعدكم الله تعالى بالذي أمركم به، فإني

(١) شم سيفك: اغمده. وكلمة شام من الأضداد تكون أيضاً بمعنى سل.

حـريص على رشدكم، وإن الاختـلاف والتنازع والتثبط من أمر العجـز والضعف مما لا يحبه الله تعالى ولا يعطى عليه النصر ولا الظفر. يا أيها الناس، من كان على حرام فرق الله بينه وبينه، ومن رغب عنه غفر الله له ذنوبه، ومن صلىَ عليَّ صلاةً صلى الله عليه وملائكته عشراً، ومن أحسن من مسلم أو كافر وقع أجره على الله في عاجلِ دنياه وآجل آخرته، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فعليه الجمعة إلا صبيّاً، أو امرأة أو مريضاً أو عبداً مملوكاً، ومن استغنى عنها استغنى الله عنه والله غني حميد. ما أعلم من عمل يقربكم إلى الله تعالى إلا وقد أمرتكم به، ولا أعلم من عمـل يقربكم إلى النار إلا وقد نهيتكم عنه، وإنه قد نفث في روعي الروح الأمين أنه لن تموت النفس حتى تستوفي أقصى رزقها، لا ينقص منه شيء وإن أبطأ. فاتقوا الله ربكم، وأجملوا في طلب الرزق. ولا يحملنكم استبطاؤه أن تطلبوه بمعصية الله، فإن الله لا يقدر على ما عنده إلا بطاعته، قد بين لكم الحلال والحرام، غير أن بينهما شبهـاً من الأمر لا يعلمهـا كثير من الناس إلا من عصمهُ الله تعالى، فمن تركها حفظ عرضه ودينه، ومن وقع فيها كان كالراعي إلى جنب الحمى أوشك أن يقع فيه، ليس ملك إلا وله حمى، ألاَ وإن حِمَى الله محارمه، والمؤمن من المؤمن كالرأس من الجسد إذا اشتكى تداعى سائر جسده، والسلام»[1] ثم قال ﷺ: «لا يقاتلن أحد منكم حتى نأمره بالقتال». وقد سرحت قريش الظَّهْـر والكُرَاع ـ الـركائب والبقر والغنم ـ في زروع كانت بالسبخة[2] من قَناة للمسلمين، فقال رجل من الأنصار: أتُرْعَى زروع بني قَيْلَة ولمَّا نُضارِب[3]؟

فتعبأ رسول الله ﷺ للقتال. وهو في سبعمائة رجل، وأمرَّ على الرُّماة

---

(١) عن سبيل الهدى والرشاد.

(٢) في سيرة ابن هشام بالصمغة. وفسرت بالهامش أنها أرض قرب أحد.

(٣) بنو قيلة والخزرج وقيلة اسم أم من أمهاتهم.

عبْدَ الله بن جُبير أخا بني عمرو بن عوف الأنصاري، وهو مُعَلْم يومئذ بثياب بيض. والرُّماة خمسون رجلاً. فقال له رسول الله ﷺ: «انْضَح[1] الخيل عنا بالنبل لا يأتونا من خلفنا، إن كانت لنا أو علينا فاثبُتْ مكانك لا نُؤتَيَنَّ مِن قِبَلِك. احموا ظهورنا، فإن رأيتمونا قد غَنِمنا فلا تَشركُونا» وظاهر ﷺ بين دِرْعين.

وتَعَبّتْ قريش وهم ثلاثة آلاف رجل ومعهم مائتا فرس قد جَنبوها، فجعلوا على ميمنة الخيل: خالد بن الوليد، وعلى ميسرتها: عِكرمة بن أبي جهل. وعلى المشاة: صَفْوان بن أمية. وعلى الرُّماة: عبد الله بن أبي ربيعة. ودفعوا اللواء إلى طلحة بن أبي طلحة ـ عبد الله بن عبد العزى العبدري ـ وقال أبو سفيان لأصحاب اللواء من بني عبد الدار يُحرضهم بذلك: يا بني عبد الدار، إنكم قد وَليتُم لواءنا يوم بدر فأصابنا ما قد رأيتم، وإنما يؤتى الناس من قبل راياتهم، إذا زالت زالوا، فإما أن تكفونا لواءنا، وإما أن تُخَلُّوا بيننا وبينه فَنكفيكموه، فهمُّوا به وتوعدوه وقالوا: نحن نُسلم إليكم لواءنا، ستعلم غداً إذا التقينا كيف نصنع؟ فكان هذا التحمس من آل عبد الدار هو مراد أبي سفيان وكان ذلك سبب حصارهم في هذه الوقعة كما سيعلم من النتيجة.

فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «من يأخذ هذا السيف بحقه» فقام إليه رجال فأمسكه عنهم، حتى قام إليه أبو دُجانة: سِماك بن خَرَشَة أخو بني ساعدة الأنصاري، فقال: وما حقه يا رسول الله؟ قال: «أن تضرب به في العدُوِّ حتى يَنْحني» قال: أنا آخذه يا رسول الله بحقه. فأعطاه إياه. وكان أبو دجانة رجلاً شجاعاً يختال عند الحرب إذا كانت، وكان إذا اعتصب بعصابة حمراء علم الناس أنه سيقاتل، فلما أخذ السيف من يد رسول الله ﷺ عصب رأسه بها، وجعل يتبختر بين الصفين، فقال رسول الله ﷺ حين

---

(١) انضح الخيل: ادفعها.

رأى أبا دجانة يتبختر: «إنها لمشية يبغضها الله إلا في مثل هذا الموطن».

وكان قد خرج أبو عامر عبد عمرو أحد بني ضُبيعة إلى مكة مباعِداً لرسول الله ﷺ ومعه خمسون غلاماً من الأوس، فوعد قريشاً أنه إن رآه قومُه لا يتخلف منهم عنه أحد، فلما التقى الناس كان أوّل من لقيهم أبو عامر في الأحابيش وعُبدان أهل مكة، فنادى: يا معشرَ الأوس، أنا أبو عامر. قالوا: فلا أنعم الله بك عيناً يا فاسق.

ابتداء المعركة

فلما التقى الناس ودنا بعضُهم من بعض قامت هند بنت عتبة في النسوة اللاتي معها، وأخذن الدفوف يضربن بها خلف الرجال ويحرضْنَهم وهي - أي هند - تقول:

وَيَهْاً بني عَبْدِ الدَّارْ ... ويهاً حُماةَ الأدبار

ضرباً بكل تيار

وتقول أيضاً:

إن تُقْبِلو نُعَانِقْ ... ونَفْرِشِ النَّمارِق

أو تُدْبِرُوا نُفارِقْ ... فِرَاقَ غَيْرِ وامِقْ

وكان شعار أصحاب رسول الله ﷺ يوم أُحد: «أمِتْ أمِت».

فاقتل الناس حتى حميت الحرب، وقاتل أبو دجانة حتى أمعن الناس وهو يقول:

أَنَا الَّذِي عَاهَدَنِي خَليلي ... وَنَحْنُ بِالسَّفْحِ لَدَى النَّخيلِ

أَنْ لَا أَقُومَ الدَّهْرَ في الكَيُّولِ[1] ... أَضْرِبْ بِسَيْفِ اللَّهِ وَالرَّسُولِ

(١) الكيول: آخر الصفوف في الحرب، ويروى في الكبول والكبول: القيود الواحد كبل.

فجعل لا يلقى أحداً إلا قتله. قال كعب بن مالك. خرج رجل من المشركين نحو المسلمين وهو يقول: اسْتَوْسِقُوا[1] كما استوسقتْ جُرْبُ الغنم. وإذا رجل من المسلمين قائم ينتظره وعليه لامته، فمضيت حتى كنت من ورائه، ثم قمت أقدر المسلم والكافر بنظري، فإذا الكافر أفضلهما عُدَّة وهيبة. قال: فلم أزل أنتظرهما حتى التقيا، فضرب المسلم الكافرَ على حَبْل عاتقه ضربَةً بالسيف فبلغت وَركه وانفرق فرقتين، ثم كشف المسلم عن وجهه وقال: كيف ترى يا كعب؟ أنا أبو دُجانة؟

ولقي أبو دجانة هندَ بنت عتبة، فوضع السيف على مَفرق رأسها ثم عدل السيف وقال:

أكرمْتُ سيفَ رسول الله ﷺ أن أضرب به امرأة.

وخرج رجل من المشركين فدعا إلى البراز، فأحجم عنه الناس، حتى دعا ثلاثاً وهو على جمل له، فقام إليه الزبير بن العَوّام، فوثب حتى استوى معه على بعيره، ثم عانقه، فاقتتلا، فوقع البعير. فقال رسول الله ﷺ: «الذي يلي حَضيض الأرض مقتول» فوقع المشرك ووقع عليه الزبير فذبحه. فأثنى عليه رسول الله ﷺ وقال: «لكل نبي حَوَاريّ وإن حَوَارِيّ الزبير» وقال: «لو لم يبرز إليه الزبير لبرزت إليه»[2].

اشتداد المعركة

اشتدت المعركة واقتتل الناس قتالاً شديداً، وحميت الحرب، وأبلى أبو دُجانة الأنصاري، وطلحة بن عبيد الله، وأسد الله وأسد رسوله حمزة بن عبد المطلب، وعلي بن أبي طالب، وأنس بن النضر، وسعد بن الربيع،

---

(١) استوسقوا: استجمعوا وانضموا.

(٢) قال ذلك لما رأى من إحجام الناس عنه.

رضي الله عنهم، بلاءً حسناً، فالتقى حمزة بن عبد المطلب بأرطاة بن شُرَحْبِيل العبدري وكان أحد الذين يحملون لواء المشركين فقتله، ثم مَرَّ به سِباع بن عبد العُزَّى الغُبْشَاني، فقال له حمزة: هَلُمَّ إليَّ يا ابن مُقَطِّعة البُظور، فلما التقيا ضربه حمزة فقتله.

وصاح طلحة بي أبي طلحة صاحب لواء المشركين: من يبارز؟ فلم يبرز إليه أحد فقال: يا أصحاب محمد، زعمتم أن قتلاكم في الجنة وقتلانا في النار، كذبتم واللاَّتِ لو تعلمون أن ذلك حَقٌّ لخرج إليَّ بعضكم، فبرز إليه ليثُ بني غالب عليٌّ بن أبي طالب، فالتقيا بين الصفين، فحمل عليه عليٌّ فقتله، وسرّ رسول الله ﷺ وأظهر التكبير وكبّر المسلمون وشَدُّوا على المشركين.

ثم حمل لواءَ المشركين كِلاب بن طلحة بن أبي طلحة، فحمل عليه الزبير بن العوام فقتله، وحمل اللواء أبو شَيبة عثمان بن أبي طلحة، فحمل إليه حمزة بن عبد المطلب فقطع يَدَهُ وكَتِفه، وحمل اللواء أبو سعد بن أبي طلحة، فرماه سعد بن أبي وقاص فأصابت حنجرته فقتله، وحمل اللواء الجُلاس بن طلحة، فمل عليه طلحة بن عبد الله فقتله،

وحمل اللواء شُرَيح بن قارِظ، فقُتل ولم يُعرف قاتلُه، والظاهر أن الذي قتله قُزْمَانُ، وحمل اللواء أبو زيد بن عُمير العبدري، فحمل عليه قُزمَان فقتله، وحمل اللواء قاسطُ بن شُرَحبيل العبدري، فحمل عليه قزْمان أيضاً فقتله، وحمل اللواء صُؤاب - غُلامٌ لبني عبد الدار حبشي - فقُطعت يمينه فأخذ اللواء بشماله، فقطعت فالتزم القناة بصدره وعنقه. فحمل عليه قُزْمان فقتله. وقاتل عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح الأنصاري، فحمل على مُسافع بن طلحة وأخيه الحارث بن طلحة فأشعر كلًّا منهما سهماً فقتلهما، فأخذت اللواء عَمْرة بنت عَلْقمة الحارثية فأقامته فثابوا إليه، والتقى حنظلةُ الغَسيل الأنصاريُّ وأبو سفيان، فضرب حَنظلةُ فَرَس أبي سفيان بن حرب،

فوقع على الأرض، فصاح، وكان يريد ذبحه، فلما استعلاه حنظلة بن أبي عامر رآه شدَّاد بن شَعُوب[1] وقد علا أبا سفيان، فحمل على حنظلة بالرمح فأنفذه، فمشى إليه حنظلة والرمح عالق به وقد أثبته. ثم ضربه شداد الثانية فقتله. ولم يقتل في ابتداء المعركة من المسلمين غير حنظلة بعد أن قتل من المشركين أصحاب اللواء وغيرهم.

وأنزل الله نصره على المسلمين، وصدقهم وعدهُ فَحسُّوا الكفار[2] بالسيوف حتى كشفوهم عن المعسكر، وكانت الهزيمة، فولى الكفار لا يلوون على شيء، ونساؤهم يدعون بالويل، وتبعهم المسلمون حتى أجهضوهم ووقعوا ينهبون العسكر ويأخذون ما فيه من الغنائم. قال الزبير بن العوام رضي الله عنه: واللّهِ لقد رأيتني أنظر إلى خَدَمِ هند بنت عتبة وصواحِبها مُشَمِّرات هَوَارِبَ مادون أَخْذهن قليلٌ ولا كثير إذ مالت الرماةُ إلى العسكر حين كشفْنَا القوْمَ عنه وخَلُّوا ظُهورنا للخيل، فأتتنا من خلفنا، وصرخ صارخ: ألا إن محمداً قد قُتِل. فانكفأنا وانكفأ علينا القوم، بعد أن أصبنا أصحاب اللواء حتى ما يدنو منه أحد من القوم.

وسبب ذلك: أن الرماة لما رأوا هزيمة المشركين، وصار المسلمون يجمعون في غنائم قريش قالوا لأميرهم عبد الله بن جُبير الأنصاري. الغنمية، ظهر أصحابُكم فما تنتظرون؟ فقال عبد الله بن جبير: أنسيتم ما قال لكم رسول الله ﷺ؟ قالوا: والله لنأتين الناسَ فلنُصِيبَنَّ من الغنمية. فلما أتوهم صرفتْ وجوههم، فنظر خالد بن الوليد إلى خلاء الجبل وقلْة أهله، فكرّ بالخيل، وتبعه عكرمة بن أبي جهل، فحملوا على من بقي من النفر الرماة فقتلوهم وأميرهم عبد الله بن جبير الأنصاري، فبينما المسلمون قد شُعلوا بالنهب والغنائم إذ دخلت الخيل تنادي فرسانها بشعارها: يا

---

(١) هو شداد بن الأسود.
(٢) حسوهم: قتلوهم

للعُزّى!! يا لهبل!! ووضعوا السيوف في المسلمين وهم آمنون، وكلٌّ في يده وحضنه شيء انتهبه، ولما رأى المشركون خيلهم ظاهرة رجعوا فشدُّوا على المسلمين فهزموهم وقتلوا فيهم قتلاً ذريعاً، وتفرق المسلمون في كل وجه، وتركوا ما انتهبوا، وخلَّوْا من أسروا، وانتقضت صفوف المسلمين واستدارت رجالهم، وكانت الريح أول النهار صباً فصارت دبوراً، وكرَّ الناس منهزمين يحطم بعضهم بعضاً، فصاروا على ثلاثة أقسام: قسم جريح، وقسم هزيم، وقسم مقتول، واختلط المسلمون فصاروا يقتتلون على غيرِ شِعار، يضرِب بعضُهم بعضاً من العجلة والارتباك والدهشة، وتفرق المسلمون في كل وجه، وانهزمت طائفة منهم حتى دخلت المدينة، فلقيتهم أمُّ أيْمن، فعجلت تَحثو في وجوههم التراب وتقول لبعضهم: هاك المغزل فاغزِل به وهَلُمَّ السيفَ.

وكان رجل من المشركين إذا وجد جريحاً من المسلمين زَفَّف عليه حتى قتله، فالتقى به أبو دجانة الأنصاري، فشدَّ المشرك على أبي دجانة فضربه بسيفه فاتَّقاه أبو دجانة بدرقته، فعضَّت بسيف المشرك، فحمل عليه أبو دجانة بالسيف فقتله. وخرج من المشركين، سِباع فقال: هل من مُبارز؟ فخرج إليه حمزة بن عبد المطلب فشد عليه فقتله فكان كأمس الذاهب، وكان وَحشي الحبشيُّ ـ غلامُ جُبير بن مطعم ـ كامِناً تحت صَخرة، فلما دنا منه حمزة رماه بحربته فَتمكنت منه حتى خرجت من بين وَرِكيه فكان آخر العهد به.

المعركة العظمى

كانت راية رسول الله ﷺ بيد مُصعب بن عُمير سَليلِ عبد الدار وصاحب راية قريش جاهلية، وصاحب راية رسول الله ﷺ إسلاماً، فقاتل مصعب بالراية دون رسول الله ﷺ، حتى قتل، وكان الذي قتله ابن قَمِئة وهو يظنه رسول الله ﷺ، فصاح ابن قمئة: إن محمداً قُتل. فارتبك الناسُ، وأتاهم العدو من خلفهم، فازدادوا حيرةً وخبالاً وتمزقاً، وتفرق سائرهم واشتد فيهم بالقتل. ثم لما قُتل مصعب بن عمير رحمه الله ورضي عنه أعطى رسول الله ﷺ اللواء عليَّ بن أبي طالب، وقاتل عليٌّ بن أبي طالب ورجالٌ من المسلمين، فلما اشتد القتال جلس رسول الله ﷺ تحت راية الأنصار وأرسل ﷺ إلى عليّ بن أبي طالب أن أقدم بالراية، فقدم عليٌّ. ولما فقد المسلمون رسولَ الله ﷺ قال رجل منهم: إن رسول الله ﷺ قد قتل فارجعوا إلى قومكم ليؤمنوكم قبل أن يأتوكم فيقتلوكم فإنهم داخلو البيوت. فقال أنس بن النضر الأنصاري: إن كان رسول الله ﷺ قتل أفلا تقاتلون على دينكم وعلى ما كان عليه نبيكم حتى تلقوا الله عز وجلّ شهداء؟

وثبت رسول الله ﷺ حتى انكشفوا عنه، وهو يرمي عن قوسه حتى تقطع وتره، وثبت معه من أصحابه ثلاثون رجلاً، نصفهم من المهاجرين ونصفهم من الأنصار.

فمن المهاجرين: أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وطلحة بن عُبيد الله، وأبو عُبيدة بن الجراح، وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف، وعبد الله بن جَحْش، وَشَمّاس بن عثمان المخزومي، وحَاطب بن أبي بَلْتعة، وعبد الله بن مسعود، والمِقداد بن عمرو الكندي ومُصعب بن عُمير، والزُّبير بن العوَّام.

ومن الأنصار: أبو دُجانة، ومالك بن سنان وزيد[1] بن السَّكَن الأنصاري، ! وعُمارة بن زياد الأنصاري، وقَتادة بن النعمان، وأنس بن النضر، وسعد بن معاذ والحارث بن الصِّمَّة، وعبد الله بن عمرو بن حرام، والحُباب بن المنذر، وأبو طلحة زيد بن سهل الأنصاري، وسهل بن حُنيف الأوسي، وكعب بن مالك، ومحمد بن مسلمة وغيرهم.

وتوجه رسول الله ﷺ، يلتمس أصحابه، فاستقبله المشركون ورموه بالنبل والحجارة، وضربوه بالسيوف، ورماه عتبة بن أبي وقّاص، فكسر ربَاعيته اليمنى والسفلى، وجرح شفته السفلى، وشجَه عبدُ الله بن شهاب الزهري[2] في وجهه، وسال الدم من الشجة حتى أخضل الدم لحيته الشريفة، ورماهُ ابنُ قَمئة فجرح وَجْنته، ودخلت حَلقتان من حَلقِ المِغْفر في وَجْنته، ووقع رسول الله ﷺ في حُفرة من الحُفر التي حفرها أبو عامر ليقع فيها المسلمون وهم لا يعلمون عنها شيئاً، فأخذ علي بن أبي طالب بيد رسول الله ﷺ ورفعه طلحة بن عبيد الله حتى استوى قائماً، ومص مالك بن سنان أبو أبي سَعِيد الخدْرِيّ الدمّ عن وجهه ﷺ ثم ازدرده، ونزع أبو عبيدة بن الجراح إحدى الحلقتين من وجنته، فسقطت ثنية أبي عبيدة، ثم نزع الأخرى فسقطت ثنيته الأخرى، وضُرب رسول الله ﷺ سبعين ضربة بالسيف، وقاه الله شرها بواسطة الدّرْعين اللتين كانتا عليه، وهُشمت البَيْضة على رأسه. وقال رسول الله ﷺ حين غشيه القوم: «من رجل يشري لنا نفسه»؟ فقام زيد[3] بن السكن الأنصاري، في خمسة نفر من الأنصار،

---

(١) في سيرة ابن هشام المطبوعة حديثاً «زياد» وبهامشها أن المطبوعة سابقاً فيها «زيد».

(٢) عبد الله بن شهاب الزهري أسلم بعد ذلك.

(٣) في سيرة ابن هشام ٨٦/٣ زياد بن السكن.

فقاتلوا دون رسول الله ﷺ، رجلاً، ثم رجلاً يُقْتلون دونه حتى كان آخرهم عمارة بن زياد الأنصاري فقاتل حتى أثبتته الجراح، ثم فاءتْ فِئة من المسلمين فأجهضوهم[1] عنه. فقال رسول الله ﷺ: «أدْنُوه مني»، فأَدْنَوه منه، فوسَّده قَدمه الشريفة، فمات وخدُّه على قَدمِ رسولُ الله ﷺ.

ولما رأى حاطبُ بن أبي بلتعة اللخميُّ ما فعل عُتبة برسول الله ﷺ قال: يا رسول الله، من فعل بك هذا؟ قال: عُتبة بن أبي وقاص. فقال له: أين توجه؟ فأشار إليه حيث توجه. فمضى حتى ظفر به فضربه بالسيف فطرح رأسه، فنزل فأخذ رأسه وفرسه، وجاء إلى رسول الله ﷺ فقال له: «رضي الله عنك» رواه الحاكم:

قالت أمُّ عُمارة نُسيبة بنت كعب المازنية الأنصارية[2]: خرجت أول النهار وأنا أنظر ما يصنع الناس. ومعي سِقاء فيه ماء. فانتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو في أصحابه، والدولة والريح[3] للمسلمين. فلما انهزم المسلمون انحزْتُ إلى رسول الله ﷺ، فقمت أباشر القتال، وأذبّ عنه بالسيف، وأرمي عن القوس: حتى خَلَصت الجراحُ إلَيَّ، وذلك لما ولى الناس عن رسول الله ﷺ أقبل ابنُ قمئة وهو يقول: دلوني على محمد، فلا نجوت إن نجا، فاعترضت له أنا، ومُصعب بن عمير، وأناس ممن ثبت مع رسول الله ﷺ فضربني هذه الضربة، ولكن فلقد ضربته على ذلك ضَربات. ولكن عدو الله كانت عليه دِرْعانِ.

وتَرَّس دون رسول الله ﷺ أبو دُجانة بنفسه، يقَع النبلُ في ظهره، وهو مُنحنٍ عليه حتى كثُر فيه النبل. وهو لا يتحرك، ورمى سعدُ بن أبي وقّاص دون رسول الله ﷺ. قال سعد: فلقد رأيته يُناولني النبل، وهو يقول:

---

(١) أجهضوهم: أزالوهم.
(٢) سيرة ابن هشام ٣/٨٦.
(٣) الريح: النصر.

«ارْمِ ، فداك أبي وأمي» حتى إنه ليناولني السهم ما له نَصْل فيقول: «ارْمِ به».

وكان مالك بن زهير الجُشمي هو حبّان بن قيس بن العرِقة، قد أكثرا في المسلمين القتل بالنبل، فرمى سعد بن أبي وقاصٍ مالكاً بسهم أصاب عينه حتى خرج من قفاه وقتله. ورمى أبو طلحة زيد بن سهل الأنصاري دون رسول الله ﷺ وأبلى يومئذ بلاءً حسناً، فكان يجوب عنه بجحفته، وكان رامياً شديد الرمي، فلم يزل يرمي حتى كسر ثلاثة أقواس من قوة رَمْيه، وكان الرجل إذا مر بالجعبة من النبل يقول له ﷺ: «آنثُرها لأبي طلْحة» وكان إذا أشرف رسول الله ﷺ ينظر إلى القوم يقول أبو طلحة: يا نبي الله، بأبي أنت وأمي، لا تُشْرِف يصيبك سهم من سهام القوم، نحري دون نحرك.

ورمى رسول الله ﷺ عن قوسه حتى اندقت سِيَتُها، فأخذها قتادة بن النعمان الأنصاري، فكانت عنده، وأصيبت عين قتادة حتى وقعت، فردها رسول الله ﷺ، فكانت أحسن عينيه.

وجاء أنس بن النضر الأنصاري إلى عمر بن الخطاب وطلحة بن عبيد الله، في رجال من المهاجرين والأنصار ـ حينما قال ابن قمئة: قتلت محمداً ـ وقد ألقوا ما بأيديهم، فقال: ما يجلسكم؟ قالوا: قتل رسول الله ﷺ. ثم لقي سعد بن معاذ فقال: أي سعد، إني أجد ريح الجنة دون أحد، واستقبل المشركين فقاتل قتالاً شديداً حتى قتل شهيداً، وبه بضع وثمانون ضربة بسيف، أو طعنة بحربة أو رمية بسهم، فما عرفه بين القتلىٰ إلا أخته الربيع بنت النضر، بِشَامَةٍ في أصبعه.

---

(١) في سيرة ابن هشام ٣/٨٨ زيادة عن نسخة «قوموا فموتوا».

وقاتل علي بن أبي طالب دون رسول الله ﷺ من ناحية، وأبو دجانة من ناحية، وسعد بن أبي وقاص من ناحية، وانفرد عليّ بن أبي طالب بفرقة فيها عِكرمة بن أبي جهل، فدخل وسطهم بالسيف يضرب به وقد أجلبوا عليه، حتى أفضى إلى آخرهم، ثم كر عليهم ثانياً حتى رجع من حيث جاء.

وكان الحباب بن المنذر يحوس المشركين كما تحاس الغنم، ثم اشتملوا عليه حتى قيل قد قتل، ثم برز والسيف في يده وافترقوا عنه. ونادى الحباب: يا آل سلمة!! فأقبلوا إليه عنقاً واحداً، لبَّيكَ داعيَ الله، وكان أول من أقبل من المسلمين بعد التولية، قيس بن محرث بن عدي الأنصاري مع طائفة من الأنصار، فصادفوا المشركين فدخلوا حومتهم، فما أفلت منهم رجل حتى قتل، ولقد ضاربهم قيس حتى قتل نفراً فما قتلوه إلا بالرماح نظموه، ووجدوا به أربع عشرة طعنة.

وكان عباس بن عُبادة بن نَضْلة، وخارجة بن زيد، وأوس بن أرقم يرفعون أصواتهم بالنداءِ، فيقول عباس: يا معشر المسلمين، الله ونبيكم، هذا الذي أصابكم بمعصية نبيكم، فوعدكم النصر ما صبرتم. ثم نزع مغفره وخلع درعه وقال لخارجة بن زيد: هل لك فيها؟ قال: أنا أريد الذي تريد. فخالطوا القوم جميعاً وعباس يقول: ما عذرنا عند ربنا إن أصيب رسول الله ﷺ ومنَّا عينٌ تَطرف؟ فيقول خارجة: لا عذر لنا عند ربنا ولا حجة. فقتل أبو سفيان بن عبد شمس عبّاساً. وأخذ خارجةَ الرماحُ، فجُرِح بضعة عشر جرحاً، وأجهز عليه صفوانُ بنُ أمية، وقُتِل أوس بن أرقم.

وقاتل عبدُ الرحمن بن عوف وأُصِيب فُوه فهتم منها وجرح عشرين جرحاً أو أكثر، وأصاب رجلَه بعضُها فعرج.

ورُمي أبو رُهْم الغفاري بسهم في نحره، رماه كُلثوم بنُ الحصين. فبصق رسول الله ﷺ عليه فبرأ.

وانقطع سيف عبد الله بن جحش، فأعطاه رسول الله ﷺ عُرجوناً، فقاتل به دون رسول الله ﷺ حتى قتل شهيداً، وكان قاتِلَه أبو الحكم بن الأخنس وجَدع أنفه وأذنيه.

وقاتل دون رسول الله ﷺ سهل بن حُنيف الأوسي الأنصاري، وقد بايع يومئذ على الموت، وكان يَنفح عن رسول الله ﷺ بالنبل، فيقول ﷺ: «نَبِّلوا سهلاً فإنه سهل».

ووقى شَمَّاس بن عثمان القرشيُّ المخزومي رسول الله ﷺ حتى كان حصناً له، لا يأتيه المشركون من جهة إلا وقاه منها، حتى كثرت فيه السهام، وضرب بالسيف حتى قتل.

وقاتل دون رسول الله ﷺ عبدُ الله بن عمرو بن حرام الأنصاري، حتى قتل شهيداً، قتله أسامة الأعور بن عُبيد.

وقاتل دون رسول الله ﷺ الحارثُ بن الصِّمّة، من بني النجار، وقد بايع على الموت، فقَتل عثمانَ بنَ عبد الله بن المغيرة المخزومي وأخذ سلبه، فأقبل عليه عُبيدة بن جابر العامري يعدو، فضربَ الحارثَ بنَ الصمّة فجرحه على عاتقِهِ، فاحتمله أصحابه، ووثب أبو دجانة على عبيدة فناوشه ساعة ثم ذبحه بالسيف ذبحاً[1]، ولحق برسول الله ﷺ.

وتفادى المهاجرون والأنصار دون رسول الله ﷺ وقاتلوا عنه قتال المستميت، فمنهم من أدركته الشهادة، ومنهم من حفظه الله تعالى وأبقاه.

وكان أول من عرف رسولَ الله ﷺ كعبُ بن مالك الأنصاري بعد الهزيمة، عرفه من عينيه الشريفتين تزهران من تحت المغفر، فنادى بأعلى صوته: يا معشر المسلمين أبشروا، هذا رسول الله ﷺ، فأشار إليه

---

(١) في سيرة ابن هشام ٣/١٣٥ أن قاتل عبيدة بن جابر هو قزمان وقيل قتله عبد الله بن مسعود.

رسول الله ﷺ أن أُنصت، فألبس كعبٌ رسولَ الله ﷺ لامته، ولبس لامة رسول الله ﷺ، وقاتل دونه قتالاً شديداً، وجرح بضعة وعشرين جراحة، فكل من يضربه يحسبه رسول الله ﷺ، فلمّا عرف المسلمون رسول الله ﷺ نهضوا به نحو الشعب، ومعه أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، والحارث بن الصمة الأنصاري، ورهط من المسلمين، فلما أُسند رسول الله ﷺ في الشعب أدركه أُبيّ بن خلف وهو يقول: أين محمد؟ لا نجوتُ إن نجا!! فقال القوم: يا رسول الله أيعطف عليه رجل منا؟ فقال رسول الله ﷺ: «دَعُوه» فلما دنا منه تناول رسول الله ﷺ الحربة من الحارث بن الصمة الأنصاري، فلما أخذها رسول الله ﷺ منه انتفض انتفاضة تطاير الصحابة عنه تطاير الذباب عن ظهر البعير إذا انتفض، ثم استقبله فطعنه في عنقه طعنة تدحرج منها عن فراسه مراراً، ووقع عن فرسه، وكسر ضلعاً من أضلاعه، ولم يخرج له دم، فانهزم عدو الله إلى قريش. وكان أُبيّ بن خلف حين يلقى النبي ﷺ بمكة يقول له: يا محمد إن عندي العَوْد ـ فرساً ـ أعْلفه كل يوم فرقاً من ذرة أقتلك عليه. فيقول رسول الله ﷺ: «بل أنا أقتلك إن شاء الله» فلما رجع إلى قريش وقد خدشه في عنقه خدشاً غير كبير فاحتقن الدم قال: قتلني والله محمد. قالوا له: ذهب والله فؤادك، والله إن بك من بأس، قال: إنه قد قال لي بمكة: أنا أقتلك، فوالله لو بصق عليَّ لقتلني، فمات عدو الله بِسَرف وهم قافلون به إلى مكة.

فلما انتهى رسول الله ﷺ إلى فم الشعب، خرج علي بن أبي طالب حتى ملأ درقته ماء من المِهراس، فجاء به إلى رسول الله ﷺ ليشرب منه، فوجد له ريحاً، فعافه فلم يشرب منه. وغسل عن وجهه الدم، وصب على رأسه وهو يقول: «اشتد غضب الله على من دَمَّى وجه نبيه».

وخرج محمد بن مسلمة الأنصاري يطلب الماء لرسول الله ﷺ من النساء اللاتي يحملن الماء لسقيا المجاهدين، فأتى إلى قناة حتى استقى

فأتي بماء عذب، فشرب رسول الله ﷺ ودعا له بخير. فبينما رسول الله ﷺ بالشعب معه أولئك النفر من أصحابه، إذ علَتْ عاليةٌ من قريشٍ الجَبَلَ، وكانت تلك خيل خالد بن الوليد، فقال رسول الله ﷺ: «اللهم لا قوة لنا إلا بك، وليس أحد يعبدك بهذه البلدة غير هؤلاء النفر فلا تهلكهم، اللهم إن تشأ لا تعبد في الأرض، اللهم إنه لا ينبغي لهم أن يعلونا». وأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[1] فثار نحوهم عمر بن الخطاب ورهط معه من المهاجرين، وأخذ سعد بن أبي وقاص سهماً من كنانته، فرمى به رجلاً فقتله، ثم رمى آخر فقتله، ثم الثالث فقتله. حتى أهبطوهم من الجبل، ونهض رسول الله ﷺ إلى صخرة من الجبل ليعلوها، وقد كان عليه ﷺ درعان أثقلتاه، فلما ذهب لينهض لم يستطع، فجلس تحته طلحة بن عبيد الله فنهض به حتى استوى عليها، فقال رسول الله ﷺ: «أَوْجَبَ طَلْحَةُ» حين صنع برسول الله ﷺ ما صنع، وصلى رسول الله ﷺ الظهر قاعداً، من الجراح التي أصابته، وصلى المسلمون خلفه قعوداً.

وكان ممن قاتل يوم أحد من اليهود، مُخَيْرِيق[2]، أحد بني ثعلبة بن الفِطْيَون قال مخيريق يوم أحد: يا معشر اليهود، والله لقد علمتم أن نَصر محمدٍ عليكم لحقٌّ. قالوا: إن اليوم يوم السبت، قال: لا سبت لكم، فأخذ سيفه وعُدَّته، وقال: إن أُصبت فمالي لمحمد يصنع فيه ما شاء، ثم غدا إلى رسول الله ﷺ، فقاتل معه حتى قتل، فقال رسول الله ﷺ: «مُخَيْرِيق خير يهود».

وكان الحارث بن سويد بن الصامت منافقاً، فخرج يوم أحد مع

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٣٩.
(٢) سيرة ابن هشام ٩٤/٣.

المسلمين، فلما التقى الناس عدا على المُجذَّر بن زياد البلويّ فقتله، ثم لحق بقريش.

وكان أُصيرمُ واسمه عمرو بن ثابت بن وَقش بن عبد الأشهـل، يأبى الإسلام على قومه، فلما كان يوم أحد أسلم، وأخذ سيفه وقاتل حتى أثبتته الجراح دون أن يعلم بإسلامه قومه، فلما التمس بنو عبد الأشهل قتلاهم وجدوه بين الجرحى، فقالوا له: ما جاء بك يا عمرو؟ أكنت مع المشركين أم معنا؟ قال: بل رغبة في الإسلام، آمنت بالله وبرسولـه وأسلمت، ثم أخذت سيفي فغدوت مع رسول الله ﷺ ثم قاتلت حتى أصابني ما أصابني، ثم لم يلبث أن مات في أيديهم، فذكروه لرسول الله ﷺ فقال: «إنه لمن أهل الجنة». وهذا الذي دخـل الجنة ولم يعبـد الله بفريضـة من فرائض الإسلام غير الجهاد، وأسلم يوم أحد ومات فيه مجاهداً.

وكان حُسيل اليماني والد حذيفة بن اليمـان، وثابت بن وقش، في الأطم مع النساء والصبيان لكبر سنهم، فقال إحدهما لصاحبه: لا أبا لك ما ننتظر، فوالله إن بقي لواحد منا من عمره إلا ظِمْء حِمار، إنما نحن هامة اليوم أو غد، أفلا نأخذ أسيافنا ثم نلحق برسول الله ﷺ، لعل الله تعالى يرزقنا الشهادة؟ فأخذا أسيافهما، ثم خرجا حتى دخلا في الناس من جهة المشركين، ولم يعلم المسلمون بهما، فأما ثابت فقتله المشركون، وأمـا حسيل فاختلفت عليه أسياف المسلمين فقتلوه ولم يعرفوه، فقال حذيفة: أبي. فقالوا: ما عرفناه، وصدقوا، فقال حذيفة: يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين.

وكان ابن الجموح له أربعة أولاد مثل الأسد يشهدون مع رسول الله ﷺ المشاهد، فلما كان يوم أحد أراد الخروج مع المسلمين، وكان شيخاً كبيراً وبه عرج، فمنعه بنوه، فأتى رسول الله ﷺ فقال: إن بنيّ يريدون أن يحبسوني عن هذا الوجه والخروج معك فيه، فوالله لأرجو أن أطأ بعرجتي

هذه في الجنة، فقال رسول الله ﷺ: «أما أنت فقد عذرك الله فلا جهاد عليك» وقال لبنيه: «ما عليكم أن تمنعوه لعل الله يرزقه الشهادة» فخرج معه فقتل يوم أحد.

ولما انتهى القتال وقعت هند بنت عتبة، والنسوة اللاتي معها يمثلن بالقتلى من أصحاب رسول الله ﷺ يَجْدَعْنَ الآذان والأنوف، حتى اتخذت هند من آذان الرجال وأنوفهم خَدماً وقلائد، وأعطت هندُ خَدَمَها وقَلائدَها وقُرطعها وحْشِيّاً غلامَ جُبير بن مُطعم، مكافأة على قتل حمزة، وبقرت هند عن كبد حمزة بن عبد المطلب فلاكتها فلم تستطع أن تسيغها فلفظتها، ومر الحُليس بن الكناني سيد الأحابيش بأبي سفيان بن حرب وهو يضرب في شدق حمزة بن عبد المطلب بزج الرمح ويقول: ذق عقق ـ أي ذق جزاء فعلك يا عاق ـ فقال الحليس: يا بني كنانة، هذا سيد قريش يصنع بابن عمه ما ترون لحماً ـ أي حالة كونه ميتاً ـ فقال أبو سفيان: ويحك اكتمها عني فإنها كانت زلة.

ثم إن أبا سفيان لما أراد الانصراف أشرف على جبل ثم صرخ بأعلى صوته فقال: أنعمت فعال، إن الحرب سجال، يوم بيوم بدر، آعْلُ هُبَل.

فقال رسول الله ﷺ: «قم يا عمر فأجبه فقل: الله أعلى وأجلّ، لا سواء، قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار» فلما أجاب عمر أبا سفيان، قال له أبو سفيان: هلم إليَّ يا عمر. فقال رسول الله ﷺ لعمر: «ائته فانظر ما شأنه» فجاءه فقال له أبو سفيان: أنشدك الله يا عمر أقتلنا محمداً، قال عمر: اللهم لا، وإنه ليسمع كلامك الآن: قال: أنت أصدق عندي من ابن قمئة. لأن ابن قمئة أخبرهم أنه قتل محمداً ﷺ. ثم نادى أبو سفيان: إنه قد كان في قتلاكم مُثُلٌ، والله ما رضيت، وما سخطت، وما نهيت، وما أمرت.

ولما انصرف أبو سفيان ومن معه نادى: إن موعدكم بدر للعام

القابل، فقال رسول الله ﷺ لرجل من أصحابه: «قل نعم هو بيننا وبينك موعد».

ثم بعث رسول الله ﷺ عليّ بن أبي طالب فقال: «آخرجْ في آثار القوم، فانظر ماذا يصنعون وما يريدون؟ فإن كانوا قد جنبوا الخيل وامتطوا الإبل فإنهم يريدون مكة، وإن ركبوا الخيل وساقوا الإبل فإنهم يريـدون المدينة، والذي نفسي بيده لئن أرادوها لأسيرنَّ إليهم فيها ثم لأناجزنَّهم». قال عليٌّ: فخرجت في آثارهم أنظر ماذا يصنعون، فجنبوا الخيل، وامتطوا الإبل ووجهوا إلى مكة.

وفرغَ الناس لقتلاهم، فقال النبي ﷺ: «من رجل ينظر لي ما فعل سعد بن الربيع، أفي الأحياء هو أم في الأموات»؟ فقال محمد بن مسلمة: أنا أنظر لك ما فعل سعد، فنادى في القتلى: يا سعد بن الربيع. مرة بعد أخرى، فلم يجبه، حتى قال: إن رسول الله ﷺ أرسلني إليك. فأجـابه بصوت ضعيف، فوجده جريحاً بين القتلى وبه رمق. فقال: أبلغْ رسولَ الله ﷺ عني السلام وقل له إن سعد بن الربيع يقول لك جزاك الله عنا خير ما جزى نبيّاً عن أمته، وأخبره أنني طعنت اثنتي عشرة طعنة، وأني أنفذت مقاتلي، وأبلغ قومـك عني السلام، وقـل لهم لا عذر لكم عنـد الله أن يخلص إلى نبيكم وفيكم عين تطرف. ثم ما برح أن مات، رضي الله عنه. فجاء إلى رسول الله ﷺ فأخبره.

وخرج رسول الله ﷺ يلتمس حمزة بن عبد المطلب، فوجـده ببطن الوادي، قد بقر بطنه عن كبده ومثل به فجدع أنفه، وأذناه. فقال حين رأى ما رأى: «لولا أن تحزن صفية وتكون سُنَّة من بعدي لتركته حتى يكون في بطون السباع وحواصل الطير، ولئن أظهرني الله على قريش في موطن من المواطن لأمثلن بثلاثين رجلاً منهم». فلما رأى المسلمون حزن رسول الله ﷺ وغيظه على من فعل بعمه ما فعل قالوا: والله لئن أظفرنا الله بهم يوماً

من الدهر لنمثلن بهم مُثْلة لم يُمَثّلها أحد من العرب، فأنزل الله تعالى:

﴿وَإِنْ عَاقَبْتُم فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ * وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مما يمكرون﴾[1].

فعفا رسول الله ﷺ، ونهى عن الْمُثلة.

ولما وقف رسول الله ﷺ على حمزة قال: «لن أصاب بمثلك أبداً ما وَقفت موقفاً قطُّ أغيظ إليَّ من هذا» ثم قال: «رحمة الله عليك لقد كنت فعولاً للخير وصولاً للرحم» ثم قال: «جاءني جبريل عليه السلام فأخبرني أن حمزة بن عبد المطلب مكتوب في أهل السموات السبع، حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله».

ثم خرج النساء إلى الصحابة يُعنهم، فكانت فاطمة بنت رسول الله ﷺ فيمن خرج، فلما لقيت النبي اعتنقته وجعلت تغسل جراحاته بالماء فيزداد الدم، فلما رأت ذلك أخذت شيئاً من حصير أحرقته بالنار وكمدته به حتى لصق بالجرح فاستمسك الدم. وأمر النبي بحمزة فسُجِّي ببردة. ثم صلى عليه فكبر سبع تكبيرات، ثم أتى بالقتلى فيوضعون إلى حمزة، فصلى عليهم وعليه معهم، حتى صلي عليه ثنتين وسبعين صلاة. وأقبلت صفية بنت عبد المطلب أخت حمزة من أبيه وأمه لتنظر إليه. فقال رسول الله ﷺ لابنها الزبير بن العوام: «القها فارجعها لا ترى ما بأخيها» فقال لها: يا أمَّه إن رسول الله ﷺ يأمرك أن ترجعي، قالت: ولم؟ وقد بلغني أن قد مثل بأخي، وذلك في الله، فما أرضانا بما كان في ذلك، لأحتسبن، ولأصبرن إن شاء الله، فلما جاء الزبير إلى رسول الله ﷺ وأخبره

---

(١) سورة النحل، الآيتان: ١٢٦، ١٢٧.

بذلك قال: «خلٍّ سبيلها» فأتته فنظرت إليه، فصلت عليه واسترجعت، واستغفرت له.

وممن مثل به كما مثل بحمزة، عبد الله بن جحش ابن أخت حمزة، وكان حين قتل ابن بضع وأربعين سنة، وأمر رسول الله ﷺ بدفن حمزة وعبد الله بن جحش في قبر واحد. وكان قد احتمل ناس من المسلمين قتلاهم إلى المدينة فدفنوهم بها، فنهى رسول الله ﷺ عن ذلك وقال: «ادفنوهم حيث صرعوا». وقال رسول الله ﷺ: «انظروا إلى عمرو بن الجموح، وعبد الله بن عمرو بن حرام، فإنهما كانا متصافيين في الدنيا فاجعلوهما في قبر واحد».

وقد حملت هند بنت عمرو بن حرام زوجة عمرو بن الجموح ابنها خلاد بن عمرو، وزوجها عمرو بن الجموح، وعبد الله بن حرام، على بعير لها تريد بهم المدينة، فلقيتها أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وقد خرجت في نسوة تستروح الخبر، ولم يضرب الحجاب يومئذ، فقالت لها: هل عندك خبر ما وراءك؟ قالت: أما رسول الله ﷺ فصالح، وكل مصيبة بعده جَللٌ[1]، واتخذ الله من المؤمنين شهيداً، وردّ الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزا. قالت عائشة رضي الله عنها: من هؤلاء؟ قالت: أخي وابني وزوجي، قالت: فأين نذهبين بهم؟ قالت: إلى المدينة أقبرهم فيها، ثم قالت: (حل) تزجر بعيرها. فبرك، فقالت لها عائشة: لما عليه.

قالت: ما ذاك به، لربما حمل ما يحمل بعيران، ولكن أراه لغير ذلك. وزجرته، فقام وبرك، فوجّهته راجعةً إلى أحد، فأسرع، فرجعت إلى النبي فأخبرته بذلك، فقال: «إن الجمل مأمور، هل قال عمرو شيئاً»؟.

---

(١) «جلل» هنا معناها صغيرة قليلة.

قالت: إن عمراً لما توجه إلى أحد قال: اللهم لا تردّني إلى أهلي وارزقني الشهادة فقال رسول الله ﷺ: «فلذلك الجمل لا يمضي، إن فيكم معشرَ الأنصار من لو أقسم على الله لأبرَّه، منهم عمرو بن الجموح، ولقد رأيته يطأ بعرجته في الجنة».

قالت: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني معهم.

ولما أشرف رسول الله ﷺ على قتلى أحد قال: «أنا شهيد على هؤلاء أنه ما من جريح يجرح في الله، إلّا والله يبعثه يوم القيامة يَدْمَي جرحُه، اللونُ لون دم، والريح ريح مسك، انظروا أكثر هؤلاء جمعاً للقرآن فاجعلوه أمام أصحابه في القبر».

وكانوا يدفنون الإثنين والثلاثة في القبر الواحد.

وروى الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أمر رسول الله ﷺ يوم أحد بالشهداء أن ينزع عنهم الحديد والجلود. وقال: «ادفنوهم بدمائهم وثيابهم».

وروى البخاري عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يجمع بين الرجلين من قتلى أحد في ثوب واحد ثم يقول: «أيهم أكثر أخذاً للقرآن»؟ فإذا أشير له إلى أحدهما قدّمه في اللحد وقال: «أنا شهيد على هؤلاء» وأمر بدفنهم بدمائهم، ولم يصلّ عليهم ولم يغسلهم. وقال جابر: وكفن أبي وعمي في نَمِرة واحدة. وقال أبو القاسم ﷺ: «يا جابر ألا أخبرك؟ ما كلم الله تعالى أحداً قط إلا ومن وراء حجاب، وإنه كلم أباك كفاحاً[1] فقال: سَلْني ِ أُعْطِك. فقال: أسألك أن أرد إلى الدنيا فأقتل فيك ثانية، فقال الرب عز وجل: إنه سبق مني أنهم لا يرجعون

---

(١) كفاحاً أي مواجهة.

إلى الدنيا، قال: أي رب فابلغ من ورائي» فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾[1] الآية، رواه أبو بكر بن مردويه.

وروى الإمام أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل من ذهب في ظل العرش، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم وحسن مقيلهم قالوا: يا ليت إخواننا يعلمون ما صنع الله بنا لئلا يزهدوا في الجهاد ولا يَنْكلوا عن الحرب. قال الله تعالى: أنا أبلغهم عنكم، فأنز الله عز وجل على نبيه هذه الآية: ﴿ولا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا﴾.

وروى الإمام أحمد والنسائي في عمل يوم وليلة[2]، والحاكم، وأقره الذهبي عن رفاعة بن الزرقي رضي الله عنه قال: لما فرغ رسول الله ﷺ من دفن أصحابه، ركب فرسه، وخرج المسلمون عامتهم حوله جرحى ولا مثل بني سلمة وبني عبد الأشهل، ومعه أربع عشرة امرأة، فلما كانوا بأصل أحد قال اصطفوا حتى أثني على ربي عز وجل، فاصطفّ الرجال خلفه صفوفاً خلفهم النساء فقال: «اللهم لك الحمد كله، اللهم لا قابض لما بسطت، ولا باسط لما قبضت، ولا هادي لمن أضللت، ولا مضل لمن هديت، ولا معطي لما منعت، ولا مانع لما أعطيت، ولا مقرب لما باعدت، ولا مباعد لما قربت، اللهم ابسطْ علينا من بركاتك، ورحمتك وفضلك، ورزقك، اللهم إنا نسألك النعيم المقيم الذي لا يحول ولا يزول، اللهم إنا نسألك النعيم يوم العيلة، اللهم إنا نسألك الأمن يوم الخوف، اللهم إني عائذ بك

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٦٩.
(٢) اسم الكتاب «عمل اليوم والليلة».

من شـر ما أعطيتنا، ومن شر ما منعتنا، اللهم حَبِّبْ إلينا الإيمان وزيّنه في قلوبنا، وكَرِّه إلينا الكفر والفسوق والعصيان واجعلنا من الراشدين، اللهم توفنا مسلمين وأحْيِنا مسلمين وألحقنا بالصالحين غير خَزَايَا ولا مفتونين، اللهم قاتل الكفرة الذي يكذبون رسلك، ويَصـدّون عن سبيلك، واجعل عليهم رِجزك وعذابك، اللهم قاتل الذين أُوتوا الكتاب إله الحق آمين».

ثم انصرف رسول الله ﷺ راجعاً إلى المدينـة وسعد بن معـاذ آخذ بعنان فرسه، فلقيته حَمْنة بنت جَحْش. فلما لقيت الناسَ نُعي إليه أخوها عبد الله بن جحش، فاسترجعت واستغفرت له، ثم نُعي لها خالها حمزة بن عبد المطلب فاسترجعت واستغفـرت له، ثم نُعِي لهـا زوجها مُصْعَب بن عمير فصاحت وولولت، فقال رسول الله ﷺ: «إن زَوْجَ المرأة منها لَبِمكان» ومر رسول الله ﷺ بدار من دور الأنصار من بني عبد الأشهل وظَفَر، فسمع البكاء والنوائح على قتلاهم، فَذَرفتْ عينا رسـول الله ﷺ فبكى ثم قال: «لكنّ حمزة لا بواكي له» فلما رجع سعد بن معاد وأسيد بن حُضير إلى دار بني عبـد الأشهل أَمـرا نساءهم أن يتحـزَّمْن ثم يـذهبن فيبكين على عم رسول الله ﷺ، فلما سمع رسول الله ﷺ بكاءهن على حمزة خرج عليهن وهنَّ على بـاب مسجده يبكين عليـه، فقال: «ارجعن يـرحمكن الله فقد آسَيتُنَّ بأنفسكن» ونهى يومئذ عن النواح.

ومر رسول الله ﷺ بامرأة من بني دينار وقد أصيب زوجُها، وأخوها، وأبوها، مع رسول الله ﷺ بأحد، فلما نُعوا لها قالت: فما فعل رسول الله ﷺ؟ قالوا: خيراً يا أم فلان، هو بحمد الله كما تُحبِّين، قالت: أرونيه حتى أنظر إليه، فأشير لها إليه حتى إذا رأته قالت: كل مصيبة بعدك جَللٌ - أي صغيرة - فلما انتهى رسول الله ﷺ إلى أهله حمله عن فرسه سعد بن معاذ، وسعد بن عُبادة، واتكأ عليهما حتى دخل بيته، فناول سيفه ابنته فاطمة: فقال: «اغسلي عن هذا دمه يا بنية، فوالله لقـد صدقني اليـوم» وناولهـا

عليٌّ بن أبي طالب سيفه فقال: وهذا أيضاً فاغسلي عنه دمه، فوالله لقد صدقني اليوم، فقال رسول الله ﷺ: «لئن كنت صدقت القتال لقد صدق معك سهل بن حُنيف، وأبو دُجانة» وقال: «لئن أجدت الضرب بسيفك لقد أجاده سهل بن حنيف، وأبو دجانة، وعاصم بن ثابت، والحارث بن الصمة».

وكان يقال لسيف رسول الله ﷺ: «ذو الفقار».

وقال رسول الله ﷺ لعلي بن أبي طالب: «لا يصيب المشركون منا مثلها حتى يفتح الله علينا» وكان قد استشهد من أصحاب رسول الله ﷺ سبعون[1] رجلاً، ستة وستون من الأنصار، ومعظمهم من الرماة الذين تركوا مراكزهم ونزلوا للغنيمة، وأربعة من المهاجرين، ولم يأسر من المسلمين أحد. والذي قتل من المشركين في أول المعركة واحد وعشرون رجلاً، ولم يعرف من قتل بعد ذلك، كما سنوضحه في آخر الغزوة.

---

(١) كذا هنا والذي سيأتي في الإحصاء في أسماء من قتل أن عددهم ٧١ على أن ابن إسحاق كما في سيرة ابن هشام ١٣٣/٣ قال إن عدد من استشهد من المهاجرين والأنصار ٦٥ وأن ابن هشام قال عددهم سبعون. وبالإحصار عنه تبين أنهم ٧١ *.

* هذا الكلام فيه نظر لأن المؤلف وهم في النقل فأثبت في شهداء المسلمين رجلين ماتوا قبل الإسلام بدهر والسبب أن ابن هشام أوردهم في سلسلة نسب الشهداء كما أسقط المؤلف اسم أحد الشهداء. [المصحح].

غزوة حمراء الأسد وتقفي المشركين بها
تتمة وقعة أحد

كانت عودة رسول الله ﷺ من أحد إلى المدينة بعد العصر، ثم لما استقر في بيته حان وقت المغرب، فأذن بلال بصلاة المغرب، وخرج رسول الله ﷺ: وهو على تلك الحالة التي دخل بها بيته يتوكأ على السَّعْدَيْنِ، فصلى بهم ثم عاد إلى بيته، ثم أذن بلال بالعشاء حين غاب الشفق الأحمر فلم يخرج رسول الله ﷺ: حتى ذهب ثلث الليل، ثم ناداه: الصلاة يا رسول الله، فهب رسول الله ﷺ: من نومه وخرج، فإذا هو أخف في مشيته منه حين دخل، وصلى العشاء ثم رجع إلى بيته، وقد صف له الرجال ما بين بيته إلى مصلاه يمشي وحده حتى دخل، وبات وجوه الأوس والخزرج على بابه في المسجد فَرقاً من قريش أن تكرّ، وبعث رسول الله ﷺ: سَليط بن سفيان بن خالد الأسلمي. والنُّعمان بن سفيان بن طلق من بني سهم، وعبد الله بن عمرو المُزني، خلف قريش ليستطلعوا أخبارهم، فعاد عبد الله بن عمرو المزني. فلما طلع فجر يوم الأحد أذن بلال.

فلما خرج رسول الله ﷺ: قام إليه عبد الله وأخبره أنه أتى مَلَل، وإذا قريش قد نزلوا، فسمع أبا سفيان وأصحابه يقولون: ما صنعتم شيئاً، أصبتم شوكة القوم وحدهم ثم تركتموهم ولم تُبيدوهم، فقد بقي منهم رُؤُوس يجمعون لكم، فارجعوا نستأصل من بقي. وصفوان بن أمية يأبى ذلك عليهم ويقول: يا قوم لا تفعلوا، فإن القوم قد حربوا وأخاف أن يجتمع عليكم من تخلف من الخزرج، فارجعوا والدولة لكم، فإني لا آمن إن رجعتم أن تكون الدولة عليكم.

فقال رسول الله ﷺ: «أرشدهم صفوان وما كان برشيد، والذي نفسي

بيده لقد سوّمت لهم الحجارة ولو رجعوا لكانوا كأمس الذاهب» ودعا رسول الله ﷺ: أبا بكر وعمر رضي الله عنهما، فذكر لهما ما أخبره به المزني، فقالا: يا رسول الله اطلب العدو ولا يقحمون على الذرّية. فلما انصرف رسول الله ﷺ: من صلاة الصبح من يوم الأحد لستة عشر يوماً مضت من شوال، وذلك اليوم الثاني من وقعة أحد، أذن مؤذن رسول الله ﷺ في الناس بطلب العدو، وأذن مؤذنه أن لا يخرج معنا أحدٌ إلا أحدُ حضر يومنا بالأمس، فكلمه جابر بن عبد الله بن عمرو بن حَرام الأنصاري فقال: يا رسول الله إن أبي كان خلفني على أخوات لي سبع وقال: يا بني إنه لا ينبغي لي ولا لك أن تترك هؤلاء النسوة لا رجل فيهن ولست بالذي أوثرك بالجهاد مع رسول الله ﷺ على نفسي، فتخلَّفْ على أخواتك. فتخلفت عليهن، فأذن له رسول الله ﷺ: وذلك لأنه لم يحضر وقعة أحد فخرج معه.

وإنما خرج رسول الله ﷺ: مرهباً للعدو، وليبلغهم أنه خرج في طلبهم ليظنوا به قوة، وأن الذي أصابهم لم يوهنهم عن عدوهم، وهذه هي الحقيقة، لأن قتل سبعين من أصحاب رسول الله ﷺ هي نسبة العشر من عدد من خرج إلى أحد، ونسبة اثنين بالمائة لبقية من تخلف عنهم، وهذه النسبة لا توهن أي جيش كان، فما بالك بجيش يرى أفراده أن الموت في الجهاد خير من الحياة.

وكان عبد الله بن سهل ورافع بن سهل أخوين، من بني عبد الأشهل، حضرا أُحداً وجرحا، فلما أذن مؤذن رسول الله ﷺ قال أحدهما للآخر: لا تفوتنا هذه الغزوة. ولم يكن لهما مطية يركبانها، فخرجا، وكان أحدهما أخف جراحاً من أخيه، فكان يحمله أحياناً، ويمشي أحياناً، حتى انتهيا إلى رسول الله ﷺ عند العشاء وهم يوقدون النيران، فأخبراه بغلبتهما، فدعا لهما بخير وقال: «إن طالت بكما مدة كانت لكم مراكب من خيل وبغال وإبل، وليس ذلك بخير لكم».

وكان أسيد بن حضير به تسع جراحات، وهو يريد أن يداويها. فلما سمع النداء قال: سمعاً وطاعة لله ورسوله، وخرج مع بني سلمة أربعون جريحاً، وكان بالطفيل بن النعمان ثلاثة عشر جرحاً، وكان بخراش بن الصمة عشر جراحات، وبكعب بن مالك بضعة عشر جرحاً، وبقطيعة بن عامر تسع جراحات.

ووثب المسلمون إلى سلاحهم، وتركوا دواء جراحاتهم.

وأتى عبد الله بن أبي ابن سلول ولم يخجل إلى رسول الله ﷺ فقال: أنا راكب معك. فقال: «لا».

ودعا رسول الله ﷺ بلوائه وكان معقوداً لم يحل من أمس، فدفعه إلى علي بن أبي طالب، ثم دعا رسول الله ﷺ بفرسه: (السكب) على باب المسجد ـ ولم يكن في هذه الغزوة غيرها ـ وتلقاه طلحة بن عبيد الله وقد سمع المنادي، وإذا رسول الله ﷺ عليه الدرع والمغفر وما يرى منه إلا عيناه، وهو مجروح ومشجوج في أعدة أماكن فقال: «يا طلحة أين سلاحك»؟ قال: يا رسول الله قريب، فأتى بسلاحه وفي صدره تسع جراحات، فقال رسول الله ﷺ: «أين ترى القوم»؟ قال طلحة: هم بالسيالة، قال: «ذلك الذي ظننت أما إنهم يا طلحة لن ينالوا منه مثلها حتى يفتح الله تعالى مكة علينا».

وقد شعرت قريش بسَلِيط والنعمان الطليعتين اللذين انتدبهما رسول الله ﷺ ليأتياه بخبر قريش فقتلوهما ومضوا.

فخرج رسول الله ﷺ إلى حمراء الأسد[1]. وكان دليله ثابت بن ثعلبة الخزرجي، واستعمل على المدينة ابن أمِّ مكتوم، وعسكر بها ـ أي بحمراء الأسد ـ ودفن سليطاً والنعمان في قبر واحد. وهما القرينان، فأقام بها يوم

---

(١) حمراء الأسد: على بعد ثمانية أميال من المدينة.

الإثنين والثلاثاء والأربعاء، ثم خرج إلى المدينة. ومر به معبد الخزاعي. وكانت خزاعة مسلمهم ومشركهم عَيْبة نصح لرسول الله ﷺ بتهامة، صَفْقتهم معه، لا يخفون عنه شيئاً. ومعبد يومئذ مشرك. قال: يا محمد أما والله لقد عز علينا ما أصابك في أصحابك، ولوددنا أن الله عافاك فيهم. ثم خرج معبد ورسول الله ﷺ بحمراء الأسد حتى لقي أبا سفيان بن حرب ومن معه بالروحاء، وقد أجمعوا الرجعة إلى رسول الله ﷺ وأصحابه وقالوا: أصبنا حَدَّ أصحابه، وأشرافهم وقادتهم، ثم نرجع قبل أن نستأصلهم لنكرَّنَّ على بقيتهم فلنفرغَنَّ منهم. فلما رأى أبو سفيان معبداً قال: ما وراءك يا معبد؟ قال: محمد قد خرج في أصحابه يطلبكم في جمع لم أرَ مثله قط يتحرقون عليكم تحرقاً، قد اجتمع معه من كان تخلف عنه في يومكم وندموا على ما ضيّعوا[1] فيهم من الحنق عليكم شيء لم أرَ مثله قط. قال: ويحك!! ما تقول؟ قال: والله ما أرى أن ترتحل حتى ترى نواصي الخيل، قال: فوالله لقد أجمعنا الكرة عليهم لنستأصل بقيتهم. قال: فإني أنهاك عن ذلك! وقال: والله لقد حملني ما رأيت على أن قلت فيهم أبياتاً من الشعر. قال: وما قلت؟ قال: قلت:

كَادَتْ تُهَدُّ مِنَ الأَصْوَاتِ رَاحِلَتي ... إِذْ سَالَتِ الأَرْضُ بالجُرْدِ الأَبَابِيلِ[2]
تَـرْدِي بِأُسْـدٍ كِـرامٍ لَا تَنَـابِلةٍ ... عِنْدَ اللقاءِ ولا مِيـلٍ مَعَـازِيـلِ[3]
فَـظَلْتُ عَـدْواً أظن الأرض مـائلةً ... لمـا سَمَوْا بـرئيسٍ غير مَخـذولِ

---

(١) في سيرة ابن هشام ١٠٨/٣ في الطبعة الحديثة «ما صنعوا» وإشارة بالهامش إلى أن المطبوع الأول فيه «ما ضيعوا».
(٢) الجرد: الخيل العتاق. والأبابيل: الجماعات.
(٣) تردى: تسرع. التنابلة: القصار. الميل: جمع أميل وهو من لا يثبت على السرج. المعازيل: الذين لا سلاح لهم.

فقلت: ويل ابنِ حَرْبٍ من لقائكم إذا تَغَطمطت البَطحاءُ بالجِيلِ[1]
إني نذير لأهل البسلِ ضاحيةً لكل ذي إرْبة منهم ومعقولِ[2]
من جيش أحمد لا وَخْشٍ تَنابِلَة وليس يُوصف ما أنذرت بالقيل[3]

فثنى ذلك أبا سفيان ومن معه:

ومرَّ به ركب من عبد القيس، فقال: أين تريدون؟ قالوا: نريد المدينة، قال: ولم؟ قالوا: نريد الميرة، قال: فهل أنتم مبلغون عني محمداً رسالة أرسلكم بها إليه، وأُحمّل لكم هذه غداً زبيباً بعُكاظ إذا وافيتموها؟ قالوا: نعم. قال: فإذا وافيتموه فأخبروه أنا قد أجمعنا السير إليه وإلى أصحابه لِنستأصل بقيتهم. فمر الركب برسول الله ﷺ وهو بحمراء الأسد، فأخبروه بالذين قال أبو سفيان، فقال: «حسبنا الله ونعم الوكيل».

قال صفوان بن أمية لأ بي سفيان: إن القوم قد حربوا، وقد خشينا أن يكون لهم قتال غير الذي كان فارجعوا. فرجعوا.

قال جابر رضي الله عنه: وكان عامة زادنا التمر. وحمل سعد بن عبادة رضي الله عنه ثلاثين بعيراً حتى وافت حمراء الأسد، وساق جزراً لتنحر، فنحروا يوم الإثنين ويوم الثلاثاء، وكان رسول الله ﷺ يأمرهم في النهار بجمع الحطب، فإذا أتوا أمر أن توقد النيران، فيوقد كل رجل ناراً، فلقد أوقدوا خمسمائة نارٍ؛ حتى رُئِيتْ من مكان بعيد، وذهب معسكر المسلمين ونيرانهم في كل وجه، وكل ذلك مما كبت الله تعالى به عدوهم. وأخذ رسول الله ﷺ في وجه ذلك، قبل رجوعه إلى المدينة، معاويةَ بن المغيرة بن أبي العاص الأموي، وأبا عزة الجُمحيّ الذي مَنَّ عليه رسول الله ﷺ يوم أسره ببدر، وعاهد النبي ﷺ أن لا يعين عليه، وكان ممن استنفر

---

(١) تغطمطت: اهتزت وارتجت. والجيل: الصنف من الناس.

(٢) أهل البسل: قريش.

(٣) الوخش: رذالة الناس وأخساؤهم.

العرب لحرب رسول الله ﷺ في أحد، فقال: يا رسول الله أقِلْني. فقال: «لا والله لا تمسح عارضيك بمكة بعدها وتقول خدعتُ محمداً مرتين، اضربْ عنقه يا زبير» فضرب عنقه، وأما معاوية بن المغيرة فلجأ إلى عثمان بن عفان، فاستأمن له رسول الله ﷺ فأمنه على أنه إن وجد بعد ثلاث قتل، فأقام وبعد ثلاث توارى، فبعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة، وعمار بن ياسر وقال: إنكما ستجدانه بموضع كذا وكذا، فوجداه فقتلاه.

فرجع رسول الله ﷺ إلى المدينة فوصلها يوم الجمعة لتسع ليال بقين من شهر شوال، سنة ثلاث من الهجرة، وقد غاب رسول الله ﷺ خمسة أيام عن المدينة.

وكمّا حصل لرسول الله ﷺ وأصحابه ما حصل جعل عبد الله بن أبيّ ابن سلول والمنافقون يشمتون ويسرون بما أصاب المسلمين، ويظهرون أقبح القول.

فيقول ابنُ أبيٍّ لابنه وهو جريح قد بات يكمد الجراحة بالنار: ما كان خروجك معه إلى هذا الوجه برأي، عصاني محمد وأطاع الولدان، والله لكأني كنت أنظر إلى هذا، فقال ابنه: الذي صنع الله تعالى لرسوله وللمسلمين خير.

وأظهرت اليهود القول السيء فقالوا: ما محمد إلا طالب ملك، ما أصيب نبي قط، أصيب في بدنه وأصيب في أصحابه. وجعل المنافقون يخذلون عن رسول الله ﷺ أصحابه، ويأمرونهم بالتفرق عنه ويقولون: لو كان من قتل منكم عندنا ما قتل.

وسمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه ذلك في أماكن، فمشى إلى رسول الله ﷺ يستأذنه في قتل من سمع ذلك من يهود والمنافقين، فقال ﷺ: «يا عمر إن الله تعالى مظهرُ دينَه ومعزٌّ نبيه، ولليهودِ ذمّة، فلا أقتلهم»

قال عمر: فهؤلاء المنافقون، قال: «أليس يظهرون شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله»؟ قال: بلى يا رسول الله، وإنما يفعلون ذلك تعوذاً من السيف، فقد بان لنا أمرهم، وأبدى الله تعالى أضغانهم عند هذه النكبة. فقال: «إني نهيت عن قتل من قال لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، يا ابن الخطاب إن قريشاً لن ينالوا منا مثل هذا اليوم حتى نستلم الركن» وكان عبد الله بن أبيّ ابن سلول قبل يوم أحد إذا رأى رسول الله ﷺ جلس يوم الجمعة وهو يخطب الناس قام فقال: أيها الناس هذا رسول الله ﷺ بين أظهركم، أكرمكم الله وأعزكم به، فانصروه وعَزِّرُوه واسمعوا له وأطيعوا. فلما انخذل يوم أحد ورجع مع قومه وقام رسول الله ﷺ يوم الجمعة بعد رجوعه من حمراء الأسد يخطب الناس، قام عبد الله بن أبي ابن سلول يفعل كما كان يفعل، فأخذه المسلمون بثيابه من نواحيه وقالوا: اجلس أَيْ عدو الله لست لذلك بأهل. وقد صنعت ما صنعت. فخرج يتخطى رقاب الناس وهو يقول: والله لكأنما قلت بَجْراً ـ أي أمراً عظيماً ـ أن قمت أشدِّد أمرَه. فلقيه رجل من الأنصار بباب المسجد فقال: مالك؟ ويلك!! قال: قمت أُشدّد أمره فوثب عليّ رجال من أصحابه يجذبونني ويعنفونني، لكأنما قلت بَجْراً، أَن قُمت أُشدّد أمره. قال: ويلك ارجع يستغفر لك رسول الله ﷺ، قال: والله ما أبتغي أن يستغفر لي.

ملاحظة على وقعة أحد

كان يوم أحد، يوم بلاء ومصيبة وتمحيص، اختبر الله به المؤمنين، وكشف ستر المنافقين الذين كانوا يتظاهرون بالإيمان ويستخفون بالكفر، وقدر الشهادة لمن أراد كرامته ورفع درجته في أعلى عليين، وأظهر فضل من جاهد في الله حق جهاده، وصبر محتسباً لله تعالى على بلائه، ودافع عن دينه ونبيه، ذلك اليوم الذي يحسب في السيرة من أشد أيام الدهر على عباد الله المخلصين، ومن غرائب وقائع التاريخ، ومن مواعظ الحرب وأصول القيادة، كان القائد العام في ذلك اليوم هو رسول الله ﷺ فرتب صفوفه، وجعل الرماة خلفهم ليحموا ظهرهم، ويكبحوا جماح خيل العدو عنهم، فلما اشتبك القتال، وتلاقت الأبطال، وتصارعت الشجاعات، أحرز جيش الإسلام بقيادة نبيّ الإسلام النصر والظفر، وهزم المشركين شر هزيمة، حتى كشفوهم عن معسكرهم، وتركوا نساءهم وأموالهم للسبي والنهب، حتى وضع أبو دُجانة سيفه على مفرق شعر رأس هند بنت عتبة، وذلك رغماً عن كثرة عدد العدو وعدته البالغ أربعة أضعاف المسلمين، ورغماً عن انخذال ابن سلول بثلث الجيش، وأخذ المسلمون بعد ذلك يجمعون الغنائم ويأسرون، فماذا حصل بعد ذلك؟ ولماذا انهزم المسلمون، ولأي شيء أضاعوا ذلك الفوز العظيم؟ ضاع كل ذلك بسبب غلطة واحدة، وهي غلطة الرماة الذي وضعهم رسول الله ﷺ في موضعهم بحكمة القائد العظيم وذلك حينما رأى الرماة أن المسلمين يجمعون الغنائم، أخذهم الطمع، ولم يتذكروا أمر النبي ﷺ لهم بعدم مبارحة موقعهم، ولم يصغوا لأمر أميرهم، فتركوا موضعهم قبل أن يجلوا المشركين إجلاء تاماً كيوم بدر، فبتركهم موقهم تسنى لخيل العدو انتهاز تلك الفرصة التي لم يحلموا بها، وكانت المصيبة أول ما وقعت على رؤوسهم، وأول من قتل من المسلمين هم، ولم يتحصلوا من الغنمية بغير القتل، فأتى

العدو من خلف المجاهدين ـ على حين غفلة ـ من حيث مأمنهم، وأحاطوا بهم من كل جانب، وتطاير لب المسلمين لما رأوا العدو من خلفهم، وصرخ ابن قمئة: أنه قتل محمداً، ففشلوا وارتبكوا وذهلوا حتى أصاب بعضهم البعض قتلاً، وكان أكثر قتلاهم من سيوفهم. فهذه الغلطة أضاعت على المسلمين فوزاً عظيماً، ونصراً مبيناً، فلو لم تكن هذه الغلطة لأحرز المسلمون نصراً عظيماً إن لم يفق يوم بدر فيكون مثله، ولعاد المشركون بشرّ ما عادوا به يوم بدر، وأصبحُوا لا يجسرون على حرب المسلمين، ولا يطمعون في فوز أو تفوق مرة أخرى، لأنهم قد انكسروا يوم بدر وهم ثلاثة أضعاف المسلمين، وانهزموا يوم أحد وهم أربعة أضعافهم، ولكن لا مفر من قضاء الله تعالى وقدره، وعلى كل حال استفاد المسلمون من هذه الوقعة فوائد جمة منها:

أنه علم المؤمن من المنافق، وعلم الصابر من الضجر، وعلم المجاهد من المنخذل، وعلم منفعة طاعة الآمر ومضرة مخالفته، وعلم أن الطمع يجلب المضرة، حيث إن الرماة لما خالفوا أمر رسول الله ﷺ وأمر أميرهم لم يظفروا من الغنيمة بغير القتل، ولو سمعوا وأطاعوا وبقوا في مراكزهم إلى نهاية المعركة لجاءتهم حصتهم من الغنيمة وهم مرتاحون في أماكنهم، كما حصل في غنائم بدر، ولكن على كل حال فالرماة من البشر، وقد خلق الله تعالى الإنسان هلوعاً، ولا شك أن الله تعالى كتب لهم الشهادة، لأن ذلك كان اجتهاداً منهم. وعلى كلتا الحالتين قد ظهر للمشركين أن المؤمن له قوتان، قوة الإيمان وقوة البأس، وقد عرف ذلك كثير منهم فآمنوا بالله ورسوله ﷺ وجاهدوا. ونصروا، وأعز الله بهم الإسلام في مواقف كثيرة بعد ذلك. مثل خالد بن الوليد، وعكرمة بن أبي جهل، وغيرهما وهذه الحادثة هي الأولى في بابها، وهي الأخيرة. وقد بشر رسول الله ﷺ أصحابه أنه لا يحصل عليهم بعد هذه الغزوة مثل ما حصل فيها، وكفى بالمرء موعظة إذا تنبه لغلطته، وفهم زَلَّته، وكشف له عن

هفوته، فآب إلى رشده، واستدرك ما فات، واستغفر به وأناب.

ما نزل من القرآن بأحد

أنزل الله تبارك وتعالى في أهل وقعة أحد من القرآن ستين آية من سورة آل عمران، منها قوله تعالى لنبيه ﷺ:

﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّىء المؤمنينَ مَقاعِدَ لِلقِتَالِ واللَّهُ سميعٌ عليمٌ﴾[1].

ومعناها ظاهر في ترتيب صفوف القتال، ووضع الرماة لحماية ظهر المؤمنين.

ومنها قوله تعالى:

﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * إن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ القَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُداوِلُها بَيْنَ النَّاسِ وَلِيعْلَمَ اللَّهُ الذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُم شُهدَاءَ واللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمين﴾[2].

ينهي الله سبحانه وتعالى عن الحزن والوهن، ويبشرهم أنهم هم الأعلون، وإن أصابتهم جراح فكذلك أصاب أعداءَهم جراحٌ مثلُها في يوم بدر، وفي هذه الوقعة، وهكذا حكمة الله تعالى في خلقه، يوم فائز، ويوم منكسر حتى يؤوب إلى ربه ولا يغتر بنفسه وعمله.

ومنها قوله تعالى: **﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الجنَّةَ ولمَّا يَعْلَم اللَّهُ الذينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرينَ﴾**[3].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٢١.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٣٩، ١٤٠.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٤٢.

فلا يدخل الجنةَ الإنسانُ إلا بصبره على المكاره، وقوة جهاده في الله تعالى، فهذه المصيبة التي وقعت في أحد هي لكشف الناس، وبيان حقيقة ما يكنّه صدر كلّ فرد منهم حتى يعلم المجاهد والصابر ويعلم ضد ذلك.

﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ المَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾(1).

فبعد أن ألححتم على النبي ﷺ بالخروج رغبة في لقاء الموت فكيف بعد ذلك تفرون، فقالت طائفة منهم: بلغنا يا نبي الله أنك قد قتلت، فأنزل الله تعالى:

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكم﴾(2).

في هذه الآية بحث عجيب، يقول كثير من أهل هذا العصر. كما قيل في العصر السابق: إن محمداً رجل من رجال السياسة، دوَّل لقومه دولةً عظيمة في العالم، فهذا القول هو مبني على حسب ما ذكره التاريخ من وجود جملة دول إسلامية، ونظرية القائلين بذلك هي مبنية على القاعدة الاجتماعية والسياسية، ولكنها مجردة من النظرية الاجتماعية الروحية الحقيقية، والنواميس السماوية، ولو نظر القائلون بذلك بنظر صحيح مجرد عن الهوى والتعصب المادي ونبذوا غطرسة الإلحاد من عقولهم وآرائهم، لجزموا أن نبي الإسلام محمداً ﷺ هو نبي بعثه الله تعالى ليعلم الناس ما جاءهم به من عند الله تعالى، ويرشدهم إلى موارد الخير والسعادة في

---

(1) سورة آل عمران، الآية: ١٤٣.

(2) سورة آل عمران، الآية: ١٤٤.

الـدارين، وينظم لهم نـظم الاجتماع الصحيـح، ويربط قلوبهم بـرابـطة الإيمان، ويوجه وجوههم لعبادة ربهم الذي خلقهم، وأوجد لهم كل مـا يحتاجونه في حياتهم الدنيوية ومصيرهم الأخروي، ولم يرد من الدنيا ملكاً ولا مالاً ولا فخراً، ولا عظمةً، ولا فخفخةً، ولا جاهاً، ولذلك لما اعتذر بعض الصحابة في الهزيمة والرجوع عن القتال بقوله: إنه بلغه أن النبي ﷺ قد قتل أجابهم بقوله تعالى:

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسولٌ قد خلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفإِنْ مَاتَ أو قُتِل انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعقابِكُمْ﴾.

فلم يقبل معذرتهم التي مبناها موت النبي ﷺ وأخبرهم الله تعالى أن محمداً رسول مثل الرسل الذين سبقوه وليس هو بملك إذا وقع عليه القتل تمزق شمل قومه، بل هو رسول من عند الله تعالى، ليؤسس لهم جامعة إسلامية، مبناها الإيمان، ودستورها القرآن: فإذا مات أو قتل فهو كغيره من الأنبياء والرسل الذين سلفوا قبله، وليس بخالد لهم، وإنما الخلود هو لله وحده لا شريك له، وليس عليهم إلا التمسـك بتعاليمـه وما جـاء به من عند الله تعالى، والعمل بموجبه إلى يوم القيامة، فلو أنه كان يريد الخير لنفسه، والرفعة لشخصه لما أخبرهم بذلك ولظهر عليه حب الذات، ولم يفكر في سعادتهم الدنيوية والأخروية ولا في مصيرهم من بعـده، فقولـه تعالى خطاب لهم: **﴿أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِل انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكم﴾** معناه أنكم لا تعتمدون على بقاء نبيكم مدى الدهر، بل اعتمدوا على ما جاءكم به من عند الله تعالى، فهذا أعظم دليل على أنه ﷺ لا يـريد الخيـر لشخصه، والسعادة لنفسه، بل إنه لا يريد ذلك إلا لأمته، وكل أعماله منحصرة في إسعاد أمته، وسيبر أعماله أعظم دليل على ذلك.

ومنهـا قولـه تعالى: **﴿وَلَقَـد صَـدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْـدَه إِذْ تَحُسُّـونَهُمْ﴾** تقتلونهم أول المعـركـة **﴿بـإِذْنِـهِ حتى إذا فَشِلْتُمْ وتَنـازَعْتُم في الأَمْرِ**

﴿وَعَصَيْتُم﴾[1] أمر رسول الله ﷺ وتركتم مراكزكم، يقصد الرماة الذين بسببهم صارت الهزيمة. ﴿مِنْ بَعْدِمَا أراكم مَا تُحبُّون مِنكم مَنْ يُرِيدُ الدُّنيا﴾ وهم الرماة الذين تركوا مركزهم لأجل الغنيمة، ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الآخِرَة﴾ أمثال عبد الله بن جبير رئيس الرماة الذي ثبت في مركزه مع من ثبت معه ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ﴾ بالهزيمة، فلم تنالوا من الغنيمة شيئاً ﴿لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذو فَضْلٍ على المُؤْمنين﴾ فقد عفا الله عنهم وهو الغفور الرحيم بعباده ﴿إذ تُصعدون﴾[2] تبعدون وتنهزمون ﴿ولا تَلْوُونَ علَى أَحَدٍ والرَّسولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكم﴾ مِن خلفكمْ: يا معشر المؤمنين أنا رسولُ الله قِفُوا فلم تقفوا ﴿فأثَابَكُمْ غَمّاً بِغَمٍّ﴾ القتل والهزيمة ﴿لِكَيْلاَ تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ﴾ من الغنيمة ﴿ولاَ مَا أَصابَكُمْ واللَّهُ خَبِيرٌ بِما تَعْمَلُون﴾.

إلى قوله: ﴿فآمِنوا باللَّهِ ورَسولهِ وإنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجرٌ عَظيمٌ﴾[3].

أسماء من استشهد بأحد من المهاجرين

قد كتب الله تعالى الشهادة لأبطال الإسلام، الذين دافعوا عن دين الله تعالى، وعن شخص رسولِ الله ﷺ، فقد ضحَّوْا حياتهم الثمينة في سبيل ما هو أجلّ وأعلى منها، وذلك دفاعاً وتفادياً دون نبيهم الكريم ﷺ، وحبّاً في إعلاء كلمة الله تعالى. ونصراً وإعزازاً لدين الله تعالى، وحماية لرسول الله ﷺ، فهؤلاء فخر الإسلام.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٥٢ والآتي بعدها من هذه الآية.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٥٣ والآتي بعدها من هذه الآية.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٧٩.

فقد استشهد يوم أحد من المهاجرين من قريش ثم من بني هاشم بن عبد مناف:

١ ـ حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله، بعد أن أبلى في المشركين بلاء حسناً، وهزمهم شر هزيمة منكرة، وفرُّوا تاركين النساء عرضة للسبي، وفي تلك الحالة كَمن له تحت صَخْرة وحشيٌّ الحبشيّ، واكتسب غفلته عنه، ورماه بحربته، فوقعت منه موقع مقتل، فمات شهيداً:

ومن بني أمية:

٢ ـ عبد الله بن جَحْش حليفهم من بني أسد بن خزيمة، فقد قاتل قتال الأبطال حتى انقطع سيفه في يده من شدة الكفاح، وأعطاه رسول الله ﷺ عرجوناً فقاتل به حتى قتل.

ومن بني عبد الدار بن قصي:

٣ ـ ذلك البطل المغوار صاحب راية رسول الله ﷺ، مصعب بن عمير العبدري، فقد قاتل يوم أحد قتال الأبطال بلواء المهاجرين حتى هزمت قريش، ثم لما ترك الرماة موقهم وأتاهم العدو من خلفهم تراجع بلوائه حتى وقف أمام رسول الله ﷺ حين أكبَّ عليه المشركون من كل جانب، فدافع عنه دفاع المستميت، فقتل دونه، قتله ابن قمئة لعنه الله، وكان يظنه رسول الله ﷺ، فهكَذا يكون الإخلاص، وهكذا يكون التفادي دون من يحب.

ومن بني مخزوم:

٤ ـ شَمَّاس بن عثمان، ذلك البطل العظيم الذي وقى رسول الله ﷺ بنفسه، فكان حصناً لرسول الله ﷺ، فما أُتى من جهة إلا وقاه، حتى كثرت فيه السهام، واستشهد فداء عن رسول الله ﷺ، فهؤلاء أربعة من المهاجرين رضي الله عنهم.

ومن الأنصار، ثم من بني عبد الأشهل.

٥ ـ عمرو بن مُعاذ بن النعمان.

٦ ـ الحارث بن أنس بن رافع.

٧ ـ عُمارة بن زياد بن السكن.

٨ ـ سلمة بن ثابت بن وَقْش.

٩ ـ عمرو بن ثابت بن وَقْش.

١٠ ـ أبو همام ثابت بن وقش بن زُغبة الأشهلي الأنصاري، وكان شيخاً كبيراً، فخرج ولحق بالمسلمين فقتل وقد كتبت له الشهادة.

١١ ـ رفاعة بن وقش أخو ثابت بن وقش، قتله خالد بن الوليد.

١٢ ـ حُسَيْل بن جابر أبو حُذيفة، وهو اليمان أصابه المسلمون في المعركة ولا يدرون، فتصدّق حُذيفة بديته على من أصابه.

١٣ ـ صَيْفِيّ بن قَيْظِي قتله ضرار بن الخطاب.

١٤ ـ الحبَاب بن قيظي أخو صيفي.

١٥ ـ عبّاد بن سهل بن مخرمة، قتله صفوان بن أمية.

١٦ ـ الحارث بن أوس بن مُعاذ.

ومِن أهل راتج:

١٧ ـ إياس بن أوس بن عَتيك من بني عبد الأشهل.

١٨ ـ عُبَيْد بن التيهان، ويقال عَتِيك بن التيهان.

١٩ ـ حَبيب بن يزيد بن تيم.

ومن بني ظفر:

٢٠ ـ يزيد بن خاطب بن أمية بن رافع.

ومن بني عمرو بن عوف:

٢١ ـ أبو سفيان بن الحارث بن قيس بن زيد.

٢٢ ـ حنظلة بن أبي عامر صَيْفِيّ، وهو غَسيل الملائكة، قتله شدّاد بن الأسود الليثي.

٢٣ ـ قيس[١] بن زيد بن ضُبيعة، قتله الحارث بن سويد، كان منافقاً خرج مع المسلمين في غزوة أحد، فلما التقى الناس عدا على قيس فقتله ممن قتلهم ولحق بمكة.

٢٤ ـ مالك[٢] بن أمة بن ضبيعة.

٢٥ ـ أُنيس بن قتادة بن ربيعة الأوسي.

٢٦ ـ أبو حَيَّة وهو أخو سعد بن خَيْثَمة لأُمه.

٢٧ ـ عبد الله بن جُبَير بن النعمان أمير الرماة الذي ثبت في موقفه حتى قُتِل، إطاعة لله تعالى ولرسول الله ﷺ، ودفاعاً عن المسلمين.

٢٨ ـ خَيْثَمة أبو سعد بن خَيْثمة.

ومن حلفائهم من بني العجلان:

٢٩ ـ عبد الله بن سَلمة.

ومن بني معاوية بن مالك:

٣٠ ـ سُبَيع بن حاطب بن الحارث بن قيس، قتله ضرار بن الخطاب.

ومن بني النجار ثم من بني سواد:

٣١ ـ عمرو بن قَيْس.

---

(١) قيس بن زيد ليس من شهداء أحد ولم يقتله الحارث بن سويد، وإنما هو جد لحنظلة الغسيل أورده ابن هشام في سلسلة نسبه فوهم لمؤلف وأثبته شهيداً!. [المصحح].

(٢) مالك بن أمة: كذلك جد جاهلي أورده ابن هشام في سلسلة نسب حَنظلة الغسيل فوهم المؤلف وأثبته في الشهداء، ولو دقق النظر لوجد أن ابن هشام تمم سلسلة النسب. [المصحح].

٣٢ ـ وابنه قيس بن عمرو بن قيس بن زيد بن سواد.
٣٣ ـ ثابت بن عمرو بن زيد.
٣٤ ـ عامر بن مَخْلد.

ومن بني مَبْذول:

٣٥ ـ أبو هُبَيرة بن الحارث بن عَلقمة.

٣٦ ـ عمرو بن مُطَرِّف بن علقمة.

ومن بني عمرو بن مالك.

٣٧ ـ أوس بن ثابت بن المنذر أخو حسان بن ثابت.

ومن بني عَدِيّ بن النجَّار:

٣٨ ـ أنس بن النضر بن ضَمضم بن زيد عم أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ.

ومن بني مازن بن النجار:

٣٩ ـ قيس بن مخلد.
٤٠ ـ كيسان، عبدٌ لهم.

ومن بني دينار بن النجار:

٤١ ـ سليم بن الحارث.
٤٢ ـ نُعمان بن عبد عمرو.

ومن بني الحارث بن الخزرج:
٤٣ ـ خارجة بن زيد بن أبي زهير.

٤٤ ـ سَعْد بن الربيع بن عمرو بن أبي زُهير، ذلك الذي انتدبَ له رسولُ الله ﷺ محمدَ بن مسلمة يبحث عنه بين القتلى، فوجده وبه رمق فقال: أبلغ رسول الله ﷺ عني السلام وقل له: إن سعد بن الربيع يقول:

جزاك الله عَنَّا خير ما جَزى نبيّاً عن أمته، وأخبره أنني طعنت إثنتي عشرة طعنة، وأني أنفذت مقاتلي، وأبلغ قومك عني السلام وقل لهم لا عذر لكم عند الله أن يخلص إلى نبيكم وفيكم عين تطرف. ثم ما برح أن مات، ذلك الذي يذكر نبيه ويوصي قومه وهو في سكرات الموت، ذلك الذي لا يفكر في نفسه ولا في حياته، بل يفكر في دينه ونبيه، فهنيئاً له بالسعادة الأبدية، دفن هو وخارجة بن زيد في قبرٍ واحد.

٤٥ ـ أوس بن الأرقم بن زيد.

ومن بني الأبجر: بنو خُدْرة:

٤٦ ـ مالك بن سِنان بن عُبيد أبو أبي سعيد الْخُدْرِيّ.

٤٧ ـ سَعِيد بن سُوَيد بن قيس.

٤٨ ـ عُتبة بن ربيع بن رافع.

ومن بني ساعدة بن كعب بن الخزرج:

٤٩ ـ ثَعلبة بن سعد بن مالك.

٥٠ ـ ثَقْف بن فروة بن البَدِيّ.

ومن بني طريف رَهْط سعد بن عُبادة:

٥١ ـ عبدُ الله بن عمرو بن وَهْب.

٥٢ ـ ضَمْرة الجهني حليفهم.

ومن بني عوف بن الخزرج:

٥٣ ـ نوفل بن عبد الله.

٥٤ ـ عَبَّاس بن عُبادة بن نَضْلة العَجلاني.

٥٥ ـ نُعمان بن مالك بن ثَعْلبة.

٥٦ ـ المُجذَّر بن ذِياد البَلَوِيّ حَلِيفهم.

٥٧ ـ عُبادة بن الحَسْحَاس. ودفن النعمان، والمُجَذّر وعبادة في قبر واحد.

ومن بني الحُبْلى:

٥٨ ـ رِفاعة بن عمرو.

ومن بني سَلمة ثم من بني حرام:

٥٩ ـ عمرو بن الجموح بن زيد بن حرام.

٦٠ ـ عبد الله بن عمرو بن حرام. دفنا في قبر واحد.

٦١ ـ خلّاد بن عمرو الجموح.

٦٢ ـ أبو أيمن مولى عمرو بن الجموح.

ومن بني سَواد بن غَنْم:

٦٣ ـ سُليم بن عمرو بن حَديدة.

٦٤ ـ مولاه عَنترة.

٦٥ ـ سهل بن قيس بن أبي كعب.

٦٦ ـ ذكوان بن عبد قيس.

٦٧ ـ عُبيد بن المُعلّي بن لَوذان.

هذا ما ذكره ابن إسحاق من أسماء من استشهد يوم أحد. وزاد ابن هشام:

٦٨ ـ مالك بن نُميلة المزني حليف الأوس.

٦٩ ـ الحارث بن عدي بن خَرَشة الأوسي.

٧٠ ـ مالك بن إياس الخزرجي.

٧١ ـ إياس بن عدي من بني النجار[1].

فهؤلاء الشهداء الذين قتلوا يوم أحد، وأكثرهم من الرماة.

---

(١) زاد ابن هشام بعد إياس «عمرو بن إياس».

أسماء من قتل من المشركين يوم أحد

قتل يوم أحد من المشركين:

من بني عبد الدار بن قصي أصحاب لواء قريش:

١ - طلحة بن أبي طلحة. واسمه[1] عبد الله بن عبد العُزّى بن عثمان بن عبد الدار، قتله علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

٢ - أبو سعيد بن أبي طلحة، قتله سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه في رواية بن اسحاق، وفي رواية بن هشام قتله عليّ بن أبي طالب.

٣ - عثمان بن أبي طلحة، قتله حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه.

٤ - مُسافع بن طلحة، قتله عاصم بن ثابت بن الأقلح الأنصاري رضي الله عنه.

٥ - جلاس بن طلحة، قتله عاصم بن ثابت الأنصاري.

٦ - كلاب بن طلحة، قتله عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه.

٧ - الحارث بن طلحة، قتله قُزْمان بن الحارث حليف بني ظفر، وكان منافقاً ومشهوراً بالشجاعة، وقد قتلَ يوم أحد نحو سبعةٍ من المشركين حتى أصابته الجراحة، فقيل له: هنيئاً لك الجنة يا أبا الغيداق. قال: جنة من حرمل، والله ما قاتلنا إلا على الأحساب. فاشتدت به الجراح فقتل نفسه.

٨ - أرطأة بن عَبْدِ شُرَحْبِيل بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار، قتله حمزة بن عبد المطلب.

---

(١) أي اسم أبي طلحة.

٩ ـ أبو يزيد بن عمير بن هاشم بن عبد منـاف بن عبد الـدار، قتله قُزْمان.

١٠ ـ القاسط بن شُريح بن هاشم بن عبد منـاف بن عبد الـدار، قتله قزمان.

١١ ـ صُؤاب ـ غلام حبشي لبني عبد الدار ـ قتله قُزمان في رواية بن إسحاق، وفي رواية ابن هشام قتله علي بن أبي طالب.

فهؤلاء أحد عشر رجلاً من بني عبد الدار قتلوا على لواء المشركين.

ومن بني أسد بن عبد العزى بن قصي:

١٢ ـ عبد الله بن حُميد بن زُهير بن الحارث الأسدي، قتله علي بن أبي طالب.

ومن بني زهرة:

١٣ ـ أبو الحكم بن الأخنس بن شَرِيق الثقفي. حليف بن زهرة، قتله علي بن أبي طالب.

١٤ ـ سِباع بن عبد العَزى بن عمرو بن نضلة الخزاعي حليف بني زُهرة، قتله حمزة بن عبد المطلب.

ومن بني مخزوم:

١٥ ـ هشام بن أبي أمية بن المغيرة، قتله قزمان.

١٦ ـ الوليد بن العاص بن هشام بن المغيرة، قتله قزمان.

١٧ ـ أبو أمية بن أبي حُذيفة بن المغيرة، قتله عليٌّ بن أبي طالب.

١٨ ـ خالد بن الأعلم حليف لهم، قتله قزمان. فهؤلاء أربعة قتلوا من بني مخزوم آل أبي جهل.

ومن بني جمح:

١٩ - عمرو بن عبد الله بن عُمَير الجمحي، وهو أبو عَزَّة، قتله الزبير بن العوام رضي الله عنه، بأمر رسول الله ﷺ، بحمراء الأسد صبراً.

٢٠ - أبي بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح، قتله رسول الله ﷺ بيده الشريفة.

ومن بني عامر بن لؤي:

٢١ - عُبيدة بن جابر، قتله عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

٢٢ - شيبة بن مالك بن المُضَرّب، قتله قزمان.

فهؤلاء الذين ذكرهم ابن إسحاق من قتلى المشركين يوم أحد.

٢٣ - معاوية بن المغيرة، قتله زيد بن حارثة وعمّار بن ياسر بحمراء الأسد، بأمر رسول الله ﷺ.

فهؤلاء الذين قتلوا يوم أحد في المعركة، منهم عشرون قتلوا في أول المعركة، وواحد قتله رسول الله ﷺ، واثنان قتلا بحمراء الأسد، كما تقدم بيانه، وذلك حينما تبارىٰ أبطال الإسلام وأبطال الشرك، فكان من قتل من بني عبد الدار أصحاب لواء المشركين أحد عشر رجلاً دفاعاً عن لواء المشركين، وتسعة من صناديدهم، فلما قتل أصحاب اللواء فرَّ المشركون وانهزموا شرّ هزيمة، لا يلوون على شيء، حتى تركوا العسكر والنساء، وكان الأبطال الذين أكثروا في هؤلاء المشركين قتلاً وكانوا السبب في هزيمتهم هم:

الأول: حمزة بن عبد المطلب، فقد قتل عثمان بن أبي طلحة، وأرطأة بن عبد شرحبيل من آل عبد الدار أصحاب اللواء ممن ذكر اسمهم التاريخ، وسباع بن عبد العزى الخزاعي، وأما من لم يذكر اسمه فكثيرون. روى ابن أبي عاصم عن عبد الله بن السائب أنه قال: وقد قتل الله تعالى

بيد حمزة من الكفار أحداً وثلاثين[1] ولو كان هناك دواوين تسجل فيها أسماء من قتل من المشركين لعرفنا من قتلهم بطل الإسلام حمزة بن عبد المطلب، ذلك البطل العظيم الذي لا يجارى في حومة الوغي، فقد استغفله وحشي ورماه بحربته غدراً فقتله.

يقول وحشي: كنت غلاماً لجُبير بن مُطْعِم، وكان عمه طُعَيمة بن عدي قد قُتل يوم بدر، فلما سارت قريش إلى أحد قال لي جبير، إن قتلت حمزة عم محمد بعمي فأنت عتيق، قال: فخرجت مع الناس، وكنت رجلاً حبشيّاً أقذف بالحربة قَذْفَ الحبشة، فَلَّما أخطىء بها شيئاً، فلما التقى الناس خرجت أنظر حمزة وأتبصره، حتى رأيته في عُرْض الناس مثل الجمل الأورق يهذُّ الناس بسيفه هَذّا ما يقوم له شيء، فوالله إني لأتهيأ له أريده فأستتر منه بشجرة أو حجر ليدنو مني. إذ تقدمني إليه سباع بن عبد العزي، فلما رآه حمزة قال له: هلمّ إليَّ يا ابن مقطعة البظور! قال: فضربه ضربة كأنَّما أخطأ رأسه[2] قال: وهززت حربتي حتى إذا رضيت منها دفعتها عليه، فوقعت في ثُنَّته حتى خرجت من بين رجليه، وذهب لينوء نحوي فغُلِبي، وتركته وإياها حتى مات، ثم أتيته فأخذت حربتي ثم رجعت إلى العسكر.

هذا ما قاله وحشي. نعم!! إن حمزة رضي الله عنه أسد الله وأسد رسوله بحق؛ فارس عظيم لا يستطيع أحد أن يثبت أمامه من شدة بأسه. ولا يطمع شجاع أن يقتله وجهاً لوجه، ولا يتسنى لأي رجل يرى في نفسه البسالة والشجاعة أن يبارزه، فقد شهد له التاريخ بذلك، فلا يمكن قتله إلاّ غدراً.

---

(١) السيرة الشامية.

(٢) أي قطع رأسه بسرعة حتى ليظن الرائي أنه أخطأ رأسه.

ولذلك لما علم جُبير بن مطعم أنه لا مطعمع في قتل حمزة وجهاً لوجه عمَّد مولاه وحشيّاً أن يرميه بحربته من وراء حجاب، ولو شعر حمزة بوحشيّ لأرداه في أقل من لمحة البصر قتيلاً، ولكن الأبطال لا يقتُلون إلا غدراً، ولا يُؤخذون إلا غفلة، حيث لا مطمع في مقاومتهم وجهاً لوجه، فهكـذا قضت حكمة البـاري أن يكون الأبـطال ضحية لـلأنذال، يقـول وحشي: رأيت حمـزة في عُرْض النـاس مثل الجمـل الأورق، والجمـل الأورق هو العظيم الذي إذا هدر وثار لا يلوي على شيء إلا دحسه، هكذا قضى السميع العليم أن يكون حمزة أسد الله وأسد رسولـه ضحية ذلـك العبد، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

الثاني: خليفة حمزة بن عبد المطلب، ومن خلّف ما مات، وخليفة حمزة هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ذلك الليث الذي كان قد قتل في يوم بدر واحداً وعشرين فارساً من صناديد قريش، وقد قتل يوم أحـد ستة، ثلاثة من أصحاب اللواء في أول المعركة من بني عبد الدار، وثلاثة آخرين ممن سمَّاهم ابن إسحاق، وكذلك خلاف من لم يسم، وخلاف من قتلوا حينما اشتد البأس.

علي بن أبي طالب عرفـه الناس قبـل كل شيء بمـوقفه العـظيم، بملاقاة الأبطال في حومة الوغى، تلك محكُّ الرجال، فعليُّ بن أبي طالب لم ينل ما ناله من الشهرة العظيمة لكونه ابن عم رسول الله ﷺ، وزوج ابنته فحسب، بل أول ما عرف في ميادين القتال ومكافحة الأبطال، وبجـرأته العظيمة، فكان هو الثاني في معركة أحد ممن شهد لهم التاريخ بالثبات العظيم من آل عبد المطلب.

الثالث: عاصم بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه، فقد قتل اثنين من حملة لواء المشركين، ممن أسماهم ابن إسحاق، وهو من أبطال الأنصار، وله مواقف عظيمة.

الرابع: قزمان بن الحارث، حليف بن ظفر، هذا الذي كان ممن أبلي في المشركين بلاءً حسناً، ولكن لم تُكتب له السعادة، رغماً عن أنه كان أكثر من قتل من مشركي قريش، فقد سمى له ابن إسحاق ممن قتلهم سبعة أشخاص، أكثرهم حملة اللواء، فالسعادة بيد الله تعالى ينيلها من يشاء.

الخامس: عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، قد أبلى يوم أحد، وأثبت له ابن إسحاق فيمن ذكر من القتلى رجلًا واحداً.

السادس: عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، فقد قَتل رجلًا واحداً.

السابع: سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، فقد قَتل في أول المعركة رجلًا واحداً.

الثامن: الزُّبير بن العوام رضي الله عنه، فقد قَتل رجلًا بحَمْراءِ الأسد.

فهؤلاء من عَدَّ قتلاهم ابنُ إسحاق وابنُ هشام في أول المعركة، ولم يذكر من قَتلهم أبو دُجانة الأنصاري رضي الله عنه، ولا من قتلهم سعد بن أبي وقاص وهو يدافع عن النبي ﷺ، وقد جاء في هذه الوقعة من سِياق السيرة، أن أبا دجانة قتل أربعة، وأن سعد بن أبي وقاص قتل ثلاثةً حينما صعد المشركون الجبل، وكذلك سعدُ بن الرَّبيع رضي الله عنه، لم يسم ابن إسحاق ولا غيرُه مَنْ قَتلهم، وكذلك مصعب بن عُمير، وعُمر بن الخطاب حينما صَعدا الجبلَ وأنزلا عنه المشركين.

وقد راجعت تراجم الصحابة مثل: الاستيعاب لابن عبد البر، والإصابة للحافظ ابن حجر، والطبقات لابن سعد، وأسد الغابة لابن الأثير، على أن أقف على أسماء من قُتِل من المشركين في وقعة أحد، فلم أجدهم ذكروا اسم أحد ممن قتل من قريش، بل يذكرون اسم الصحابي الذي حضر الوقعة، وأنه أبلى بلاءً حسناً، أو غير ذلك من هذه

العبارات الإجمالية. وسياق السيرة يدل على أنه وقع في المشركين قتلٌ أشدُّ مما وقع في المسلمين، وذلك أن المسلمين لما أتاهم العدو من خلفهم، صار المسلمون مدافعين، والمشركون مهاجمين، والعادة في هذه الحالة يكون القتل في المهاجم أكثر من المدافع، والذي وقع من القتال حول النبي ﷺ كان أشد حالات المعركة، فكان أبو دجانة ذلك البطل العظيم يجول جولاته بسيف رسول الله ﷺ دفاعاً عن رسول الله ﷺ، والمشركون متكدسون حولهم، أفكانت جولاته تذهب هباء؟ وكذلك سعد بن أبي وقاص، كان يرشق المشركين بسهمه، ورسول الله ﷺ يناوله السهام ويقول له: «ارمِ فداك أبي وأمي» فهل كان ذلك الرامي المشهور بقوّة رَمْيه، والمدافع عن نبيه ونفسه، تكون رمياته المتوالية المتتابعة المحكمة في الهواء؟

وقد ثبت في هذه المعركة دفاعاً عن رسول الله ﷺ ثلاثون بطلاً يذبّون المشركين عن رسول الله ﷺ، حتى قتل نحو نصفهم، وكلهم من أعظم الأبطال، فهل كان دفاعهم وسيوفهم مُصْلتة بأيديهم يدافعون بها دفاع المستميت عن نبيه ونفسه بغير فَتْك في عدوهم؟ هذا مما لا يسلمه العقل الصحيح، ولا الفكر الثاقب. وعلى كل حال، فلا شك أنه وقت قتل في المشركين لم يحص في تاريخ ولا ديوان من دواوينهم، وسبب وجود الإبل عندهم بكثرة قد حملوا عليها قتلاهم، فلم يعرف الصحابة منهم إلا من قتلوهم مبارزة في أول المعركة وجهاً لوجه، وهذا أمر معروف عند العرب وغيرهم في حالة حروبهم، فكانوا إذا تمكنوا من حمل موتاهم حملوهم ليخفوهم عن عدوهم، وهذا يحصل لمن تكون له الغلبة على خصمه، فلما لم تكن لقريش الغلبة في بدر تركوا قتلاهم، فعرفوا، ولما كانت لهم الغلبة في أحد لا شك أنهم حملوهم معهم، فلم يعرف من قتل منهم في نهاية المعركة، لأن المعركة كانت دامية في نهايتها أشد مما كانت في ابتدائها، فكان تهافت المشركين على قتل رسول الله ﷺ بشدة، ودفاع المسلمين عنه أشد.

وأصيب رسول الله ﷺ بنحو سبعين ضربة بالسيف من المشركين، ولولا أن الله سبحانه وتعالي حفظه بواسطة الدرعين اللتين كانتا عليه لفتكت فيه سيوفهم، ولذلك يجزم الإنسان بأن في المشركين قتلى أكثر مما أحصي. ولم يقتل في أول المعركة حينما قتل من المشركين تسعة عشر قتيلاً من المسلمين سوى حنظلة الغسيل، ولم يحصل في المسلمين إلا بعد أن ترك الرماة موقعهم، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ثم إذا قابلنا بين من قتل من المسلمين يوم أحد، ومن قتل منهم أيضاً يوم بدر، كان مجموع قتلى الوقعتين أربعة وثمانين شهيداً من المسلمين. ومن قتل من المشركين ممن أحصاهم التاريخ في الوقعتين ثلاثة وتسعون قتيلاً، وسبعون أسيراً، وذلك خلاف ما غنمه المسلمون يوم بدر، وما أخذوه فداءً عن أسراهم، ولم يأسر المشركون من المسلمين أسيراً واحداً، فعلى ذلك لم يكن بين يوم أحد وبدر تساوٍ كما قال أبو سفيان: يوم بيوم، فظهر أن كفّة المسلمين أرجح، على ما هم عليه من القلة في العدد والعُدّة، وعلى ما كان عليه المشركون من الكثرة في العدد والعُدَّة، ولولا أن ترك الرماة موقعهم لما كان هناك تقابل، بل كان الأمر بالعكس على المشركين، وكان الأسر والغنيمة والقتلُ في المشركين أشد وأفظع من يوم بدر، ولولا ذلك لكانت أموالهم غنيمةً، ونساؤهم سَبْياً، ورجالهم أَسْرَى بعد القتل.

هذا خلاصة ما وقع في أحد، وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خيرٌ لكم وعسى أن تُحبّوا شيئاً وهو شرٌّ لكم.

بعثة الرجيع[1]

الرجيع: موضع من بلاد هذيل، بين مكة وعسفان، وكانت هذه البعثة في آخر سنة ثلاث من الهجرة، وفي هذه البعثة خلاف بين أصحاب السير، فاعتمدت على رواية البخاري وشرحه للحافظ ابن حَجَر العسقلاني، روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بعث رسول الله ﷺ سرية عيناً، وأمَّر عليهم عاصمَ بن ثابت الأنصاري، وهو جد عاصم بن عمر بن الخطاب، فانطلقوا حتى إذا كانوا بالهَدْأة ـ موضع ـ بين عسفان ومكة ذُكِروا لحيّ من هذيل يقال لهم بنو لِحْيان، فتبعوهم بقريب من مائةِ رامٍ، فاقتصّوا آثارهم، حتى أتوا منزلاً ينزلونه، فوجدوا فيه نَوى تمرٍ تزودوه من المدينة، فقالوا: هذا تمر يثرب، فتبعوا آثارهم حتى لحقوهم.

فلما انتهى عاصم وأصحابه لجئوا إلى فدفد ـ رابية مرتفعة ـ وجاء القوم فأحاطوا بهم فقالوا: لكم العهد والميثاق إن نزلتم إلينا أن لا نقتل منكم رجلاً، فقال عاصم: أما أنا فلا أنزل في ذمة كافر، اللهم أخبر عنّا نبيك، فقاتلوهم حتى قتلوا عاصماً في سبعة نفر بالنبل، وبقي: خُبيب، وزيد، ورجل آخر ـ هو عبد الله بن طارق ـ فأعطوهم العهد والميثاق، فلما أعطوهم العهد والميثاق نزلوا إليهم، فلما استمكنوا منهم حلّوا أوتار قسيهم فربطوهم بها، فقال الرجل الثالث الذي معهما ـ عبد الله بن طارق ـ: هذا أول الغدر، فأبى أن يصحبهم، فجرروه وعالجوه على أن يصحبهم، فلم يفعل، فقتلوه، وانطلقوا بخُبيب بن عدِيّ، وزيد بن الدَّثِنَّة حتى باعوهما بمكة، فاشترى خبيباً بنو الحارث بن عامر بن نوفل، وكان خُبيب هو الذي قتل الحارث بن عامر يوم بدر، فمكث عندهم أسيراً، حتى إذا أجمعوا قتله استعار مُوسى

(١) انظر سيرة ابن هشام ١٧٨/٣ والمواهب اللدنية جـ ٢/ ٦٤.

من بعض بنات الحارث يستحِدّ بها، فأعارتـه، قالت: فغفلت عن صبي لي، فدرج إليه حتى أتاه، فوضعه على فخذه، فلما رأيته فزعت فزعة عرف ذاك مني وفي يده الموسى، فقال: أتخشين أن أقتله؟ ما كنت لأفعل ذلك إن شاء الله تعالى، وكانت تقول: ما رأيت أسيراً قطّ خيراً من خُبيب، لقد رأيته يأكل من قطف ـ عنقود ـ عنب وما بمكة يومئذ ثَمَرة وإنه لموثق في الحديد، وما كان إلّا رزقاً رزقه الله، فخرجوا به من الحرم ليقتلوه.

فقال: دعوني أصلي ركعتين، ثم انصرف إليهم فقال: لولا أن تروا أن ما بي جزع من الموت لزدْت. فكان خبيب أول من سَنّ الركعتين عند القتل، ثم قال: اللهُمّ أحْصِهِم عدداً، ثم قال:

مَـا إنْ أُبالـي حِين أُقْتَـلُ مُسْلِمـاً   عَلَى أيِّ شِقٍّ كَـانَ للَّهِ مَصْـرَعِي

وَذٰلِـكَ فِي ذَاتِ الإلٰـه وإنْ يَشـأْ   يُبَـارِكْ عَلَى أَوْصَالِ شِلْو مُمَـزَّعِ

ثم قام إليه عقبة بن الحارث فقتله.

وقال الحافظ ابن حجر في شرح البخاري: وعند أبي الأسـود عن عروة زيادة في هذا الشعر:

لَقَـدْ أَجْمَعَ الأَحْزَابُ حَوْلِي وأَلَّبُوا   قَبـائِلَهُمْ وَاسْتَجْمَعْوا كُـلَّ مَجْمَـعِ

إلَى اللَّهِ أَشْكُو غُرْبَتِي بَعْدَ كُرْبَتِي   وماأَرصَدالأَحْزَابُلِي عِنْدَمَصْرَعي[1]

فلما وضعوا فيه السلاح وهـو مصلوب نادوه ونـاشدوه: أتحب أن محمداً مكانك؟ قال: لا والله العـظيم. ما أحب أن يفَـديني بِشوْكـة في قَدَمه. قال البخاري في روايةٍ عن أبي هريرة رضي الله عنه: وبعثت قريش إلى عاصم بن ثابت الأنصاري أمير القوم، ليؤتوا بشيء من جسده يعرفونه،

---

(١) قبله في سيرة ابن هشام والمواهب اللدنية بيتان وبعده أبيات.

وكان عاصم قتلَ عظيماً من عظمائهم يوم بدر فبعث الله عليه مثل الظُلّة[1] من الدَّبْر ـ مثل السحاب من الزنابير ـ فحمته من رُسلهم فلم يقدروا منه على شيء. هذه رواية البخاري، ولم يذكر عن زيد بن الدَّثِنَّة شيئاً.

قال ابن إسحاق: وأما زيد بن الدثنة فابتاعه صَفْوان بن أُمية ليقتله بأبيه أميةَ بنِ خلَف، وبعث به صفوانُ بن أمية مع مولى له يقال له نِسْطاس إلى التَّنعيم، وأخرجوه من الحرم ليقتله، واجتمع رهطٌ من قريش مِنهم أبو سفيان بن حرب، فقال له أبو سفيان ـ حين قُدِّم ليقْتَل ـ: أنشدك الله يا زيد، أتحب أن محمداً عندنا الآن في مكانك نضرب عنقه وأنك في أهلك؟ قال زيد: والله ما أحب أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تُصيبة شوكة تُؤذيه وإني جالس في أهلي، قال أبو سفيان: ما رأيت من الناس أحداً يحبّ أحداً كحبِّ أصحابِ محمدٍ محمداً، ثم قتله نِسطاس. يَرْحمه الله.

وأما أسماء الرهط الذين كانوا مع عاصم بن ثابت الأنصاري في هذه البعثة فهم:

١ ـ مَرْثَد بن أبي مرَثد الغَنَوِيّ، واسم أبي مرثد كَنَّاز بن الحُصين، حليف حمزة بن عبد المطلب، شهد بدراً وكان يحمل الأسْرى.

٢ ـ خُبَيب بن عَدِيّ بن مالكٍ الأوْسِيّ الأنصاريّ، ممن شهد بدراً وأُحُداً.

٣ ـ زيد بن الدَّثِنَّة بن معاوية الأنصاري، شهد بدراً وأحداً.

٤ ـ عبد الله بن طارق بن عمرو بن مالك البَلَويّ حليف بني ظَفْر الأنصاري شهد بدراً.

---

(١) في الأصل «فبعث الله عليهم الظُلمة...» والتصويب عن البخاري. [المصحح].

٥ ـ خالد بن البُكَير بن عَبْد ياليل الليثي، أحد السابقين الأوّلين إلى الإسلام، وشهد بدراً، وأحداً.

٦ ـ مُعتب بن عُبيد بن إياس البَلَوِيّ حليف بني ظفر من الأنصار، ذكر ابن سعد في الطبقات أنه من ضمن هذه البعثة.

والثلاثة الباقون قال الحافظ ابن حجر: لعلهم كانوا أتباعاً لهم فلم يحصل الاعتناء بتسميتهم. وقد أنزل الله تعالى فيهم من القرآن كما رواه ابن إسحاق عن ابن عباس رضي الله عنه قال: لما أُصيبت السَّرِيّة التي كان فيها مرثد وعاصم بالرجيع قال رجال من المنافقين: يا ويح هَؤلاء المفتونين الذين هلكوا هكذا، لا هم قعدوا في أهليهم، ولا هم أَدَّوْا رسالة صاحبهم. فأنزل الله تعالى في ذلك من قول المنافقين وما أصاب أولئك النفر من الخير الذي أصابهم فقال سبحانه: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُه في الْحَياةِ الدُّنْيَا﴾ يظهر الإسلام بلسانه ﴿ويُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِه وَهُوَ أَلَدُّ الخِصَامِ﴾ شديد الشغب ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الحَرْثَ والنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الفَسَادَ * وَإِذَا قِيلَ له اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْه العِزَّةُ بِالْإِثمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ المِهَادُ * وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفُ بِالْعِبادِ﴾[1].

فهذا حاصل ما ورد في هذه البعثة، وقد قدر الله سبحانه وتعالى لأولئك الأبطال الذين بَرْهنوا في مواقعهم، يوم بدر، وأحد، يوم تقابلوا مع صناديد قريش وجهاً لوجه، فظهر تفوُّقُ أبطالِ الإسلام على أبطال الشرك، ذلك عاصم بن ثابت الذي كان بالأمس يجول ويصول في معركة أُحُد ويحصد المشركين حَصْدَ النَّوى قُتِل غَدْراً، تلك سنة الأبطال لا يُقتلون إلاَّ غدراً حيث لا مطمع في قتلهم مبارزةً.

---

(١) سورة البقرة، الآيات: ٢٠٤ إلى ٢٠٧.

يقول لخبيب وزيد: أما ترضيانِ أن تكونا في أهليكما ومحمد مكانكما؟ فيجيب كل واحد منهما: إنه لا يرضى لنبيه أن يُصاب بشوكة مقابل أن يَسْلَم من القتل.

هنا مَحكُّ الرِّجال، هنا فحصُ أهلِ الإيمان، يرضى الرجل منهم بالقتل ولا يُشاك نَبيُّه بشوَكة. فهل يتَصوَّرُ عقلُ الملاحدةِ أن الإيمان إذا تمكَّن من قلب المرء يجعله يرضى بالقتل ولا يصاب نَبيُّ الإسلامِ بشوكة؟ فهل عندهم عقل يتصوَّر ذلك؟ كلا فإنهم لا يعرفون للإيمان طعماً، ولا للإسلام، حلاوة فمن أين لعقولِهم أن تَتصور ذلك؟ وكأنك بهم حينما يرون هذه العبارة يسخرون بها ويعدونها نوعاً من أنواع الخُرافة، ولكنَّ أهْلَ الإيمان على عكسهم في التصوُّر، والتصديق، فلنَدَعْهم في إلحادهم يعمهون، فإن السعادة عند أهل الإيمان أن تُختَم حياتهُ في طاعة الله تعالى، ولا شك أن هؤلاء الشهداءَ قد كُتبت لهم السعادةُ، حيث قد قُتِلوا غدراً في سبيل الله تعالى، فنعم الحياةُ تُضَحَّى في سَبيل الله، ولإعلاء كلمة الله، ولكلّ مخلوقٍ نهاية في هذه الحياة الدنيا، فإذا كانت في طاعة الله تعالى، ولإعلاء كلمة الله تعالى، فهي خير من أن تُضَحَّي كتضحية الجبان على فراشه، أو تضحية الفاسق في مَعصية ربِّه، أو تضحية الكافر في سبيل شِرْكِه فالموت لا بدَّ منه، طال عمر الإنسان أو قَصر، فإذا كان في السعادة، فهو خير من أن يكون في الشقاء، وإذا كان في عبادة فهو خير من أن يكون في مَعصية، حيث لو لم تكن مَنِيَّة هؤلاء السعداءِ بهذا الشكل لما دُوِّنَ ذلك في التاريخ، ولما صار عِبرَةً وعِظةً طُولَ هذه العصور لقومٍ يَفقهون.

سرية أبي سلمة المخزومي[1]

هو أبو سَلَمة عبد الله بن عبد الأسد بن هلال المخزومي وكانت سريته في هلال المحرم سنة أربع من الهجرة إلى قَطَن ـ جَبَلٍ بناحية فَيْدٍ ـ ومعه مائة وخمسون رجلاً من المهاجِرين والأنصار لِطلب طُلَيْحَة، وسلمةَ بن خُوَيْلد، فلم، يجدوهما ووجدوا إبلاً وشاءً، فأغاروا عليهما، ولم يلْقَ كيداً.

سرية عبد الله بن أنيس[2]

بعث رسول الله ﷺ عبد الله بن أُنَيْس الجهَني المدني الأنصاريّ إلى سُفْيَان بن خالد الهذليّ وحده بِعُرَنَة[3] وذلك يوم الإثنين لخمس خلون من المحرم سنة أربع من الهجرة، لأنه بلغ رسولَ الله ﷺ أن سفيان جمعَ الجموعَ لحربه، فلما وصل إليه عبد الله بن أُنيس قال له سفيان: ممن الرجل؟ قال: من بني خزاعة، سمعت بجمعك لمحَمد فجئتك لأكون معك قال: أجل، فمشى معه ساعة ثم مال عليه فقتله وأخذ رأس، فكان يسير الليل ويتوارى النهار، حتى قدم المدينة، فقال رسول الله ﷺ: «أفلحَ الوجْهُ»، قال: أفلح وجهك يا رسول الله، ووضع رأسه بين يديه. وكانت غيبته ثماني عشرة ليلة، وكان قدومه يوم السبت لسبعٍ بقين من المحرم، سنة أربع من الهجرة.

---

(١) انظر المواهب اللدنية ٢/٦٢.

(٢) انظر المواهب اللدنية ٢/٦٣.

(٣) عرنة الوادي: الذي يحد عرفة من الجهة الغربية.

بئر معونة وسرية المنذر بن عمرو[1]

كانت هذه البعثة على رأسها المُنْذِرُ بن عَمْرو بن خُنَيْس الخزرجيّ الأنصاري وكان يلقب: (المُعْنِق لِيمُوت) وذلك في شهر صفر من سنة أربعٍ من الهجرة. وسبب هذه البعثة هو أنه قدم أبو بَرَاء عامر بن مالك بن جعفر مُلاعِب الأسنَّة على رسول الله ﷺ المدينة، وأهدى له هَدِيَّة، فأبى رسول الله ﷺ أن يقبلها، وقال: «يا أبا براء، لا أقبل هدية مشرِك، فأسلم إن أردت أن أقبل هديتك» وعرض عليه رسول الله ﷺ الإسلام، ودعاه إليه، وأخبره بما له فيه، وما وعد الله المؤمنين من الثواب، وقرأ عليه القرآن، فلم يسلم ولم يَبْعُد من الإسلام، وقال: يا محمد إني أرى أمرك هذا الذي تدعو إليه حسناً شريفاً، وقومي خلفي، فلو أنك بعثت رجالاً من أصحابك إلى أهل نجد فدَعَوْهم إلى أمرك رجوتُ أن يَستجيبوا لك، قال رسول الله ﷺ: «إني أخشى عليهم أهل نجد» قال أبو براء: أنا لهم جارٌ «فابعثهم فليَدْعُوا الناسَ لأمرك. فبعث رسول الله ﷺ: المنذر بن عمرو في سبعين رجلاً من أصحابه من خيار المسلمين، منهم: الحارث بن الصِّمَّة، وحرام بن مِلْحَان، أُخو بني عَدِيّ بن النَّجَّار، وعُرْوة بن أسماء بن الصَّلْت السُّلَميّ، ونافِع بن بُدَيْل بن وَرْقاء الخزاعيّ، وعامر بن فُهَيْرَة مولى أبي بكر الصديق، ورجالٌ من خيار المسلمين، رضي الله عنهم أجمعين، وبعث معهم المطَّلب السُّلَميّ ليدلهم على الطريق، فساروا حتى نزلوا «بِئْرَ مَعُونَةَ»[2] فلما نزلوا بها أتوا غاراً مُشرِفاً على ماء وقعدوا فيه، ثم قال بعضُهم لبعض: أيكم يبلغ رسالة رسول الله ﷺ أهل هذا الماء؟ فقال حَرَام بن مِلْحَان الأنصاري رضي الله عنه: أنا أبلغ رسالة رسول الله ﷺ، فخرج حتى

---

(١) انظر سيرة ابن هشام ٢/١٩٣ والمواهب اللدنية ٢/٧٤.

(٢) بئر معونة: بين أرض بني عامر وحرة بني سليم، وكلا البلدين منها قريب وهي إلى حرة بني سليم أقرب.

أتى بكتاب رسول الله ﷺ: إلى عدو الله عامر بن الطُّفيل، فلما أتاه قال: يا أهل بئر معونةَ، إني رسولُ رسول الله إليكم. فلم ينظر عدو الله عامر بن الطفيل في كتاب رسول الله ﷺ، حتى عَدَا على حرامٍ بن مِلْحان فقتله، ثم استصرخ عليهم بني عامر، فأبوا أن يُجيبوه إلى ما دعاهم إليه وقالوا: لن نُخْفِرَ أبا بَرَاء، وقد عَقَدَ لهم عَقْداً وجِواراً. فاستصرخ عليهم قبائلَ من سليم من عُصَيَّةَ، ورِعلْ، وذَكْوَان، فأجابوه إلى ذلك، فخرجوا حتى غَشُوا القومَ، فأحاطوا بهم في رِحَالِهم، فلما رأوهم أخذوا سيوفهم ثم قاتلوهم حتى قُتِلوا كلُّهم إلا كعْبَ بن زيدٍ أخا بني دِينار بن النَّجار فإنهم تركوه وبه رَمَقٌ فحُمِل من المعركة به رمقٌ من الجراح التي لم تصب منه مَقْتلاً، فعاش حتى قُتِلَ يوم الخندق.

وكان في سَرْحِ القوم عَمْرُو بن أُميَّة الضَّمْرِيّ، والمُنذِر بن محمد بن عُقبة بن أُحَيْحة بن الجُلَاح، فلم ينبئهما بمُصابِ أصحابهما إلا الطيرُ تحومُ على العسكر، فقالا: والله إن لهذه الطير لشأناً، فأقبلا لينظرا، فإذا القوم في دمائهم، وإذا الخيل التي أصابتهم واقفة، فقال المنذر بن محمد الأنصاري لعمرو بن أمية: ما ترى؟ قال: أرَى أن نَلحق برسول الله ﷺ فنخبره الخبر، فقال المنذر: لكني ما كنت لأرغب في نفسي عن موطنٍ قُتِل فيه المنذر بن عمرو، وما كنتُ لِتُخْبِرَني عنه الرجال. ثم قاتل القوم حتى قُتِل، وأُخِذَ عمرُو بن أُميّة أسيراً، فلما أخبرهم أنه من مُضَر أطلقَه عامرُ بن الطفيل، وجزَّ ناصيته، وأعتقه عن رقبة زعم أنها كانت على أُمِّه.

فخرجَ عمرو بن أمية، حتى إذا كان بالقَرْقَرةِ مِنْ صَدْرِ قَناة[1]، أقبل رجلان من بني عامر حتى نزلا معه في ظلٍّ هو فيه، وكان مع العامِرِيَّين عقدٌ

---

(١) قناة: وادي يأتي من الطائف ويصب في الأرحضية وقرقرة الكدر: انظر معجم البلدان.

من رسول الله ﷺ وجوار لم يعلم به عمرو بن أمية، وقد سألهما حين نزلا: ممن أنتما؟ فقالا: من بني عامر. فأمهلهما، حتى إذا ناما عدا عليهما فقتلهما، وهو يرى أن قد أصاب بهما ثُؤْرَةً من بني عامر فيما أصابوا من أصحاب رسول الله ﷺ، فلما قدم عمرو بن أمية على رسول الله ﷺ أخبره الخبر، قال رسول الله ﷺ: «لقد قتلْتَ قَتِيلَين لأدِيَنَّهما» ثم قال رسول الله ﷺ: «هذا عَمَلُ أبي براء، قد كنتُ لهذا كارهاً مُتَخَوِّفاً» فبلغ ذلك أبا براء، فشقَّ عليه إخفارُ عامرٍ إياه وما أصاب أصحابَ رسول الله ﷺ بسببه وجواره، وكان فيمن أُصيب عامرُ بن فُهَيرة، وكان جَبَّار بن سلمى بن مالك الكلابيّ فيمن حضرها يومئذ مع عامر بن الطفيل، ثم أسلم فكان يقول: إن مما دعاني إلى الإسلام أني طعنت رجلاً منهم يومئذ بالرمح بين كتفيه، فنظرت إلى سنان الرمح حين خرج من صدره، فسمعته يقول: فُزْتُ والله، وكان هذا المطعون هو عامر بن فُهيرة رضي الله عنه، فقال جبار: فقلت في نفسي: ما فاز ألست قد قتلت الرجل؟ حتى سألت بعد ذلك عن قوله فقالوا: الشهادة، فقلت: فاز لعمرُ الله، قال ابن إسحاق قال حسان بن ثابت يُحَرِّضَ بني أبي بَراء على عامر بن الطفيل.

بَنِي أُمِّ البَنينَ ألمْ يَرُعْكُمْ ... وأنتُم مِنْ ذَوَائِبَةِ أَهْلِ نَجْدِ
تَهَكُّمُ عامرٍ بأبي بَرَاءٍ ... لِيُخْفِرَه وما خَطأٌ كَعَمْدِ
ألَا أَبْلِغْ رَبِيعَةَ ذا المَسَاعي ... فَمَا أَحْدَثْتَ في الحَدَثَانِ بَعْدِي
أَبُوك أبو الحروبِ أبو بَرَاءٍ ... وخالُك ماجِدٌ حَكَمُ بنُ سَعْدِ

وقال ابن جرير في تاريخه: قال كعب بن مالك في ذلك أيضاً:

لقَد طَارَتْ شعَاعاً كلَّ وَجْهٍ ... خفارَةُ ما أجارَ أبو بَرَاءِ
بَنِي أمِّ البنينَ أمَا سَمعتُمْ ... دُعاءَ المستغيثِ مع المَساءِ؟
وتَنْويهَ الصَّرِيخ: بلى!! وَلكنْ ... عَرَفْتُمْ أنه صدْقُ اللِّقاءِ
أعامرُ عامِرَ السوْآتِ قِدْماً ... فلَا بالعَقْل فُزْتَ ولا السَّناءِ

غزوة بني النضير[1]

كل مصيبة يصاب بها رسول الله ﷺ وأصحابه يعتبرها اليهودُ كأنها عيدٌ من أعيادهم، ومسرةٌ من مسراتهم، فإذا كانت العداوة في الإنسان أساسها الحسد فلا شيء يزيلها، وتبقى تغلي في قلب صاحبها حتى الممات، فكانت هذه المصائب الثلاث التي تلت بعضها بعضاً، وهي: أحد، والرجيع، وبئر معونة، مما أثلج لها صدور اليهود ومن على شاكلتهم من المنافقين واليهود، أمثال حُيَي ابن أخطب، وابن أُبَيٍّ ابن سِلول، فكانوا يجدّون ويجتهدون بكل وُسْعهِم في عرقَلة تقدُّمِ الإسلام والمسلمين، فرغماً عن عقد المعاهدة بين رسول الله ﷺ وبينهم، فإنهم كانوا يدسون الدسائس، ويكاتبون القبائل المشركة، ويغرونهم بالمال، فكانوا الساعد القويّ لقريش،

فمن ذلك ما رواه عبد الرزاق وعبد بن حُميد وأبو داوود والبيهقي: أن كفار قريش كتبوا إلى ابن أُبَيٍّ ومن كان معه يعبدُ الأوثان من الأوس والخزرج - وروسول الله ﷺ يومئذ بالمدينة، قبل وقعة بدر - إنكم إذا آويتم صاحبنا، وإنكم أكثر أهل المدينة عَدداً وإنا نُقسِم بالله لنقتلنه أو لتخرجنه أو لنستعينن عليكم العرب، ثم لنسيرن جميعاً، حتى نقتل مقاتلتكم، ونستبيح نساءكم وأبناءكم.

فلما بلغ ذلك عبدَ الله بن أُبَيٍّ بن سلول ومن كان معه من عبدة الأوثان تراسلوا واجتمعوا، وأجمعوا على قتال رسول الله ﷺ وأصحابه، فلما بلغه ﷺ لقيهم في جماعة من أصحابه فقال: «لقد بلغ وعيد قريش منكم المبالغ، ما كانت لتكيدكم بأكثر مما تريدون أن تكيدوا به أنفسكم،

---

(١) انظر سيرة ابن هشام جـ٣/١٩٩ والمواهب اللدنية ٢/٧٩.

تريدون أن تقاتلوا أبناءكم وإخوانكم» فلما سمعوا ذلك من النبي ﷺ تفرقوا وعرفوا الحق. فلما بلغ ذلك كفار قريش، كتبوا بعد وقعة بدر إلى اليهود: إنكم أهل الحلقة والحصون، وإنكم لتقاتلن صاحبنا أو لنفعلن كذا وكذا، ولا يحول بين أخذ نسائكم شيء، فلما بلغ كتابهم اليهود أجمعت بنو النضير بالغدر، فأرسلوا إلى رسول الله ﷺ: اخرج إلينا في ثلاثين من أصحابك، وليخرج منا ثلاثون حبراً حتى نلتقي على أمر بمكان نصف بيننا وبينك، فيسمعون منك، فإن صدقوك وآمنوا بك، آمنا بك كلنا، فلما كان الغد غدا عليهم رسول الله ﷺ في ثلاثين رجلاً من أصحابه، وخرج إليه ثلاثون حبراً من يهود، حتى إذا برزوا في براز من الأرض قال بعضهم لبعض: كيف تخلصون إليه ومعه ثلاثون رجلاً من أصحابه كلهم يحب أن يموت قبله؟ فأرسلوا إليه: كيف نفهم ونحن ستون رجلاً؟ اخرج في ثلاثة من أصحابك ويخرج إليك ثلاثة من علمائنا فيسمعوا منك، فإن صدقوك وآمنوا آمنا بك، فخرج إليهم رسول الله ﷺ في ثلاثة من أصحابه، وخرج ثلاثة من اليهود واشتملوا على الخناجر، وأرادوا الفتك برسول الله ﷺ، فأرسلت امرأة ناصحة من بني النضير من الغدر برسول الله ﷺ، فأقبل أخوها سريعاً حتى أدرك رسول الله ﷺ بخبرهم قبل أن يصل إليهم، فرجع رسول الله ﷺ إلى المدينة.

ثم لما قتل عمْرو بن أمية الضميريُّ الرجلين من بني عامر، وتحمل ديتهما رسول الله ﷺ، لأنهما قُتِلا في جواره، اضطر رسول الله ﷺ أن يستعين بالناس على جمع الديتين، فخرج رسول الله ﷺ إلى قباء، ثم مال إلى بني النضير يستعينهم في الدية، وكان بين بني النضير، وبين بني عامر عقدٌ وحلف، فقالوا له: نعم يا أبا القاسم، نعينك على ما أحببت مما استعنت بنا عليه، ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا: إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه - يعنون رسول الله ﷺ - ورسول الله ﷺ قاعدٌ إلى جنب جدار بيوتهم، فقالوا: فمن رَجلٌ يَعلو على هذا فيُلْقى عليه صخرةً فيقتله

أخفَرْتَ النبيَّ ولكنتَ قِدْماً إلى السوْآتِ تَجْري بالعَراءِ؟
فلسْتَ كجارِ جَارِ أبي دُوَادٍ ولا الأسَدِيِّ جارِ أبي العَلاءِ
ولكنْ عارُكم داءٌ قديمٌ وداءُ الغَدْرِ فاعلَمْ شَرُّ داءِ

فلما بلَغ ربيعةَ بنَ عامرٍ أبي براء قولُ حسان، وقول كعب، حمل على عامرِ بن الطفيل فطعنه بالرمح، فوقع الرمح في فخذه فأشواه، ووقع عن فرسه، فقال: هذا عَملُ أبي بَراءٍ إن مِتّ فدَمي لعمّي فلا يُتبعنَّ به، وإن آعِشْ فسأرى رأيي فيما أتى إليَّ.

فنعاهم رسول الله ﷺ، وقال أنس بن مالك: ما رأيت رسول الله ﷺ وَجدَ على أحدٍ ما وجد على أهلِ بئرِ مَعونة. وقال النبي ﷺ لأصحابه: «إن أصحابكم قد أُصيبوا وإنهم قد سألوا ربهم فقالوا: ﴿**ربنا أخبِرْ عنَّا إخواننا بما رَضينا عنك ورضيت عنا**﴾ ومكث رسول الله ﷺ شهراً يدعو على رِعلٍ، وذَكْوان، وعُصَيَّة. وبني الحيانَ، بعد صلاة الصبح. وأنزل الله عز وجل في أهل بئر معونة ممن استُشْهِد من أصحاب رسول الله ﷺ: ﴿**ولا تَحْسَبَنَّ الذينَ قُتِلُوا في سَبيلِ الله أمواتاً بلْ أَحْياءٌ عِنْدَ رَبِّهم يُرْزَقُون * فَرِحَينَ بِما آتاهُمْ الله من فَضْلِهِ ويَسْتَبْشِرُونَ بالذينَ لمْ يلحقُوا بِهِمْ من خَلْفِهِم ألَّا خَوْفٌ عليهم ولا هم يَحزَنُون**»﴾[1].

فهذه المصيبة التي حلت بهؤلاء الشهداء، كانت من أعظم المصائب التي حلت برسول الله ﷺ وأصحابه المهاجرين والأنصار، حيث إن عدد من قُتِل في بئر معونة مثل عدد من قُتِل يوم أحد، ولكن شتَّانَ بين من يُقتل في ميدانِ الوَغى مبارزاً لخصمه، وبين من يقتل غدراً،

فكانت هذه المصيبة أشدّ هولاً من مصيبة أُحُد، والرجيع، فهذه الثلاث

---

(١) سورة آل عمران، الآيتان: ١٦٩، ١٧٠.

المصائب تلت بعضها بعضاً، فما جفت عَبْرَة المسلمين من مصيبة أُحُدٍ، حتى تلتها مصيبة عاصم بن ثابت الأنصاري ورهطهُ في الرجيع، ولم تكفّ دمعتُهم من مصيبة الرّجيع، حتى جاءتهم هذه المصيبة التي هي أعمّ وأطمّ وأفظع، أيقتل سبعون قارئاً من اجِلاءِ أصحاب رسول الله ﷺ غدراً على ذات غِرَّة في حين أنَّهم دَعَوْا لإرشاد أولئك الأعراب وتَفْقيههم في دين الإسلام؟ إن ذلك لمن أعظم المصائب على الإسلام، ونبي الإسلام والمسلمين!! والله ما جعل الأبطال إلا ليقتلوا في حومة الوغى، لا ليقتلوا غدراً، فسبعون قارئاً وبطلاً من أصحاب رسول الله ﷺ يذهبون طعمة غادر في بدْءِ نموَّ الإسلام؟ والله إن الحزن على هؤلاء ليبقى ما بقي الدهر. لا شك أن المؤمن مبتلىً، وأشد المؤمنين بلاءً أشدُّهم إيماناً، وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور، ولا يسع المؤمنَ في اشتداد البلاء إلا الصبرُ والإحتساب إلى الله الخالق البارىء، لأن الصبر هو سلاح المؤمن الوحيد في حال نزول البلاء، حيث إن النصر مع الصبر، وإن الفرج مع الكرب، وإن مع العسر يسراً، قاتل الله الغادرين، قاتل الله الظالمين، قاتل الله المفسدين، قاتل الله الباغين، قاتل الله المعتدين. إن قوماً يدعون إلى الله تعالى، ويُرشِدون الناس إلى صالح الأعمال، وينقذونهم من ظلمات الشرك إلى نور الإيمان، يكون جزاؤُهم القتلَ غدراً؟ هذا قضاء الله تعالى وقدره، لا مفر منه، فله الحمد والشكر، على أن جعل العاقبة للمتقين، والنجاح للصابرين، والسعادة الأبدية لمن ضحّى بحياته في سبيله، وأرضى عباده المخلصين بذلك.

فيريحنا منه؟ فانتدب لذلـك عمرو بن جحـاش بن كعب، فقال سـلام بن مِشكَم اليهـوديّ: لا تفعلوا، والله لَيُخْبَرَنَّ: بمـا هممتم به، وإنـه لنقض للعهد الذي بيننا وبينه، فقال عمرو بن جحاش: أنا لذلك.

فصعد ليلقي عليه صخرة، وكان رسول الله ﷺ في نفرٍ من أصحابه فيهم: أبو بكر، وعمر، وعلي، وأسيد بن حضير، رضوان الله عليهم أجمعين، فأتى رسول الله ﷺ الخبرُ من السماء بما أراد القوم. فقام وقال لأصحابه: «لا تبرحوا حتى آتيكم» وخرج راجعاً إلى المدينة، فبينما اليهود على ذلك إذ جَاءَ جَاءٍ من اليهود إلى المدينة، فلما رأى أصحابه يأتمرون بأمر النبي ﷺ قال لهم: ما تريدون؟ قالوا: نريد أن نقتل محمداً ونأخذ أصحابه، فقال لهم: وأين محمد؟ قالوا هذا محمد قريب، فقال لهم صاحبهم: والله لقد تركت محمداً داخل المدينة، فسُقِط في أيديهم، فلمـا استبطأه أصحـابه قاموا في طلبِه، فقال حُيَي بن أخطب: لقد عُجِل أبو القاسم، كنا نريد أن نقضي حاجته ونَقْرِيه، فلقوا رجلاً مقبلاً من المدينة، فسألوه عنه، فقـال الرجل: رأيته داخلاً المدينة، فأقبل أصحـاب رسول الله ﷺ حتى انتهـوا إليه ﷺ فأخبرهم الخبر بما كانت اليهود أرادت الغدر به، وأمر رسول الله ﷺ بالتهيُّؤ لحربهم، والسيـر إليهم، فبعث إليهم محمد بن مسلمـة: أن اخرجوا من بلدي، فلا تساكنوني بها وقد هممتم بما هممتم به من الغدر، وقد أجَّلتكم عشراً، فمن رُئِيَ منكم بعد ذلك ضُرِبَتْ عنقه.

فلما جاءهم قال: إن رسول الله ﷺ أرسلني برسالة، ولست أذكرها لكم حتى أعرفكم بشيء تعرفونه، قالوا: ما هو؟ أنشدكم بالتوراة التي أنزل الله على موسى، هل تعلمون أني جئتكم قبل أن يبعث محمد وبينكم التوراة فقلتم في مجلسكم هذا: يا ابن مسلمة، إن شئت نغديك غديناك، وإن شئت أن نُهوِّدك هَوَّدناك، فقلت: بل غدوني ولا تهـودونـي، فإني والله لا أتهـوَّد أبداً، فغديتموني في صحيفة لكم ـ والله لكأني أنظر إليها كأنها جزعـة ـ

فقلتم لي: ما يمنعك من ديننا إلا أنه دين يهود، كأنك تريد الحنيفية التي سَمِعْتَ بها.

أما أبو عامر الراهب فليس بصاحبها، أتاكم صاحبها الضحوك القتال، في عينيه حمرة، ويأتي من قِبل اليمن يركب البعير ويلبس الشملة، ويجتزىء بالكسرة، وسيفه على عاتقه، ينطق بالحكمة كأنه وسبختكم هذه، والله ليكونن بقريتكم هذه سلب وقتل ومُثُل. قالوا: اللهم نعلم قد قلنا ذلك وليس به. قال: قد فرغت، إن رسول الله ﷺ أرسلني إليكم يقول لكم: قد نقضتم العهد الذي جعلت لكم بما هممتهم به من الغدر بي - وأخبرهم بما كانوا هَمُّوا به وظهور عمرو بن جِحاش على البيت ليطرح الصخرة، فسكتوا فلم يقولوا حرفاً - ويقول: اخرجوا من بلدي وقد أجْلْتكم عشرا، فمن رُئى بعد ذلك ضربت عنقه. قالوا: يا محمد ما كنا ندري أن يأتي بهذا رسول من الأوس، قال محمد بن مسلمة: تغيرت القلوب، ومحا الإسلام العهد. فمكثوا على ذلك أياماً يتجهزون واكتروا من أناس - من أشجع - إبلا ليحملوا عليها أمتعتهم، فأرسل إليهم رهط من بني عوف بن الخزرج، منهم عبد الله بن أبي ابن سلول ووديعة ومالك بن أبي قَوْقل وسُويد ودَاعس: أن اثبتوا وتمنّعوا فإنا لن نُسلِمكم، إن قاتلتم قاتلنا معكم، وإن خرجتم خرجْنا معكم، وقال ابن أبى: لا تخرجوا من دياركم وأقيموا في حُصونكم فإن معي ألفين من قومي من العرب يدخلون حصونكم، وتُمِدُّكم قُرَيْظة وحلفاؤكم من غَطفان، فلما بلغ كعبَ بن أسدٍ صاحبَ عهدِ بني قريظة قال: لا ينقض العهدَ رجلٌ من بني قُريظة وأنا حيٌّ. وطمع حُيَيٌّ بن أخطب فيما قال ابن أُبيٍّ، فقال له سلام بن مشكم: مَنَّتكَ نفسك والله يا حيَيُّ الباطل، ولو لا أن يسفه رأيك لاعتزلتك بمن أطاعني من يهود، فلا تفعل يا حُييُّ، فوالله إنك لتعلم ونعلم معك إنه لرسول الله وإن صفته عندنا، وإنما لم نتبعه وحسدناه حيث خرجت النبوة من هارون، فتعال فلنقبل ما أعطانا من الأمر ونخرج من بلاده، وقد عرفت أنك خالفتني في الغدر به، فإذا كان

أوان التمر جئنا أو جاء أحدٌ منا إلى تمره فباعه أو صنع ما بدا له ثم انصرف إلينا، فكأنا لم نخرج من بلادنا إذا كانت أموالنا بأيدينا، إنما شرفنا على قومنا بأموالنا وفعالنا، فإذا ذهبت أموالنا من أيدينا كغيرنا، وإن محمداً إن سار إلينا فحاصرنا يوماً واحداً وعرضنا ما أرسل به إلينا لم يقبل وأبى علينا؟ قال حُيَيّ بن أخطب: إن محمداً لا يحصرنا، إن أصاب منا نهزة وإلا انصرف، وقد وعدني ابن أُبَيّ ما قد رأيت.

قال سلام: ليس قول ابن أُبَيّ بشيء، إنما يريد بن أُبيّ أن يورطك في الهلكة حتى تحارب محمداً ثم يجلس في بيته كما فعل بحلفائه قَيُنقاع، فسار إليهم محمد فحصرهم حتى نزلوا على أنفسهم في صياصيهم، وانتظروا نصر ابن أُبَيّ، فجلس في بيته حتى نزلوا على حكمه، فإذا كان ابنُ أُبَيّ لا ينصر حلفاءه ممن ومن كان يمنعه من الناس كلهم، ونحن لم نزل نضرب بسيوفنا مع الأوس في حروبهم كلها إلى أن تقطعت حربهم، وقدم محمد فحجز بينهم، وابنُ أُبَيّ لا هو على دين يهود. ولا هو على دين محمد، ولا هو على دين قومه، فكيف تقبل منه قوله؟ قال حُيَيّ: تأبي نفسي إلاّ عداوة محمد وإلا أن أقاتله. وقال سَلام: فهو والله جلاؤنا من أرضنا، وذهاب أموالنا، وشرفنا، وسبى ذراريتنا مع قتل مقاتلتنا، فأبى حُيَيّ إلا محاربة رسول الله ﷺ: فقال له ساموك بن أبي الحقيق - وكام ساموك ضعيفاً عندهم في عقله كانت به جِنّة -: يا حُيِيّ أنت رجل مشؤوم تهلك بني النضير، فغضب حُيَيّ وقال: كل بني النضير قد كلمني حتى هذا المجنون، فضربه أخوه وقالوا لحُيَيً: أمرُنا لأمرك تبع، لن نُخالفك. فأرسل أخاه جدَيّ بن أخطب إلى رسول الله ﷺ يقول له: إنا لا نبرح من ديارنا وأموالنا، فاصنع ما أنت صانع، وأمره أن يتعجل ما وعد من النصر، فذهب جُدَى بن أخطب إلى رسول الله ﷺ: بالذي أرسله حَييّ، فجاء رسول الله ﷺ وهو جالس بين أصحابه فأخبره فأظهر رسول الله ﷺ التكبيرَ، وكبر المسلمون لتكبيره، وقال: «حاربت اليهود» وخرج جُدَيّ حتى

دخل على ابن أُبيّ وهو جالس في بيته، ومعه نفر من حلفائه، وقد نادى منادي رسول الله ﷺ يأمرهم بالمسير إلى بني النضير، فدخل عبد الله بن عبد الله بن أبي على أبيه وعلى النفر الذين معه، وعنده جُدَيّ بن أخطب، فلبس درعه وأخذ سيفه وخرج يعدو. قال جدى: لما رأيت ابن أُبي جالساً في ناحية البيت وابنه عليه السلاح يئست منه ومن نصره، فخرجت أعدو إلى حُيَيّ، فقال ما وراءك؟ قلت: «حاربت يهود» قال: هذه مكيدة منه، قال: - أي جُدي -: وجئت ابن أُبَيٍّ فأعلمته، ونادى منادى محمد بالمسير إلى بني النضير، فقال: ما ردّ عليك ابنُ أُبى؟ قال جُدَيّ: لم أرَ عنده خيراً، قال: أنا أرسل إلى حلفائي من غطفان فيدخلون معكم.

ثم سار رسول الله ﷺ إلى بني النضير في أصحابه، واستعمل على المدينة ابنَ أُمِّ مكتوم، وأعطى رأيته علَّى بن أبي طالب رضي الله عنه، وذلك في شهر ربيع الأول من السنة الرابعة من الهجرة، وحملت مع رسول الله ﷺ قبةٌ من خشب الغرب عليها مسوح أرسل بها إلى رسول الله ﷺ سعدُ بن عُبادة رضي الله عنه، فصلى رسول الله ﷺ العصر بفناء بني النضير، فلما رأوا رسول الله ﷺ وأصحابه، قاموا على جدار حصونهم معهم النبل والحجارة، واعتزلهم بنو قُرَيظة ، فلم يعينوهم بسلاح ولا برجال، ولم يقربوهم، وكذلك اعتزلهم ابن أُبَيّ ابن سلول، بعد أن أغراهم ولم يَفِ لهم بوعده، فلم يعنهم بألفي مقاتل من قومه ولا بحلفائه. وأيضاً تخلف عنهم حلفاؤُهم من غطفان، وجعلت بنو النضير يرمون ذلك اليوم بالنبل والحجارة. فَتَتَامَّ إلى رسول الله ﷺ أصحابُه، فلما صلىٰ رسول الله ﷺ العشاء رجع إلى بيته في عشرة من أصحابه عليه الدرع وهو على فرسه، واستعمل على العسكر علي بن أبي طالب، وبات المسلمون يحاصرونهم حتى الصبح، ثم أذن بلال بالفجر، فغدا رسول الله ﷺ في أصحابه الذين كانوا معه، فصلى بهم بفناء خطمة، وأمر بلالاً فضرب القُبّة في موضع المسجد الصغير الذي بفناء بني خطمة، فدخل رسول الله ﷺ

القبة. وكان رجل من يهود يقال له: عزوك، وكان أعسر رامِياً، فيرمي فيبلُغ نبلُه قُبَّة النبي ﷺ؛ فأمر بقُبّته فحوِّلت على مسجد الفَضِيخ، فتباعدت من النبل، وأمسوا فلم يقربهم ابن أُبيّ ولا أحد من حلفائه، وجلس في بيته، ويئست بنو النضير من نصره، وجعل سلام بن مشكم وكنانة بن صويرا يقولان لحُيَي: أين نصر ابن أُبَيّ الذي زعمت؟ قال: حيى: ما أصنع؟ هي ملحمة كتبت علينا.

ولزم حصارَهم رسول الله ﷺ؛ فلما كانت ليلة من الليالي فقد علي بن أبي طالب رضي الله عنه قرب العشاء، فقال الناس: يا رسول الله، ما نرى عليّاً، قال: «دعوه فإنه في بعض شأنكم» فعن قليل جار برأس عزوك، وقد كمن له حين يطلب غرة من المسلمين، وكان شجاعاً رامياً، فشد عليه عليٌّ رضي الله عنه فقتله، وفرَّ مع من كان معه، وبعث رسول الله ﷺ مع أبي دجانة، وسهل بن حنيف، عشرةً، فأدركوا اليهود الذين فرُّوا من علي، فقتلوهم وطرحت رؤوسهم في بعض البئار.

وكان سعد بن عبادة الأنصاري، رضي الله عنه يحمل التمر إلى المسلمين، وأمر رسول الله ﷺ بقطع ما فسد من النخيل، وحرق ما يبس منه، إرهاباً لهم، واستعمل على ذلك أبا ليلى المازنيّ، وعبد الله بن سلام، فقطع أبو ليلى بعض العَجْوَة، وكان عبد الله بن سلام يقطع من الملون، فلما رأت بنو النضير النخل يقطع جعل سلام بن مشكم يقول: يا حُيَيّ العذق من العجوة يغرس فلا يطعم ثلاثين سنة، فأرسل حُيَيّ إلى رسول الله ﷺ: كنت تنهي عن الفساد، فلم تقطع النخل؟ ووجد بعض المسلمين في أنفسهم من قولهم، وخشوا أن يكون فساداً، فقال بعضهم: لا تقطعوا، وقال بعضهم: بل نقطعه لنغيظهم بذلك. وأرسل حُيَيّ إلى رسول الله ﷺ: نحن نعطيك الذي سألت ونخرج من بلادك، فقال رسول الله ﷺ «لا أقبله اليوم ولكن

اخرجوا منها ولكم ما حملت الإبل إلا الحلقة»[1] فقال سلام بن مشكم: ننسى الذرية، ونقتل المقاتلة مع الأموال، والأموال أهون علينا. فأبى حُيَيّ أن يقبل يوماً أو يومين فلما رأى ذلك يامين بن عمير وأبو سعيد بن وهب قال أحدهما لصاحبه: والله إنك لتعلم أنه رسول الله ﷺ، فما تنتظر أن نسلم فنأمن على دماءنا وأموالنا، فنزلا من الليل فأسلما وحرزا أموالهما ودماءهما. ثم نزلت يهود على أن لهم ما حملت الإبل إلا الحلْقَةَ. وجعل يامينُ لرجل من قيس عشرة دنانير أو خمسة أو سق من تمر، حتى قتل عمرو بن جحاش غيلة، فسرّ رسول الله ﷺ بقتله.

وكان حصارهم على رواية محمد بن عمرو، وابن سعد، والبلاذري، وأبي معشر، وابن حبان، خمسة عشر يوماً. وولى إخراجهم محمد بن مسلمة الأنصاري رضي الله عنه، فقالوا: لنا ديون على الناس، فقال رسول الله ﷺ: تعجلوا وضعوا، فكان لأبي رافع سلام بن أبي الحقيق على أسيد بن حضير عشرون ومائة دينار إلى سنة، فصالحه على أخذ رأس ماله ثمانين ديناراً وأبطل الفضل، وكانوا في حصارهم يخربون بيوتهم مما يليهم. وكان المسلمون يخربون ما يليهم ويحرقون حتى وقع الصلح.

فلما خرجت بنو النضير حملوا النساء والذرية، وما استقلّت به الإبل من الأمتعة فكان الرجل يهدم بيته عن نجاف[2] بابه، وأظهروا تجلداً عظيماً، فخرجوا على بني الحارث بن الخزرج، ثم على الحبلية ثم على الجسر، ثم حملوا الذرية، والنساء على الهوادج وعليهن الديباج والحرير وقطف الخز الأخضر، والأحمر، وحلى الذهب، والفضة، والمعصفر، ونادى أبو رافع سلام بن أبي الحقيق ورفع مسك حمل وقال: هذا ما نعده

---

(١) الحلقة: الدرع أو السلاح كله.

(١) النجاف العتبة التي بأعلى الباب.

لخفض الأرض ورفعها، فإن تكن النخل قد تركناها فإنا نقدم على نخل بخيبر.

فخرجوا إلى خيبر، ومنهم سار إلى الشام، فكان أشرافهم الذين ساروا إلى خيبر هم: سلام بن أبي الحقيق، وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق، وحُيَيّ بن أخطب، ومعهم النساء والأبناء والأموال، ومعهم الدفوف والمزامير، والقيان يعزفن خلفهم ـ وفيهم أم عمرو صاحبة عروة بن الورد العبسي التي ابتاعوا منه، وكانت إحدى نساء بني غفار، ليلى بنت شعواء ـ بزهاء وفخر ما رئى مثله من حي من الناس في زمانهم، فجعلوا يمرون قطاراً في إثر قطار؛ تحملوا على ستمائة بعير. وحزن المنافقون لخروجهم أشد الحزن. فلما نزلوا خيبر دان لهم أهلها.

وقبض رسول الله ﷺ الأموال والحَلْقة، فوجد خمسين درعاً وخمسين بيضةً، وثلاثمائة وأربعين سيفاً، وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: يا رسول الله ألا تخمس ما أصبت؟ قال رسول الله ﷺ: «لا أجعل شيئاً جعله الله تعالى دون المؤمنين بقوله: ﴿مَا أَفاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ القُرَى﴾[1] (الآية) كهيئة ما وقع فيه السهمان» فكانت بنو النضير من صَفَايَا رسول الله ﷺ، جعلها حبساً لِنَوائبه وكان ينفق على أهله منها، كانت خالصة له، أعطى من أعطى منها وحبس ما حبس، وكان يزرع تحت النخل، وكان يدّخر منها قوت أهله سنة من الشعير والتمر لأزواجه وبني عبد المطلب وما فضل جعله في الكراع والسلاح.

وكان رسول الله ﷺ لما تحول من بني عمرو بن عوف إلى المدينة، تحول المهاجرون، فتنافست فيهم الأنصار إلا بقرعة بينهم، فكان المهاجرون في دور الأنصار، وأموالهم، فلما غنم رسول الله ﷺ بني النضير دعا ثابت ابن قيس بن شمَّاس فقال: «ادعُ لي قومك» قال ثابت: الخزرج

---

(١) سورة الحشر، الآية: ٧.

يا رسول الله؟ قال رسول الله ﷺ: «الأنصار كلها» فدعا الأوس والخزرج، وتكلم رسول الله ﷺ، فحمد الله تعالى وأثنى عليه بما هو أهله، ثم ذكر الأنصار وما صنعوا بالمهاجرين وإنزالهم إياهم في منازلهم وأموالهم وإيثارهم على أنفسهم ثم قال:

«إن أحببتم قسمت بينكم وبين المهاجرين ما أفاء الله تعالى عليَّ من بني النضير، وكان المهاجرون على ما هم عليه من السكنى في مساكنكم وأموالكم، وإن أحببتم أعطيتهم وخرجوا من دوركم» فتكلم سعدُ بن عُبادة، وسعد بن معاذ رضي الله عنهما فقالا: يا رسول الله بل تقسمه بين المهاجرين ويكونون في دورنا كما كانوا. ونادت الأنصار رضي الله عنهم: رضينا وسلمنا يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: «اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار» فقسم رسول الله ﷺ ما أفاء الله تعالى وأعطى المهاجرين، ولم يعط أحداً من الأنصار من ذلك الفيء شيئاً إلا لثلاثة رجال كانوا محتاجين، وهم: سهل بن حنيف وأبا دجانة، والحارث بن الصمّة، وأعطى سعد بن مُعَاذٍ رضي الله عنه سيف ابن أبي الحقيق، وكان سيفاً له عندهم ذكر. ونزلت في حق الأنصار: ﴿وِيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِم وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[1] قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: جزاكم الله يا معشر الأنصار خيراً.

روى صاحب السيرة الشامية عن محمد بن عمر: حدثني ابراهيم بن جعفر عن أبيه قال: لما خرجت بنو النضير أقبل عمرو بن سعدى فأطاف بمنازلهم. فرأى خراباً، ثم رجع إلى بني قريظة فوجدهم في الكنيسة لصلاتهم، قد نفخوا في بوقهم فاجتمعوا، فقال الزَّبير بن باطا: يا أبا سعيد، أين كنت منذ اليوم لم أرك؟ وكان لا يفارق الكنيسة، وكات يتأله في اليهودية، قال: رأيت اليوم عبراً قد عبرنا بها، رأيت دار إخواننا خالية بعد

(١) سورة الحشر، الآية: ٩.

ذلك العز والجلد والشرف والرأي الفاضل والفعل البارع، قد تركوا أموالهم قد نزلها غيرهم، وخرجوا خروج ذل، ولا والتوراة ما سُلِّط هذا على قوم قط ولله بهم حاجة. وقد أوقع قبل ذلك بابن الأشرف بياتاً في بيته آمناً، وأوقع بابن سنينة سيد يهود وأنجدهم وأجلدهم، وأوقع ببني قيْنُقاع وأجلاهم وهم حَدُّ يهود، وكانوا أهل عُدَّة وسلاح ونجدة، فحصرهم فلم يخرج إنسان رأسه حتى سباهم، فكلم فيهم فتركهم على أن أجلاهم من يثرب. يا قوم لقد رأيتم ما رأيتم، فأطيعوني وتعالوا نتبع محمداً، فوالله إنكم لتعلمون أنه نبي، وقد بشرنا به علماؤنا آخرهم ابن الهيبان أبو عمير. وابن جواس، وهما أعلم يهود، جاءا من البيت المقدس يتوكَّفان قدومه، ثم أمرانا باتباعه وأن نقريه منهما السلام، ثم ماتا ودفنا بحرَّتنا هذه. فأمسكت القوم فلا يتكلم منهم متكلم، فأعاد الكلام أو نحوه، وخوفهم بالحرب والسّباء والجلاء، فقال الزِّبير ابن باطا: والتوراة قد قرأت صفته في كتاب التوراة التي نزلت على موسى، ليس في الثاني التي أحدثنا، فقال له كعب بن سعد: ما يمنعك يا أبا عبد الرحمن من اتباعه؟ قال: أنت، قال: ولم، والتوراة ما حلت بينك وبينه قط؟ قال الزبير: بل أنت صاحب عهدنا وعقدنا، فإن اتبعته اتبعناك، وإن أبيتَ أبينا. فأقبل عمرو بن سعدى على كعب فقال: أما والتوراةِ التي نزلت على موسى يوم طور سينا إنه للعز والشرف في الدنيا، وأنه لعلى منهاج موسى وينزل معه وأمته في منزلته غداً في الجنة. قال كعب: نقيم على عهدنا فلا يخفر لنا محمد ذمة وننظر ما يصنع حُيَيّ، فقد أُخرج إخراج ذل وصغار، فلا أراه يقر حتى يغزو محمداً، فإن ظفر بمحمد فهو ما أردْنا أقمنا على ديننا، وإن ظفر بحُيَيّ فما في العيش خير، تحوَّلنا من جواره. قال عمرو بن سعدى: ولم نُؤخر الأمر وهو مقبل؟ قال كعب: ما على هذا فوتٌ، متى أردتُ هذا من محمدا أجابني إليه. قال عمرو: بلى والتوراةِ إن عليه لفوتاً إذا سار إلينا محمد فحبسنا في حصوننا هذه التي قد خدعتنا، فلا نفارق حصوننا حتى ننزل على حكمه

فيضرب أعناقنا. قال كعب بن أسد: ما عندي في أمره إلا ما قلت، ما تطيب نفسي أن أصير تابعاً؟ يقول: هذا الإسرائيلي، ولا يعرف لي فضل النبوة ولا قدر الفعال. قال عمرو بن سعدى: بلى لعمري ليعرفن ذلك لك. فلم يزالوا مصرِّين على ذلك حتى صارت وقعة الخندق، وحصل عليهم ما أنذرهم به عمرو بن سعدى، والزَّبير بن باطا.

ما نزل من القرآن في غزوة بني النضير

ونزل من القرآن في قصة بنيي النضير سورة الحشر بأسرها، يذكر فيها ما أصابهم الله تعالى به من نقمته، وما سلط عليهم به رسوله ﷺ، وما عمل به فيهم، فمنها قوله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذي أخْرَجَ الذينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ مِنْ دِيارِهِمْ لِأَوَّل الحَشْرِ**﴾ فكان هذا أول حشر إلى الشام ﴿**ما ظَنَنْتُمْ أنْ يَخْرجُوا وظَنُّوا أنَّهُم ما نَعِتُهُم حُصونُهم مِنَ الله فأتَاهُم الله مِنْ حيْثُ لَمْ يحْتَسِبُوا وقَذَفَ في قُلُوبِهم الرُّعْبَ يُخْرِبون بُيوتَهم بأيْديهم وأيْدِي المْؤمنين فَاعْتَبِروا يَا أولِي الأَبْصارِ**﴾[1] فليعتبر من بقي من اليهود من قريظة وغيرهم إذا كانت لهم عقول وبصائر فيتركوا الغدر، والفساد، والخيانة التي هي سلاحهم، ويعتبروا بماحصل على بني النضير بسبب غدرهم، ويحافظوا على العهد المعقود بينهم وبين رسول الله ﷺ؛ ﴿**ولَوْلا أَنْ كَتَبَ اللهُ عليهم الجلاءَ لَعَذَّبَهُم في الدُّنيا**﴾ بالسيف ﴿**ولَهُمْ في الآخِرة عَذابُ النارِ**﴾[2] وقوله «مَا قَطَعْتُم مِنْ لِينةٍ أوْ تَرَكْتُموهَا قائمةً على أُصولِها» اختلف المفسرون في اللينة، هل هي أطيب النخل أو رَديئه، أو نوع من أنواعه، أو اسم لجنس النخل «فَبِإذْنِ اللهِ ولِيُخْزِي الفَاسِقينَ * ومَا أَفَاءَ اللهُ

---

(١) سورة الحشر، الآية الثانية.

(٢) سورة الحشر، الآية: ٣.

على رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَما أَوْجَفْتُمْ عليه من خيْلٍ ولا رِكَابٍ﴾ وذلك أن بعض الأنصار طلب من رسول الله ﷺ أن يقسم النخيلَ بينهم، فبين الله تعالى في هذه الآية أن ما أفاء الله على رسوله من غنـائم بني النضير ليس كغنـائم الحروب الأخرى تُوجِفون على تحصيلها الخيل والركائب، وإنما كان من أمر بني النضير التسليم والصلح**﴿وَلَكنّ اللهَ يُسَلِّطُ رُسُلَه على مَن يشاءُ واللهُ على كلِّ شيءٍ قَدِيرٌ﴾**[1] إلى خر سورة الحشر.

فهذا حاصل ما وقع في قصة إجلاء بني النضير، وما وقع منهم من الغدر بإقدامهم على قتل رسول الله ﷺ غدراً حال استنجاده بهم، ونكثوا العهد، ونبذوا العقد، ولم يعتبروا بما وقع على بني قينقاع وغيرهم ممن تسلح بالمكر والغدر، مع أن الله سبحانه وتعالى جعل من سنن الكائنات أن المكر السيء يحيق بأهله، فقال تعالى: **﴿وَلَا يَحِيقُ المَكْرُ السَّيءُ إلا بِأَهْلِهِ﴾**[2] ثم لم يخضعوا لنصيحة الناصحين منهم ولا لإرشاد المرشدين منهم، بل اعتمـدوا على ارتكـاب أفـظع مـا يكــون من المصـائب على الإســلام والمسلمين، وهو قتل نبي الإسلام، فأرادو أن يوجهوا سهمهم إلى روح الإسلام، ولم يفهموا مما وقع بأُحد على رسول الله ﷺ، حينما تكـالب المشركون عليه، وضربوه سبعين سيفاً، ورموه بالنبال والسهام والحجارة، فحفظه الله تعالى من كل ذلك، حتى يؤدي رسالة ربه، ولو فهموا أنهم لا يستطيعون وصول الأذى إليه ـ ما دام أن الله حافظه وناصره ـ لَعَدَلُوا عنه، ولكن مَنْ يُضلِلِ اللهُ فلا هادِيَ له، ومن كان الحسد يتوقَّد في فؤاده فلا يمكن معالجته. ولو حصل هذا الغدر منهم على ملك من الملوك لحصدهم بالسيف، ولكن النبي ﷺ كان يحب أن يستعمل أخف العقاب في الأمور،

---

(١) سورة الحشر، الآيتان: ٥، ٦.

(٢) سورة فاطر، الآية: ٤٣.

ليكون ذلك عظة للناس، وطمعاً في هدايتهم، وأما إذا أيس من صلاحهم، وعلم أن في بقائهم البلاء والشر على دين الله تعالى، أجرى فيهم حكم الله تعالى على الغادرين والمفسدين بالقتل، وأراح أمته من شرهم، وهذه سنة الله تعالى في عباده وأرضه.

غزوة ذات الرقاع[1]

هذه الغزوة وقع في تاريخها خلاف كبير بين أصحاب السير، والتاريخ والحديث. قال ابن إسحاق: وقعت بعد بني النضير في جمادي، وقال ابن سعد وابن حيان: في المحرم سنة خمس من الهجرة، وقال أبو معشر: إن غزوة ذات الرقاع في سنة خمس، وجنح البخاري إلى أنها بعد خيبر، ونحن اعتمدنا على شيخ أهل السير والمغازي ابن اسحاق كي يراها القارىء في الموضع الذي وضعها أهل السير فيه، حيث إننا لو تابعنا أهل الحديث وأخرنا وضعها بعد خيبر يظن القارىء أننا أغفلناها. قال ابن إسحاق:

ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة بعد غزوة بني النضير شهرَ ربيع الآخر وبعض جُمادى، ثم غزا نجداً يريد بني مُحارب، وبني ثَعلبة من غطفان، واستعمل على المدينة أبا ذَرّ الغِفاري، أو عثمان بن عفان، وسميت ذات الرِّقاع لأن الأرض التي وصلوا إليها فيها بُقَع سُود وبُقَع بِيض كأنها مرقَّعَة[2] وهي على بعد يومين من المدينة - شرقاً - وذلك أنه بلغه ﷺ: أن بني محارب وبني ثعلبة من غطفان جمعوا الجموع لحربه، فخرج رسول الله

---

(١) انظر سيرة ابن هشام جـ ٣ ص ٢١٣ والمواهب اللدنية جـ ٢ ص ٨٦.

(١) في سيرة ابن هشام وإنما قيل لها غزوة ذات الرقاع لأنهم رقعوا فيها راياتهم ويقال ذات الرقاع شجرة بذلك الموضع.

ﷺ في أربعمائة من أصحابه، حتى نزل نخْلاً (موضع من نجد من أرض غطفان) فلقي جمعاً منهم، فتقارب الناس ولم يكن بينهم حرب، وقد أخاف الناس بعضهم بعضاً حتى صلَى رسول الله ﷺ بهم صلاة الخوف، ثم انصرف الناس، وقفل رسول الله ﷺ راجعاً، فأدركتهم القائلة في واد كثير العِضاهِ، فنزل رسول الله ﷺ، وتفرق الناس في العِضاه يستظلّون بالشجر، ونزل رسول الله ﷺ تحت سَمُرة، فعلق سيفه، فجاء غَوْرَث بن الحارث إلى النبي ﷺ، فاخترط السيف من الشجرة، فاستيقظ النبي ﷺ فوجده قائماً على رأسه والسيفُ مُصْلَت في يده، فقال له غورث: مَن يَمنعَك مني؟ قال: الله. فوقع السيف من يده ولم يعاقبه رسول الله ﷺ استئلافاً له: ليعلم أن الإسلام دأبه اللطف والرفق والصفح عن الجاهل، فقال رسول الله ﷺ: تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، قال غورَث: لا، بل أعاهدك أني لا أقاتلك، ولا أكون مع قوم يقاتلونك، فخلى سبيله، فجاء إلى قومه فقال: جئتكم من خير الناس، وكان أصاب رجلٌ امرأة من المشركين، فلما انصرف رسول الله ﷺ قافلاً أتى زوجها فأخبر، فحلف لا ينتهي حتى يهريق في أصحاب محمد ﷺ دماً، فخرج يتبع النبي ﷺ فنزل رسول الله ﷺ منزلاً فقال: «مَنْ رَجُلٌ يَكْلَؤُنا ليلتَنا؟» فانتدب عمار بن ياسر من المهاجرين وعباد بن بشر من الأنصار فقالا: نحن يا رسول الله، قال: «فكونا بفم الشِّعب» وكان رسول الله ﷺ قد نزل إلى الشعب من الوادي، فلما خرج الرجلان إلى فم الشعب قال عباد لعمار: أي الليل تحب أن أكفيكه، أوله أم آخره؟ قال: أكفني أوله، فاضطجع عمار، وقام عبّاد يصلي، فأتى الرجل، فلما رأى شخص الرجل عرف أنه ربيئة القوم - حارسهم - فرماه بسهم فوضعه فيه، فنزعه عباد من جسمه ووضعه في الأرض وثبت قائماً. ثم رماه بسهم آخر فوضعه فيه، فنزعه ووضعه وثبت قائماً. فعاد له بالثالث فوضعه فيه، فنزعه فوضعه ثم ركع وسجد ثم أهبَّ عماراً فقال له: اجلس فقد أُثبِتُّ - أصبت - فوثب عمار فلما رآهما الرجل

عرف أنه قد نَذِرَا[1] به فهرب.

ولما رأى عمار ما بعباد من الدماء قال: سبحان الله، أفلا أهْبَبْتَني - أيقظتني - أول ما رماك؟ قال: كنت في سورة أقرؤها فلم أحب أن أقطعها حتى أُنفِذها، فلما تابع علَّي الرمْيَ ركعتُ فأذِنْتك - أيقظتك - وايم الله لولا أن أضيع ثغراً أمرني رسول الله ﷺ بحفظه لقطع نفسي قبل أن أقطعها.

ثم عاد رسول الله ﷺ بعد أن غاب عن المدينة خمس عشرة ليلة.

فحاصل هذه الغزوة أنه لم يحصل فيها إلا مسألة غورث بن الحارث الذي أراد اغتيال النبي ﷺ. فلما شعر به وتمكن من عقابه عفا عنه كعادته في جلب القلوب إلى الإسلام، ومسألة عباد بن بشر الأنصاري الذي تحمَّل ثلاثَ رمياتٍ بالسهم ولم يقطع صلاته، ولولا خشيته ضياع الثغر الذي كلف حراسته لبقي في صلاته إلى أن يقتل، وقد حفظه الله تعالى إلى وقعة اليمامة فاستشهد بها، وكان ذا منزلة عظيمة عند رسول الله ﷺ، فعمله هذا مثال من أمثلة قوة الإيمان.

---

(١) نذرا به: علما به.

غزوة بدر الأخيرة[1]

تسمى هذه الغزوة أيضاً غزوة بدر الموعد.

وسببها أن أبا سفيان لما قفل من أحد نادى: يا محمد الموعد بيننا وبينكم بدر العام القابل. فقال رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب: «قل نعم هو بيننا وبينكم موعد». فافترق الناس على ذلك، ورجعت قريش كما تقدم، وكانت بدر مجمعاً للعرب وسُوقاً يقوم، فلما دنا الموعد كره أبو سفيان الخروج، وأحب أن لا يوافي رسول الله ﷺ الموعد، وكان أبو سفيان يُظْهر أنه يريد يجمع الجموع ويسير في العرب، فتأهب المسلمون له، وقدم نُعيم بن مسعود الأشجعي مكة، وكان مشركاً ـ فأسلم بعد ذلك ـ فأخبر أبا سفيان وقريشاً بتهيُّؤ المسلمين لحربهم، وكان عام جدْب، فأعلمه أبو سفيان بأنه كاره للخروج إلى لقاء المسلمين، واعتل بجدْب الأرض، وجعل لنُعيم عشرين فريضةً توضع تحت يد سُهيل بن عمرو على أن يُخذِّل المسلمين عن المسير لموعده، وحمله على بعير، فقدم المدينة، وأرجف بكثرة جموع أبي سفيان، حتى أرعب المسلمين وهو يطوف فيهم، حتى قذف الرعب في قلوب المسلمين، ولم تبق لهم نيَّة في الخروج. واستبشر المنافقون واليهود وقالوا: إنّ محمداً لا يغلب هذا الجمع، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ حتى خشي أن لا يخرج معه أحد. وجاءه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما وقد سمعا ما سمعا وقالا: يا رسول الله، إن الله مظهر دينه، ومُعزٌّ نبيه، وقد وعدنا القوم موعداً لا نحب أن نتخلف عنه فيرون أن هذا جبن، فسِرْ لوعدهم، فوالله إن في ذلك لخيرة، فسرّ رسول الله ﷺ بذلك ثم قال: «والذي نفسي بيده لأخرجنّ وإن لم يخرج معي أحد» فنصر الله

---

(١) سيرة ابن هشام ٣/٢٢٠ «بدر الآخرة» والمواهب اللدنية ٢/٩٣ «بدر الأخيرة وهي الصغرى».

تعالى المسلمين وأذهب عنهم ما كان الشيطان رعبهم به.

فخرج رسول الله ﷺ في شعبان سنة أربع من الهجرة، ومعه ألف وخمسمائة من أصحابه، وعشرة أفراس، واستخلف على المدينة عبد الله بن رواحة الأنصاري الخزرجي، وقال ابن هشام: استعمل عبد الله بن عبد الله بن أُبَيّ ابن سلول الأنصاري الخزرجي. وحمل اللواء علي بن أبي طالب رضي الله عنه. والخيل التي كانت هي فرس لرسول الله ﷺ، وفرس لعمر بن الخطاب، وفرس لأبي قتادة، وفرس لسعيد بن زيد، وفرس للمقداد بن الأسود. وفرس للحباب بن المنذر، وفرس للزبير بن العوام، وفرس لعباد بن بشر. وجاء المسلمون بتجارات لهم إلى بدر، فربحت ربحاً كثيراً، قال عثمان بن عفان رضي الله عنه: ربحت للدينار ديناراً، وأقام رسول الله ﷺ على بدر ينتظر أبا سفيان لميعاده، فأتاه مَخشيّ بن عمرو الضَّمْرِيّ، وهو الذي كان وَادَعَه على بني ضَمْرة في غزوة وَدّان وأصاب رسول الله ﷺ أكثر أهل الموسم. فقال: يا محمد، أجئت للقاء قريش على هذا الماء؟ قال: نعم يا أخا بني ضمرة، وإن شئت مع ذلك رددنا إليك ما كان بيننا وبينك ثم جالدناك حتى يحكم الله بيننا وبينك» قال: لا والله يا محمد، ما لنا بذلك منك من حاجة، بل نكفّ أيدينا ونتمسك بحلفك.

وقال أبو سفيان لقريش: قد بعثنا نعيم بن مسعود لأن يخذل أصحاب محمد عن الخروج، وهو جاهد، ولكن نخرج نحن فنسير ليلة أو ليلتين ثم نرجع، فإن كان محمد لم يخرج بلغه أنا خرجنا فرجعنا لأنه لم يخرج، فيكون هذا لنا عليه، وإن كان خرج أظهرنا أن هذا عام جدب ولم يصلحنا إلا عام خصب. قالوا: نعم ما رأيت، فخرج في قريش وهم ألفان، ومعهم خمسون فرساً، حتى انتهوا إلى مَجَنَّة من ناحية مَرِّ الظَّهران، ثم قال: ارجعوا لا يصلحنا إلا عام خصب غَيْداق، نرعى فيه الشجر، ونشرب اللبن فيه، وإن عامكم هذا عام جَدْب، وإني راجع فارجعوا. فسمى أهل مكة

ذلك الجيش جيشَ السَّويق، ويقولون: خرجوا يشربون السويق.

وانطلق مَعبد بن أبي معبد الخُزَاعِي سريعاً بعد انقضاء الموسم إلى مكة، فأخبره بكثرة المسلمين، وأنهم ألفان، وأخبر بما قال رسول الله ﷺ للضمْرِيّ. فقال صفوان بن أمية لأبي سفيان: قد والله نهيتك يومئذ أن تَعِدَ القوم، وقد اجترؤوا علينا ورأونا قد أخلفناهم، وإنما أخلفنا الضعف.

وأخذوا في الكيد والنفقة في قتال رسول الله ﷺ، واستجلبوا من حولهم العرب، وجمعوا الأموال، وضربوا البعث على أهل مكة، فلم يترك أحداً منهم إلا أن يأتي بمال، ولم يقبل من أحد منهم أقل من أوقية لغزوة الخندق.

ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى المدينة، ولم يلق كيداً، وقال كعب بن مالك الأنصاري رضي الله عنه:

وعَدْنا أبا سفيانَ بدْراً فلم نَجِدْ ... لِميعادِهِ صِدْقاً وما كَانَ وافِيَا

فأُقسِم لو وَافَيْتَنَا فَلَقيتَنَا ... لأبْتَ ذِميماً وافتقَدْتَ المَواليَا

تَرَكْنا به أوْصَالَ عُتْبَةَ وَابْنِهِ ... وعَمْراً أبا جهلٍ تركْناه ثاويَا

عَصيْتُمْ رَسُولَ الله أُفٍّ لدينكُمْ ... وأَمْرِكُمْ السَّيءِ الذي كان غاويَا

فإني وإن عنّفتموني لقائلٌ ... فِدًى لرسول الله أهلي وَمَالِيَا

أطعناه لم نَعْدِلْهُ فيناَ بِغيرِه ... شِهاباً لنافي ظُلمةِ الليلِ هَادِياَ

غزوة دومة الجندل[1]

دومة الجندل مدينة بشمال المدينة تبعد عنها خمس عشرة ليلة، وتقرب من دمشق الشام خمس ليال، وذلك مما يبلغ نحو أربعمائة ميل من المدينة. وسبب ذلك أنه بلغ رسول الله ﷺ أن بها جمعاً كثيراً يظلمون من مَرَّ بهم، ويريدون الدُّنُوَّ من المدينة، وكان بها سوقٌ عظيم وتجارة، فندب رسول الله ﷺ للخروج إليهم، فخرج رسول الله ﷺ في خمس وعشرين من شهر ربيع الأول، سنة خمس من الهجرة، في ألفين من المسلمين، واستعمل على المدينة: سِبَاع بن عُرفطة الغِفاري، وكان يسير الليل ويكمن النهار، وكان معه مذكور العذري من بني غِفار دليلاً، فلما دنا من دومة الجندل قال له الدليل: يا رسول الله، سوائمهم[2] ترعى عندك، فأقم حتى أطلع لك، فأقام، وخرج الدليل طليعةً حتى وجد آثار النعم والشاه، فرجع فأخبر النبي ﷺ، فسار حتى هجم على ماشيتهم فأصاب منها، وفرّ باقيهم فتفرق أهل دومة الجندل، ونزل رسول الله ﷺ بساحتهم فلم يجد بها أحداً، فأقام أياماً، وبثَّ السرايا فعادت كلُّ سَرِيَّة بإبل ولم تلق أحداً، إلا أن محمد بن مسلمة أخذ رجلاً منهم فأتى به النبي ﷺ فسأله عن أصحابه فقال: هربوا أمس لما سمعوا أنك أخذت نعمهم. فعرض عليه الإسلام فأسلم.

ورجع رسول الله ﷺ إلى المدينة في العشرين من ربيع الآخر ووادع ﷺ عيينة بن حِصن الفزارى إذ يرعى بتغلمين وما والاها من المراض، وهو موضع من بلاد بني فرازة، في واد يبعد عن المدينة شمالاً نحو ستة وثلاثين ميلاً، وكانت بلاده قد أجدبت.

---

(١) انظر سيرة ابن هشام ٣/٢٢٤ والمواهب اللدنية ٢/٩٤.

(٢) السوائم: المواشي من الإبل والغنم.

نتخذ في بيوتنا هذه الكُنُف التي تتخذها الأعاجم، نعافها ونكرهها، إنما كنا نـذهب في فُسح المـدينـة، وإنمـا كـانت النسـاء يخـرجن كـل ليلة في حوائجهن، فخرجت ليلة لبعض حاجتي ومعي أم مِسْطح بنت أبي رُهْم بن المطلب بن عبد مناف، وكانت أمها بنت صَخْر بن عامر التيمي خالة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، قالت: والله إنهـا لتمشي معي إذ عثرت في مِرْطها فقالت: تعس مِسطَح ـ ومسـطح لقبٌ واسمه عـوف ـ قلت: بئس لعمر الله ما قلت لرجل من المهاجرين قد شهد بدراً، قالت: أو ما بلغك الخبر يا بنت أبي بكر؟ قالت: قلت: وما الخبر؟ فأخبرتني بالذي كان من قول أهل الإفك، قلت: أو كان هذا؟ قالت: نعم والله لقد كان، قالت: فوالله ما قدرت على أن أقضي حاجتي ورجعت، فوالله ما زلت أبكي حتى ظننت أن البكاء سيصدع كبدي، وقلت لأمي: يغفر الله لك، تحدث الناس بما تحدثوا به ولا تذكرين لي من ذلك شيئاً، قالت: أي بنية خفضي عليك الشأن، فوالله لقلما كانت امرأة حسناء عند رجل يحبها لها ضرائر إلا كـثّرن وكثّـر الناس عليها. قالت: وقد قام رسول الله ﷺ في الناس يخطبهم ولا أعلم بذلك، فحمد الله وأثنى عليه ثم قـال: «أيها النـاس ما بـال رجال يؤذونني في أهلي ويقولون عليهم غير الحق؟ والله ما علمت منهم إلا خيراً، ويقولون ذلك لرجل، والله ما علمت منه إلا خيراً، وما يدخـل بيتـاً من بيوتي إلا وهو معي» قالت: وكان كُبْـر ذلك عبد الله بن أُبيّ بن سلول في رجال من الخزرج مع الذي قال مسطح وحَمْنة بنت جحش، وذلك أن اختها زينب بنت جحش كـانت عند رسـول الله ﷺ ولم تكن من نسائـه امـرأة تناصيني في المنزلة عنده غيرها، فأما زينب فعصمها الله تعالى بدينها فلم تقل إلا خيراً. وأما حمنة بنت جحش فأشاعت من ذلك ما أشاعت تُضَادّني لأختها فشقيت بذلك.

فلمـا قال رسـول الله ﷺ تلك المقالـة، قال أسيـد بن حضير: يـا رسول الله إن يكونوا من الأوس نكفكهم، وإن يكونوا من إخواننا من الخزرج

فمرْ بأمرك، فوالله إنهم لأهل أن تضربِ أعناقهم، فقام سعد بن عبادة ـ وكان قبل ذلك يرى رجلاً صالحاً ـ فقال: كذبت لعمر الله لا تضرب أعناقهم، أما والله ما قلت هذه المقالة إلا لأنك قد عرفت أنهم من الخزرج، ولو كانوا من قومك ما قلت هذا. فقال أسيد: كذبت لعمر الله، ولكنك منافق تجادل عن المنافين، قالت: وتساور الناس حتى كاد يكون بين الحيين ـ الأوس والخرزج ـ شر، ونزل رسول الله ﷺ فدخل عَلَيَّ عَليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه وأسامة بن زيد فاستشارهما.

فأما أسامة فأثنى عَلَيَّ خيراً وقاله، ثم قال: يا رسول الله. أهلك، ولا نعلم إلا خيراً، وهذا الكذب والباطل، وأما عَلِيٌّ فإنه قال: يا رسول الله، إن النساء لكثير، وإنك لقادر على أن تستخلف، وسَلِ الجارية فإنها ستصدقك، فدعا رسول الله ﷺ بُريرة ليسألها، قالت: فقام إليها عليٌّ بن أبي طالب فضربها ضرباً شديداً ويقول: أصدقي رسول الله ﷺ: قالت: فتقول: والله ما أعلم إلا خيراً وما كنت أعيب على عائشة شيئاً إلا أني كنت أعجن عجيني فآمرها أن تحفظه فتنام عنه فتأتي الشاة فتأكله، قالت: ثم دخل عليَّ رسول الله ﷺ: وعندي أبواي، وعندي امرأة من الأنصار، وأنا أبكي وهي تبكي معي، فجلس فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال: يا عائشة، إنه قد كان ما قد بلغك من قول الناس، فاتقي الله، فإن كنت قارفت سوءاً مما يقول الناس فتوبى إلى الله، فإن الله يقبل التوبة عن عباده» قالت: فوالله ما هو إلا أن قال لي ذلك فقلص دمعي حتى ما أحس منه شيئاً، وانتظرت أبويَّ أن يجيبا عني رسول الله ﷺ: فلم يتكلما، قالت: وايم الله لأنا كنت أحقر في نفسي وأصغر شأنا من أن ينزل الله في قرآنا يقرأ به في المساجد، ويصلى به، ولكني قد كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في نومه شيئاً يكذب به الله عني لما يعلم من برائتي أو يخبر خبراً، فأما قرآن ينزل فيَّ فوالله لنفسي كانت أحقر عندي من ذلك، قالت: فلما لم أر أبويَّ يتكلمان قلت لهما:

حديث الأفك[1]

إن أشد الناس بلاء أعظمهم عند الله فضلاً، وأعظم مصائب الإسلام ونبي الإسلام، والأمة الإسلامية مصيبة قذف أم المؤمنين بـالإفك، وهي حبيبة سيد المرسلين ﷺ، عائشة الصديقة رضي الله عنها وأرضاها.

قالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه، **فأيّتهن خرج سهمها خرج بها معه، فلما كانت غزوة بني المصطلق أقرع بين نسائه كما كان يصنع، فخرج سهمي عليهن معه، فخرج بي** رسول الله ﷺ، قالت: وكان النساء إذ ذاك إنما يأكلن العلق لم يهجهن اللحم فيثقلن، وكنت إذا رحل لي بعيري جلست في هودجي ثم يأتي القوم الذين يرحلون لي ويحملونني فيأخذون بأسفل الهودج، فيرفعونه فيضعونه على ظهر البعير، فيشدونه بحباله، ثم يأخذون برأس البعير فينطلقون به، وقالت: فلما فرغ رسول الله ﷺ من سفره ذلك توجه قافلاً، حتى إذا كان قـريباً من المـدينة نـزل منزلاً فبـات به بعض الليـل، ثم أذن في الناس بالرحيل، فارتحل الناس وخرجت لبعض حاجتي وفي عنقي عقد لي فيه جِـزْعُ ظَفار، فلمـا فرغت انسـلّ من عنقي ولا أدري، فلما رجعت إلى الرحـل ذهبـت ألتمسه في عنقي فلم أجده، وقد أخذ الناس في الرحيل، فرجعت إلى مكاني الذي ذهبت إليه فالتمسته حتى وجدته، وجـاء القوم خلافي الذين كانوا يرحلون لي البعير، وقـد فرغـوا من رحلته، فـأخذوا

---

(١) سيرة ابن هشام ٣/٣٠٩ والمواهب اللدنية ٢/٩٩.

الهـودج، وهم يظنـون أني فيه كمـا كنت أصنع، فـاحتملوه فشدوه على البعير، ولـم يشكوا أني فيه، ثم أخذوا برأس البعير فانطلقوا به، فرجعت إلى العسكر وما فيه داعٍ ولا مجيب، قد انطلق الناس، قالت: فتلففت بجلبابي ثم اضطجعت في مكاني، وعرفت أن لو قد افتقدت لرجع إليّ، قالت: فوالله إني لمضطجعة إذ مـر بي صفوان من المعطل السُّلَمي، وقد كـان تخلف عن العسكر لبعض حـاجاتـه، فلم يبت مع النـاس، فـرأى سوادي، فأقبل حتى وقف عليَّ، وقد كـان يراني قبـل أن يضرب علينـا الحجاب، فلما رآني قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، ظعينة رسول الله ﷺ، وأنا متلففة في ثيابي، قال: ما خلَّفك يرحمك الله؟ قالت: فما كلمته، ثم قرب البعير فقال: اركبي، واستأخر عني، قالت: فـركبت، وأخذ بـرأس البعير فانطلق سريعاً يطلب الناس، فوالله ما أدركنا الناس وما افْتُقِدت حتى أصبحت ونزل الناس، فلما اطمأنوا طلع الرجل يقود بي، فقال أهل الإفك ما قالوا فارتجَّ العسكر[1]، ووالله ما أعلم بشيء من ذلك، ثم قدمنا المدينة، فلم ألبث أن اشتكيت ـ مرضت ـ شكوى شـديدة، ولا يبلغني من ذلـك شيء، وقد انتهى الحديث إلى رسول الله ﷺ وإلى أبويّ لا يذكرون لي منـه قليلاً ولا كثيراً، إلا أني قد أنكرت من رسول الله ﷺ بعض لطفه بي، كنت إذا اشتكيت رحمني ولطف بي، فلم يفعل ذلك بي في شكواي تلك، فأنكرت منه، كان إذا دخل عليّ وعندي أمي تمرضني قال: «كيف تيكم؟» لا يزيد على ذلك، قالت حتى وجدت في نفسي، فقلت ـ حين رأيت ما رأيت من جفـائـه لي ـ: يـا رسـول الله لـو أذنت لي فـانتقلت إلى أمي فمرضتني، قال: «لا عليك» قالت: فانتقلت إلى أمي ولا علم لي بشيء مما كان حتى نَقِهْت من وجعي بعد بضع وعشرين ليلة، وكنا قوماً عرباً، لا

---

(١) في الطبعة الثانية لسيرة ابن هشام «فارتعج العسكر» ومعنى ارتعج اضطرب مثل ارتج أيضاً.

رسول الله ﷺ خبر ما قال من السماء، فقال رسول الله ﷺ والمنافق يسمع: «إن رجلاً من المنافقين شمت أن ضلّت ناقة رسول الله ﷺ وقال: ألا يخبره الله بمكانها، فلعمري إن محمدا يخبرنا بأعظم من شأن الناقة. ولا يعلم الغيب إلا الله تعالى، وإن الله تعالى قد أخبرني بمكانها وإنها في الشعب مقابلكم قد تعلق زمامها بشجرة فاعمدوا نحوها» فذهبوا فأتوا بها من حيث قال رسول الله ﷺ. فلما نظر المنافق إليها سقط في يده، فقام سريعاً إلى رفقائه الذيم كانوا معه، فإذا رحله منبوذ، وإذا هم جلوس لم يقم رجل منهم من مجلسه.

فقالوا له حين دنا: لا تَدْنُ منا، فقال: أكلمكم؟ فدنا فقال: أنشدكم الله، هل أتى محمداً أحد منكم فأخبره بالذي قلت؟ قالوا: لا والله ولا قمنا من مجلسنا، قال: فإني قد وجدت عند القوم ما تكلمت به وتكلم به رسول الله ﷺ، فأخبرهم عما قال رسول الله ﷺ وأنه قد أتى بناقته، وإني كنت في شك من شأن محمد، فأشهد أن محمداً رسول الله، لكأني ما أسلم إلا اليوم. قالوا له: فاذهب إلى رسول الله ﷺ ليستغفر لك. فذهب إلى رسول الله ﷺ فاستغفر له واعترف بذنبه.

ولما انتهى رسول الله ﷺ إلى وادي العقيق تقدم عبد الله ابن عبد الله بن أُبيّ بن سلول فجعل يتصفح الركاب، حتى مرَّ أبوه، فأناخ به ثمّ وطىء على يد راحلته، فقال أبوه: ما تريد يا لُكَع؟ قال: والله لا تدخل حتى يأذن لك رسول الله ﷺ ، وتعلم أيهما الأعز من الأذل، أنت أو رسول الله ﷺ ، فمن مر به من المسلمين يرفد عبد الله بن عبد الله بن أبيّ، ويمر غير ذلك فيقول: تصنع هذا بأبيك!! حتى مر رسول الله ﷺ به فسأله عنه؟ فقيل: عبد الله بن عبد الله بن أُبيّ يأبى أن يأذن لأبيه حتى تأذن له، فمر رسول الله ﷺ وعبد الله واطىء على يد راحلة أبيه، وابن أُبيّ يقول: لأنا أذلّ من الصبيان، لأنا أذلّ من النساء، فقال رسول الله ﷺ «خل عن

أبيك» فخلى عنه.

ثم أقبل الحارث بن أبي ضرار - أبو مالك الخزاعي - في فداء ابنته جُويرية بنت الحارث. فلما كان بالعقيق نظر إلى إبله التي يفدى بها ابنته، فرغب في بعيرين منها - كانا من أفضلها - فغيبهما في شِعب من شعاب العقيق، ثم أقبل إلى رسول الله ﷺ بسائر الإبل، فقال: يا محمد، اصبتم ابنتي، وهذا فداؤها، فقال رسول الله ﷺ: «فأين البعيران اللذان غيَّبت بالعقيق بشعب كذا وكذا؟» فقال الحارث: أشهد أنك رسول الله، ولقد كان مني في البعيرين، وما اطلع على ذلك إلا الله تعالى. فأسلم.

على ماء بالحجاز فُوَيق النَّقيع يقال له (بقعاء) فلما راح رسول الله ﷺ هبَّت على الناس ريح شديدة آذتهم وتخوَّفوها، فقال رسول الله ﷺ: «لا تخافوها فإنما هبت لموت عظيم من عظماء الكفار». فلما قدموا المدينة وجدوا رِفاعة بنْ زيد بن التابوت أحد بني قينقاع مات، وكان عظيماً من عظماء يهود، وكهفاً للمنافقين، في ذلك اليوم، ونزلت السورة التي ذكر الله تعالى فيها المنافقين في عبد الله بن أُبيّ بن سلول ومن كان على شاكلته، فلما نزلت أخذ رسول الله ﷺ بأذُنِ زيد بن أرقم ثم قال: هذا الذي أوفىٰ لله بأذنه» وبلغ عبد الله السعيد بن عبد الله الشقي بن أُبيّ بن سلول الذي كان من أمر أبيه، فأتى عبدُ الله رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إنه بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أُبىّ فيما بلغك عنه، فإن كنت لا بد فاعلاً فمرني به فأنا أحمل إليك رأسه، فوالله لقد علمت الخزرج ما كان لها من رجل أبر بوالده مني، وأني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله، فلا تدعني نفسي أنظر إلى قاتل عبد الله بن أُبىّ يمشي في الناس فأقتله، فأقتل مؤمناً بكافر فأدخل النار. فقال رسول الله ﷺ: «بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا»، وجعل بعد ذلك إذا أحدث الحدث كان قومه هم الذين يعاقبونه ويعنفونه. فقال رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب حين بلغه ذلك من شأنهم: «كيف ترى يا عمر؟ أما والله لو قتلته يوم قلت لي أقتله الأرْعِدت له أُنفٌ لو أمرتها اليوم بقتله لقتلته؟» قال عمر: قد والله علمت لأمرُ رسول الله ﷺ أعظم بركة من أمري.

فلما علمت خزاعة ما عامل به رسول الله ﷺ وسلم السبى الذي أصابه منهم الرفق والشفقة والرحمة، وأنهم أصبحوا أصهار رسول الله ﷺ وكثير من أصحابه. أسلموا، فبعث إليهم رسول الله بعد إسلامهم، الوليد بن عقبة ابن أبي مُعيط القرشي الأموي أخو عثمان بن عفان لأمه، فلما سمعوا به ركبوا إليه، فلما سمع بهم هابهم، فرجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره أن القوم قد هَمُّوا بقتله ومنعوه ما قبلهم من صدقتهم، فأكثر

المسلمون في ذكر غزوهم حتى همّ النبي ﷺ بأن يغزوهم، فبيناهم على ذلك، قدم وفدُهم على رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله، سمعنا برسولك حين بعثته إلينا فخرجنا إليه لنكرمه ونؤدي إليه ما قَبلنا من الصدقة، فانْشَمَرَ راجعاً، فبلغنا أنه زعم لرسول الله ﷺ أنا خرجنا إليه لنقتله. ووالله ما جئنا لذلك. فأنزل الله تعالى فيه وفيهم:

«يَا أَيُّها الذِينَ آمَنُوا إنْ جَاءَكم فاسِقٌ بنبإٍ فتبيَّنُوا أَن تُصِيبوا قَوْماً بِجَهالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمين * واعلموا أنَّ فيكُم رَسُولَ اللَّهِ لو يطيعكم في كَثيرٍ من الأمْرِ لَعَنِتّم»[1] الآية.

وفُقدت ناقة رسول الله ﷺ «القصواء» من بين الإبل، فجعل المسلمون يطلبونها في كل وجه، فقال زيد بن اللصيت وكان منافقاً وهو في جماعة من الأنصار، منهم عباد بن بشر بن وقش، ومسلمة بن سلام بن وقش، وأسيد بن حضير، فقال زيد: أين يذهب هؤلاء في كل وجه؟ قالوا: يطلبون ناقة رسول الله قد ضلت، قال: أفلا يخبره الله بمكانها؟ فأنكر عليه القوم، فقالوا: قاتلك الله يا عدو الله نافقت، ثم أقبل عليه أسيد بن حضير فقال: والله لولا أني لا أدري ما يوافق رسول الله ﷺ من ذلك لأنفذت حضنيك بالرمح يا عدو الله، فلم خرجت معنا وهذا في نفسك؟

قال: خرجت لأطلب من عرض الدنيا، ولعمري إنّ محمداً ليخبرنا بأعظم من شأن الناقة، يخبرنا عن أمر السماء، ووقعوا به جميعاً وقالوا: والله لا يكون منك سبيل أبداً، ولا يظلنا وإياك ظل أبداً، ولو علمنا ما في نفسك ما صحبتنا، فوثب هارباً منهم أن يقعوا به، ونبذوا متاعه، فعمد لرسول الله ﷺ فجلس معه. فراراً من أصحابه. متعوذاً به، وقد جاء

(١) سورة الحجرات، الآية: ٦.

ظالماً فلينهه فإنه نصر، وإن كان مظلوماً فينصره» ثم إن جماعة من المهاجرين كلموا عبادة بن الصامت، وجماعة من الأنصار، فكلموا سنانا فترك حقه، وكان عبد الله بن أبيّ بن سلول جالساً في رهط من المنافقين، منهم: مالك، وسويد، وداعس وأوس بن قيظي، ومعتب بن قُشير، وزيد بن اللصيت، وعبد الله بن نبتل، وفي القوم زيد بن أرقم رضي الله عنه ـ وهو غلام ولم يبلغ الحلم أو قد بلغ ـ فبلغ ابن أُبيّ بن سلول صياحُ جهجاه، فغضب أُبيّ غضباً شديداً وقال: والله ما رأيت كاليوم قط، والله إن كنت لكارِها لوجهي هذا، ولكن قومي غلبوني أو قد فعلوها، قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا، وأنكرونا مننا، والله ما صرنا وجلابيب قريش هذه إلا كما قال القائل:

«سَمِّن كلبَكَ يأْكلك» والله ظننت أني سأموت قبل أن أسمع هاتفاً يهتف بما هتف به جهجاه وأنا حاضر، لا يكون مني غِيَرٌ، والله لئن رجعنا إلى المدينة لَيخرجن الأعزُّ منها الأذلَّ. ثم أقبل على من حضر من قومه فقال لهم: هذا ما فعلتم بأنفسكم، أحللتموهم بلادكم، وقاسمتموهم أموالكم، والله أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحملوا إلى غير بلادكم، ثم لم ترضوا بما فعلتم حتى جعلتم أنفسكم أغراضاً للمنايا، فقُتلتم دونه، فأيتمتم أولادكم، وقللتم وكثروا. فسمع ذلك زيد بن أرقم، فمشى به إلى رسول الله ﷺ وذلك عند فراغه من عَدُوِّه، فوجد عنده نفراً من المهاجرين والأنصار، فأخبره الخبر. وكره رسول الله ﷺ خبره، وتغير وجهُه فقال رسول الله ﷺ: «يا غلام لعلك غضبت عليه» قال: لا والله يا رسول الله، لقد سمعته منه، قال: «لعله أخطأ سمعك» قال: لا والله يا رسول الله، قال: «فلعله شبّه عليك» قال: لا والله يا رسول الله. وشاع في العسكر ما قال ابن أُبيّ، وليس للناس حديث إلا ما قال ابن أُبيّ، وجعل الرهط من الأنصار يؤنبون الغلام ويلومونه ويقولون: عمدت إلى سيد قومك تقول عليه ما لم يَقُلْ، وقد ظلمت وقطعت الرحم، فقال زيد: والله لقد سمعت ما

قال، والله ما كـانِ في الخزرج رجل أحب إلى أبي من عبد الله بن أُبىّ، ولو سمعت هذه المقالة من أبى لنقلتها إلى رسول الله ﷺ، وأنى لأرجو أن ينزل الله على نبيه ما يصدق حديثي. فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: يا رسول الله مُرْ عباد بن بشر فليأتك برأسه، فكره رسول الله ﷺ هذه المقالة وقال: «فكيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه؟ ولكن أَذِّن بالرحيل» قال عمر: فأذنت بـالرحيـل في الناس، ولم يشعـر العسكر إلا ورسول الله ﷺ قد طلع على ناقته القصواء، في ساعة لم يكن رسول الله ﷺ يرتحل فيها. فارتحـل الناس، ومشى عبـد الله بن أبىّ بن سلول إلى رسول الله ﷺ حين بلغه أن زيد بن أرقم قد بلَّغه ما سمع منه. فحلف بالله ما قلت ما قال زيد ولا تكلمت. وكان في القوم شريفاً عظيماً، فقال من حضر رسول الله ﷺ ، من الأنصار من أصحابه: يا رسـول الله عسى أن يكون الغلام قد وهم في حديثه ولم يحفظ ما قال الرجل، حدباً على ابن أُبىّ ابن سلول ودفاعاً عنه، فلما استقل رسول الله ﷺ وسار لقيه أُسيد بن حُضير الأنصارى رضي الله عنه، فحياه تحية النبوة، وسلم عليه ثم قال: يا نبي الله، والله لقد رحت في ساعة منكرة ما كنت تروح في مثلهـا، فقال رسـول الله ﷺ: أما بلغـك ما قـال صاحبكم؟» قـال: وأي صـاحب يـا رسول الله؟ قال: عبد الله بن أبىّ» قال: وما قال؟ قال: «زعم أنه إن رجع إلى المدينة أخرج الأعزُّ منها الأذلُّ» قال: فأنت يا رسول الله والله تخرجه منها إن شئت، هو والله الذليل، وأنتَ العزيز، ثم قال: يا رسول الله أرفق به، فوالله لقد جاءنا الله بك، وإن قومه لينظمون له الخرز ليتوجوه، فـإنه ليرى أنك قـد استلبته ملكـاً، ثم مشى رسول الله ﷺ يـومهم ذلك حتى أمسى، وليلتهم حتى أصبح، وصدر يومهم ذلك حتى آذتهم الشمس، ثم نزل بالناس فلم يلبثوا أن وجدوا مس الأرض فوقعوا نياما. وإنما فعل ذلك رسول الله ﷺ ليشغل الناس عن الحديث الذي كان بـالأمس من حديث عبد الله بن أُبىّ، ثم راح رسول الله ﷺ بالناس، وسلك الحجاز، حتى نزل

المشركين يومئذ صفوان ذو الشقرة، قال قتادة: فلم تكن لي ناحية حتى شددت عليه وكان الفتح. وأمر رسول الله ﷺ بالأسارى فكتفوا، واستعمل عليهم بُرَيدة بن الحصيب، وأمر بما وجد في رحالهم من سلاح ومتاع فجُمع، وسيقت النعم، واستعمل على ذلك شقْران مولاه، وجمع الذرية ناحية، واستعمل على مقسم الخمس وسُهْمان المسلمين مَحمِية بن جزء الزُّبيدي، وأخرج رسول الله ﷺ الخمس من جميع المغنم، وكان يليه محمية بن جزء، وكان يجمع إليه الأخماس، كانت الصدقات على حدتها، وأهل الفيء بمعزل عن الصدقة، وأهل الصدقة بمعزل عن الفيء، وكان يعطي من الصدقة اليتيم، والمسكين، والضعيف، فإذا احتلم اليتيم نقل إلى الفيء وأخرج من الصدقة ووجب عليه الجهاد، فإن كره الجهاد وأباه لم يعط من الصدقة شيئاً وخلى بينه وبين أن يكتسب لنفسه، وكان رسول الله ﷺ: لا يمنع سائلاً، فأتاه رجلان يسألانه من الخمس فقال: «إن شئتما أعطيتكما منه ولا حظّ فيه لغنيٍّ ولا قويّ مكتسب» وفرَّق السبى فصار في أيدي الرجال، وقسم المتاع والغنم والشاء، وعدلت الجزور بعشرين من الغنم، وبيعت الرِّثَّة فيمن يزيد، وأسهم للفرس سهمين ولصاحبها سهماً، وللراجل سهماً.

وكان في السبى جُوِيْرية بنت الحارث رئيس القوم، قالت عائشة رضي الله عنها: كانت جويرية امرأة حلوة مُلَّاحة لا يكاد يراها أحد إلا أخذت بنفسه، فبينا النبي ﷺ عندنا ونحن على الماء إذ دخلت عليه جويرية تسأله في كتابتها، فوالله ما هو إلا أن رأيتها فكرهت دخولها على النبي ﷺ، وعرفت أنه سيرى منها مثل الذي رأيت، فقالت: يا رسول الله. إني امرأة مسلمة، أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، وأنا جويرية بنت الحارث ابن ابي ضرار سيد قومه، أصابنا من الأمر ما قد علمت، ووقعت في سهم ثابت ابن قيس بن شماس وابن عم له، فتخلّصني من ابن عمه بنخلات له بالمدينة. فكاتبني على ما لا طاقة لي به ولا يدانِ، وما أكرهني على ذلك

إلا أني رجوتك ﷺ. قال: «أؤدي عنك كتابتك وأتزوجك!» قالت: نعم يا رسول الله قد فعلت، فأرسل رسول الله ﷺ إلى ثابت بن قيس فطلبها منه، قال ثابت: هي لك يا رسول الله بأبي وأمي، فأدى رسول الله ﷺ ما كان من كتابتها، وأعتقها وتزوجها، وخرج الخبر إلى الناس ورجال بني المصطلق قد اقتسموا وملكوا ووطيء نساؤهم، فقال المسلمون: أصهار رسول الله ﷺ. فأعتقوا ما بأيديهم من ذلك السبى. قالت عائشة رضي الله عنها: فاعتقوا مائة أهل بيت بتزوج رسول الله ﷺ أياها، فلا أعلم امرأة أعظم بركة على قومها منها: قالت جويرية رضي الله عنها: رأيت قبل قدوم النبي ﷺ بثلاث ليال كأن القمر يسير في يثرب حتى وقع حجْري، فكرهت أن أخبرها أحداً من الناس حتى قدم النبي ﷺ فلما سبينا رجوت الرؤيا، فلما أعتقني وتزوجني، والله ما كلمته في قومي حتى كان المسلمون هم الذين أرسلوهم من أيديهم، وما شعرت إلا بجارية من بنات عمي تخبرني الخبر، فحمدت الله تعالى، فأسلم أكثرهم. فكانت معاملة رسول الله ﷺ لمن يقع في يده معاملة رأفة ورحمة. فقبل لحظة كانت خزاعة تقاتله، فلما استأصلها رفق بها وصاهرها، وتبعه أصحابه، وأصبحوا من أهله بعد أن كانوا بالأمس من أعدائه. وكان من قتل هشام بن صبابة كادت تحصل فتنة عظيمة بين المهاجرين والأنصار، لأن المنافقين ما يحلّون محلاً للمسلمين إلا أوقعوا بينهم العداوة والبغضاء، وذلك أنه بينما الناس على ذلك الماء (المريسيع) وردت واردة الناس عليه، ومع عمر بن الخطاب أجير له من بني غِفار، يقال له: جَهْجَاه بن مسعود، يقود فرس عمر، فازدحم جهجاه وسنان بن وبر الجُهني حليف بني عوف بن الخرزج على الماء، فاقتتلا، فصاح الجهني: يا معشر الأنصار، وصرخ جهجاه يا معشر المهاجرين، فأقبل جمع من الحيين وشهروا السلاح، حتى كادت أن تكون فتنة عظيمة. فخرج رسول الله ﷺ فقال: «ما بال دعوى الجاهلية؟» فأخبر بالحال، فقال: «دعوها فإنها منتنة ولينصر الرجل أخاه ظالماً أو مظلوماً، إن كان

غزوة المريسيع أو بني المصطلق[1]

والمُرِيْسيع: اسم ماء لبني خُزاعة، بينه وبين الفُرع مسيرة يوم، وموقعه جنوب المدينة، وتسمى أيضاً غزوة بني المُصطَلِق، وهو لقب بطنٍ من خُزاعة؛ واسمه جُذَيمة بن سعد بن عمرو بن ربيعة الخُزاعي. وكانت هذه الغزوة يوم الاثنين لليلتين خلتا من شعبان، سنة خمس من الهجرة.

وسبب ذلك أنه بلغ رسول الله ﷺ أن رئيس بني المصطلق، الحارث بن أبي ضِرار أبو مالك الخزاعِي دعا قَومَه ومن قدر عليه من العرب إلى حرب رسول الله ﷺ: فأجابوه وتهيئوا للمسير معه، وكانوا ينزلون ناحية الفُرع، فبعث رسول الله بُريدة بن الحصيب الأسلمي، ليعلم حالهم، واستأذن رسول الله ﷺ أن يقول، فأذن له، فخرج حتى ورد عليهم ماءهم ولقي رئيسهم الحارث قد جمع الجموع وقالوا له: من الرجل؟ قال: منكم، قدمت لما بلغني من جمعكم لهذا الرجل فأسير في قومي ومن أطاعني، فنكون يداً واحدة حتى نستأصله، قال الحارث: فنحن على ذلك فعجل علينا، فقال بريدة: أركب الآن فآتيكم بجمع كثير من قومي. فسرّوا بذلك منه، فرجع إلى رسول الله ﷺ: وأخبره خبر القوم. فندب رسول الله ﷺ الناس وأخبرهم خبر عدوّهم، فأسرع الناس بالخروج.

فخرج رسول الله ﷺ مسرعاً، وخرج معه جمع كثير وفيهم كثير من المنافقين لم يخرجوا بهذه الكثرة في غير هذه الغزوة، واستعمل على المدينة زيد بن حارثة، وقال ابن هشام: أبا ذرّ الغِفاري، وخرجت مع رسول الله ﷺ عائشة أم المؤمنين، وأم سلمة رضي الله عنهما، وكان في الجيش ثلاثون فرساً، عشر للمهاجرين، وعشرون للأنصار، منها فرسان لرسول الله ﷺ، إحداهما: «لِزَاز» والأخرى «الظَّرب» فسار رسول الله ﷺ

(١) سيرة ابن هشام ٣/٣٠٢ والمواهب اللدنية ٢/٩٥.

حتى سلك على الخلائق فنزل بها، فأتي يومئذ برجل من عبد القيس، فسلم على رسول الله ﷺ، فقال له: أين أهلك؟ قال: بالرَّوحاء، فقال: أين تريد؟ قال: إياك جئت لأؤمن بك وأشهد أن ما جئت به حق، وأقاتل معك عدوك. فقال رسول الله ﷺ: «الحمد لله الذي هداك إلى الإسلام» قال: أي الأعمال أحبّ إلى الله؟ فقال له النبي ﷺ: «الصلاة لأول وقتها» فكان بعد ذلك يصلي الصلاة لأول وقتها.

وأصاب رسول الله ﷺ جاسوساً للمشركين، فسأله عنهم، فلم يذكر من أمرهم شيئاً، فعرض عليه الإسلام فأبى، فأمر عمر بن الخطاب فضرب عنقه، وانتهى رسول الله ﷺ إلى المريسيع، وقد بلغ القومَ سيرُ رسول الله ﷺ إليهم، وقتله جاسوسهم، فتفرَّق عن الحارث من كان قد اجتمع عليه من أفناء العرب، وضرب رسول الله ﷺ: قبته - وكانت من أدم - وتهيأ للحرب، وصف أصحابه، وأعطى راية المهاجرين لأبي بكر الصديق رضي الله عنه، وراية الأنصار لسعد بن عبادة، وأمر رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب، فنادى المشركين: قولوا لا إله إلا الله تمنعوا بها أنفسكم وأموالكم، فأَبَوْا، فتراموا بالنبل ساعة، فكان أول من رمى رجل منهم سهماً، فرمى المسلمون ساعة فساعة بالنبل، ثم أمر رسول الله ﷺ أصحابه أن يحملوا، فحملوا حملة رجل واحد، وأحاطوا بالمشركين، وقتلوا نحو عشرة منهم، وأسروا الباقين عن آخرهم، وكانوا أكثر من سبعمائة، وسبوا الرجال والنساء، والذرية. واستاقوا النعم والشاء، وكانت الإبل ألفي بعير، والشاء خمسة آلاف. وكان السبى مائة بنت. وكان شعار المسلمين يومئذ: «يا منصور أمت» ولم يقتل من المسلمين سوى رجل واحد، وهو هشام بن صُبابة الكناني، قتله رجل من المسلمين الأنصار خطأ، ظنه من المشركين، يقال له أوس، من رهط عُبادة بن الصامت، فأمر رسول الله ﷺ بإخراج ديته، فقبضها أخوه، مِقْيس بن صُبابة. وعدا على قاتل أخيه فقتله فارتدّ ولحق بقريش، فأهدر النبي ﷺ دمه، فقُتل يوم الفتح. وكان حامل لواء

ألا تجيبان رسول الله ﷺ؟ فقالا: والله ما ندري بماذا نجيبه، قالت: فوالله ما أعلم أهل بيت دخل عليهم ما دخل على آل أبي بكر في تلك الأيام، فلما استعجما عليَّ استعبرت فبكيت ثم قلت: والله لا أتوب إلى الله مما ذكرت أبداً، والله إني لأعلم لئِن أقررت بما يقول الناس ـ والله يعلم أني منه بريئة ـ لأقولن ما لم يكن، ولئن أنا أنكرت ما يقولون لا تصدقونني، قالت: ثم التمست اسم يعقوب فما أذكره فقلت: ولكن سأقول كما قال أبو يوسف:

«فَصَبْرٌ جَمِيلٌ والله المُسْتَعَانُ عَلَى ما تَصِفُون[1]».

قالت: فوالله ما برح رسول الله ﷺ مجلسه حتى تغشاه من الله ما كان يتغشاه، فسُجَّي بثوبه، ووضعت له وسادة من أدم تحت رأسه، فأما أنا حين رأيت من ذلك ما رأيت، فوالله ما فزعت ولا باليت، قد عرفت أني منه بريئة، وأن الله عز وجل غير ظالمي، وأما أبواي فوالذي نفس عائشة بيده ما سرى عن رسول الله ﷺ حتى ظننت لتخرجن أنفسهما فرقاً من أن يأتي من الله تحقيق ما قال الناس، قالت: ثم سُري عن رسول الله ﷺ فجلس، وإنه ليتحدر منه مثل الجمان في يوم شاتٍ، فجعل يمسح العرق عن جبينه ويقول: «أبشري يا عائشة، فقد أنزل الله براءتك» قالت: بحمد الله، ثم خرج إلى الناس فخطبهم وتلا عليهم ما أنزل الله عليه من القرآن في ذلك، ثم أمر بمسطح بن سنان بن أثاثه وحسان بن ثابت وحمنة بنت جحش وكانوا ممن أفصح بالفاحشة فضُرِبُوا حَدَّهم.

وأنزل الله تعالى في أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وفيمن افترى عليها بالإفك قوله تعالى:

﴿إنَّ الذين جَاءُوا بِالإفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لا تَحْسَبُوهُ شَراً لَكُمْ بَلْ هُوَ

(١) سورة يوسف، الآية: ١٨.

خَيْرٌ لكُمْ لِكُلِّ امْرِىءٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسِبَ من الإثْمِ والَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لِهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[1].

الذي تولى كبره هو عبد الله بن أُبيّ بن سلول لعنه الله رأس الشر والفساد والكفر والعناد، قد أجّل الله عقابه في الآخرة، لأن عذاب الدنيا بالنسبة للآخرة بسيط وقال تعالى:

﴿لَوْلَا إذْ سَمِعْتُمُوه ظَنَّ المؤْمنونَ والمؤمناتُ بأنْفُسِهم خيراً وقَالوا هذا إفْكٌ مُبِينٌ[2]﴾وقوله تعالى: ﴿إذْ تَلَقَّوْنه بألْسِنَتِكُمْ وَتَقُولونَ بِأفْوَاهِكُمْ ما ليس لكم به عِلْمٌ وتحْسَبُونَه هَيِّناً وهُو عند الله عظيمٌ * وَلَوْلَا إذْ سَمِعْتُموه قُلتم ما يَكون لنا أنْ نَتكَلَّم بهذا سُبْحانَكَ هذا بُهْتانٌ عَظيمٌ * يَعِظَكُم الله أنْ تَعُودُوا لِمِثْله أبَداً إنْ كُنْتُم مؤمِنِين﴾[1]. إلى قوله تعالى: ﴿إنَّ الذين يَرْمُون المُحْصَنَاتِ الغَافِلاتِ المُؤْمِناتِ لُعِنُـوا في الدُّنْيـا والآخِرَةِ ولهم عَـذَابٌ عَظيمٌ * يوْمَ تَشْهَد عَلَيْهِمْ ألْسِنَتُهُمْ وأيْديهِمْ وأرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُون * يَوْمَئِذٍ يُوفِيهِمُ الله دِينَهُمْ الحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أنَّ الله هوَ الحقُّ المُبِينُ * الخَبِيثَاتُ للخَبيثِينَ وَالخَبيثونَ لَلْخَبِيثَاتِ والطَّيِّباتُ للْطَّيِّبينَ والطَّيِّبونَ للْطَّيِّبـاتِ أُلَئِكَ مُبَـرَّئُونَ مِمَّـا يقُولُـونَ لهمْ مَغْفِرةٌ وَرِزْقٌ كـريمٌ﴾[2]. روى ذلك البخـاري وأصحاب السير وغيرهم.

هذا حاصل ما ورد في قصة الإفك ومفتريات الأفّاكين، وهو كما قلنا لمن أعظم مصائب الإسلام ونبي الإسلام وعموم المسلمين، لأن المسلمين

(١) سورة النور، الآية: ١١.
(٢) سورة النور، الآية: ١٢.
(١) سورة النور، الآيات: ١٥، ١٦، ١٧.
(٢) سورة النور، الآيات: ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٦.

في نظر الإسلام جسم واحد، إذا اشتكى منه عضو واحد تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر، فالافتراء على أم المؤمنين بالإفك، وهي حبيبة رسول الله ﷺ عائشة رضي الله عنها، شيخة الإسلام، التي روت للمسلمين عن رسول الله ﷺ ما لم يروه لهم أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، ولا سيدة من أمهات المؤمنين، لمن أعظم المصائب على رسول الله ﷺ وعلى المؤمنين. والله إن جسد المؤمن ليضطرب، وتأخذه الرعدة، بل يحترق حنقاً وكدراً عند سماع ذلك، حيث لا يقول بالإفك إنسان وفي قلبه مثقال ذرة من إيمان، بل ولا مروءة ولا شرف ولا إنسانية، ولا شيمة، وذلك لقول الله تبارك وتعالى: ﴿الخَبِيثَاتُ للخَبِيثِينَ والخَبِيثُونَ للخَبِيثاتِ﴾ أليس زوجها رسول الله ﷺ. أليست حبيبته؟ ألم يمت وهو بين سحرها ونحرها؟ إذا كانت عائشة خبيثة فماذا يكون رسول الله ﷺ بعد ذلك، وهي زوجته في الدنيا إلى أن مات؟ أيقول بهذا القول إنسان في قلبه مثقال ذرة من إيمان؟ نعم توجد فرقة حتى اليوم تدعى الإسلام وتقول بقول أهل الإفك، وهي تعرف نفسها ويعرفها من خالطها!! وحاشا أن يكون القائلون بالإفك لهم نصيب في الإسلام، فمسألة الإفك هي كما قلنا من أعظم مصائب الإسلام والمسلمين، وقد ترتب عليها أمور كثيرة في السياسة الإسلامية بعد وفاة النبي ﷺ، مع أن النبي ﷺ دفن مسألة الإفك حال ظهورها، ولكن أعداء الإسلام يتربصون الفرص لإثارة الفتن بين المسلمين، فَبَني المنافقون من اليهود ومن انضم معهم من منافقي الأوس والخرزج على مسألة الإفك - تحت راية عبد الله بن سبأ اليهودي - سياسة عظيمة، فبثوها بين ضعفاء العقول، حتى تمكنوا من إثارة الفتن بين المسلمين وأنشئوا مذاهبَ التفرقة وهي: الرافضة والخوارج وما أشبه ذلك في صدر الإسلام الأول، فتمكنوا بسبب الإفك من توغير الصدور، حتى استنبطوا من حادثة الإفك أن أبا بكر ما توقف من إعطاء عَليٍّ إرثَ رسول الله ﷺ، إلا لأجل أنه أشار عَلَى النبي ﷺ بطلاق عائشة، مع أن الحقيقة غير ذلك، ثم افترق السَّبئيُّون

فرقتين، فرقة مع عليٍّ رضي الله عنه، وفرقة مع عائشة رضي الله عنها، حتى تمكنوا من وقعة الجمل، وبثوا بين الناس أن عائشة ما ثارت عَلَى عَليٍّ تطلب دم عثمان إلا انتقاماً من عليٍّ بسبب الإفك، وهذا كله باطل، والمسلمون يعلمون علم اليقين أن كل ما وقع بين المسلمين من الفتن هو بإفساد اليهود ورئيسهم عبد الله بن سبأ المنافق اليهودي، وكل ذلك موضَّح في تاريخ الإسلام، ولو لم تكن مسألة الإفك لما تسنى للسبئيين إثارة الفتن بين المسلمين، ولا نصبوا حبائلهم في عموم البلاد الإسلامية، مثل العراق وسوريا ومصر وغيرها، وبثُّوا التشيع والرفض في العراق، كما بثوا فيه مذهب الخوارج ضد عَليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه، وأفسدوا عليه جيشه، وفرَّقُوا مَنْ حوله، وأبدوا صداقتهم له عداوة في موقف واحد، كما أنَّ فريقاً منهم أخذ يبكي عثمانَ بن عفان رضي الله عنه في سوريا والحجاز، واتَّهموا عليًّ بن أبي طالب بدم عثمان، مع أنهم هم لعنهم الله الذين تسوَّروا الجدار على عثمان، وهم الذين قتلوه، فقالوا في مكة: إن عَلِيّاً هو الذي أحضر المصريين وعمدهم بقتل عثمان، وهو الذي رجح مسألة الإفك على عائشة، مع أن عبد الله بن سبأ اليهودي هو الذي أتى بالمصريين إلى المدينة، وباسم المصريين تسوَّر الجدارَ عَلَى عثمان، وهو الذي نشر الحرب بين أمير المؤمنين عليّ، وأم المؤمنين عائشة، في البصرة بعد أن تم الاتفاق بين عَليّ وعائشة ومن معها من عظماء الصحابة؛ كالزبير بن العوام، وطلحة بن عبيد الله، وتفاهموا واتفقوا على وحدة المسلك، وأن يكونوا يداً واحدة على أعداء الذين، وناشري مذهب التفرقة بين المسلمين، وبات الفريقان على ذلك، فقال ابن سبأ لقومه: والله لئن اتفقوا فلم يتفقوا إلاَّ على إبادتنا، فلا تمكنوهم من الإتفاق وجمع الكلمة؛ لأن ذلك ضد ما قمنا لأجله، فجدوا واجتهدوا، ثم قسم حزبه فرقتين، وجعل فرقة مع عَليّ، وفرقة مع عائشة، وقال لهم: عند طلوع الفجر أوقدوا نار الحرب بينهم، فلما صار الفجر أوقد الحربَ السبئيون، فلما سأل عليٌّ بن

أبي طالب: ما هذا؟ قال له ابن سبأ: عائشة وطلحة والزبير خدعوك وغدروا بك وأثاروا الحرب عليك على حين غفلة منك.

ثم لما سألت عائشة: ما هذا؟ قال لها السبئيون الذين رتبهم ابن سبأ كما قالوا لعليٍّ، حتى وقع ما وقع، ولولا حادثة الإفك لما تَسَنَّى للسبئيين ذلك.

عائشة أم المؤمنين وحبيبة سيد المرسلين ترمى بالإفك؟ يقول مسروق شيخ التابعين إذا حدث عن عائشة رضي الله عنها قال: حدثتني الصادقة ابنة الصديق حبيبة حبيب الله، ويقول: رأيت مشيخة أصحاب رسول الله ﷺ الأكابر يسألونها عن الفرائض.

وقال عطاء بن أبي رباح التابعي الكبير: كانت عائشة أفقه الناس، وأعلم الناس، وأحسن الناس رأياً في العامة، وقال هشام بن عروة عن أبيه عروة: ما رأيت أحداً أعلم بفقه ولا بطب، ولا بشعر من عائشة.

وقال أبو بردة عن أبيه أبي موسى الأشعري: ما أشكل علينا أمر فسألنا عنه عائشة إلا وجدنا عندها فيه عِلماً. وقال الزُّهريُّ: لو جُمع عِلْمُ عائشةَ إلى عِلْمِ أمهات المؤمنين وعِلْم جميع النساء لكان عِلمُ عائشة أفضل.

وفي الصحيح: كان الناس يَتَحرَّوْن بهداياهم يوم عائشة، قالت: فاجتمع صواحبي - تعني أزواج النبي ﷺ - إلى أم سلمة فقلن: يا أم سلمة، والله إن الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة، وإنا نريد الخير كما تريده عائشة، فمري رسول الله ﷺ أن يأمر الناس أن يُهْدُوا إليه حيثما دار. قالت: فذكرت ذلك أم سلمة للنبي ﷺ، قالت: فأعرض عني، فلما عاد إليَّ ذكرت له ذلك، فأعرض عني، فلما كان في الثالثة ذكرت له فقال: «يا أم سلمة لا تؤذيني في عائشة، فإنه والله ما نزل عليَّ الوحي وأنا في لحاف امرأةٍ منكن غيرها». ولم ينكح رسول الله ﷺ بِكْراً غيرها، أو امرأة أبواها

مهاجران غيرها، وأنزل الله براءتها من السماء، وكان ينزل عليه الوحي في بيتها وهي معه، وكان يصلي وهي معترضة بين يديه، وقبض بين سحرها ونحرها، ودفن بأمره في بيتها. وكانت من أكرم النساء، أخرج ابن سعد في الطبقات من طريق أم درة قالت: أتيت عائشة بمائة ألف ففرقتها وهي يومئذ صائمة، فقلت لها: أما استطعت فيما أنفقت أن تشتري بدرهم لحماً تُفطرين عليه؟ ونال رجل من عائشة رضي الله عنها، عند عمار بن ياسر - لما يعلم من صداقته لعليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، واتحاده معه، وارتباطه به في كل شيء - فقال له عمار: اغرُبْ مقبوحاً، أتؤذي محبوبة رسول الله ﷺ؟. وفي البخاري قال: لما بعث عليٌّ رضي الله عنه ابنَهُ الحسَن وعمارَ بنَ ياسرٍ إلى الكوفة ليستنفرهم، خَطَبَ عمار قال: إني لأعلم أنها - يعني عائشة - زوجته في الدنيا والآخرة - يعني رسول الله ﷺ - ولكن الله ابتلاكم لتتبعوه أو إياها. يظن أهل الكوفة لما بثّه السبئيون في أرواحهم أنهم في نيلهم من عائشة يُرضون عَليَّ بن أبي طالب وآله، حاش الله!! والله إن عليًّا لأعلم الناس بفضل عائشة ومنزلتها من رسول الله ﷺ، وهو يعلم حق العلم أنها بريئة مما نسبه إليها أهل الإفك، وما قال ما قاله يومئذ لرسول الله إلا ليخفف عنه مُصابه، وإن أشد ما على النساء من يتدخل بينهن وبين بُعولتهن، وبالأخص من يُشير على أزواجهن بفراقهن، وأما أبو بكر الصديق رضي الله عنه فإنه لم يمنع فاطمة الزهراء رضي الله عنها ميراث أبيها رسول الله ﷺ لأجل أن عَلِيًّا رضي الله عنه أشار على رسول الله ﷺ بطلاق ابنته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وإنما امتنع لقوله ﷺ: «نحن مَعشرَ الأنبياءِ لا نُورَث، ما تركناه صدقةٌ»، وقد تَفَاهَمَ أبو بكر وعليٌّ رضي الله عنهما في ذلك وأزالا كلَّ شُبهة وإشكال وقع بينهما، وعادت صداقتهما الدينية والدنيوية. وكذلك لم يُحرِّض عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه أحداً على قتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه، بل إن الأمر كان على عكس ذلك، فإنه قد دافع عن عثمان جهده، حتى

قاتل الثوار أمام بابه. وأدخل له الماء رغم أنوفهم، كما يأتي تفصيل ذلك في محله. وإنما أعداء الإسلام في ذلك العصر ما كان يرضيهم أن تكون تلك السيوف البتارة مُتَوجِّهة إلى نحورهم ونحورِ مَنْ على شاكلتهم، وأن تبقى هكذا دائبة في نصرة الإسلام وإعـلاء كلمة الله تعـالى، فقد بـذلوا جهودهم في إغراء بعض القواد الذين أساءهم أمراء عثمان من بني أمية في مصر وسورية والعراق، فوقع ما وقع، وقد كان ما يريدون، فأغمدت تلك السيوف مُدَّةً في نحورِ المسلمين، فقتل بعضهم البعض، ولم يتم ذلـك لابن سبأ ومن على شاكلته إلا بادِّعائهم الإسلام، وتَشيّعهم لعليٍّ مِن جهة، والمطالبة بدم عثمان من جهة أخرى، ولا حول ولا قوة إلا بـالله، ولكن بحمد الله تعالى لا يزال الإسلام محفوظاً ما استمسك أهلُه بكتاب الله تعالى وسنة رسول الله ﷺ، ولا تزال طائفة من المسلمين ظاهرين مدى الدهر، ولن يزال الإسلام محفوظاً بعناية الله تعالى إلى يوم الدين، ولكل عصر أمة ناهضة بنشر مبادىء الإسلام وتعاليمـه، والله سبحانـه وتعالى من وراءهم محيط.

غزوة الخندق[1]

هذه الغزوة تسمى أيضاً غزوة الأحزاب، لما اجتمع فيها من أكثر قبائل العرب، وانضم عليهم من اليهود، وتحزَّبوا على رسول الله ﷺ وأصحابه فابتلى الله فيها عباده المؤمنين، وثبتَ الإيمان في قلوب أوليائه المتقين، وأظهر ما كان يُبْطِنه أهلُ النفاق، وفضحهم بين عباده، حتى لم يبق لتسترهم حجاب، فأفزع قلوبهم، وأطاش عقولهم، وأطار لبهم، وأنزل الله تعالى نصره على عباده المتقين، جند الله تعالى في أرضه، وسيفه الماضي على رقاب أعدائه، فأعزَّ جُنْدَه، ونصرَ عَبدَه، وهزمَ الأحزابَ وحدَه، ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً، وكفى الله المؤمنين القتال، ووقاهم شرَّ المعتدين وكيد الكائدين.

وسبب ذلك من اليهود الذين تمكن الحسد في قلوبهم، والبغضاء في قلوبهم لرسول الله ﷺ وأصحابه، رضي الله عنهم أجمعين، حيث يرون أنه لا يزال الإسلام ينتشر، واليهودية تتقلص وتمحق، ورسول الله ﷺ، يزداد فوزاً ونصراً، وعزاً ومكانةً عند أصحابه المهاجرين والأنصار. وذلك أنه لما أجلى رسول الله ﷺ: بني قينقاع، ثم اتبعهم ببني النضير من المدينة إلى خيبر، لما وقع منهم الغدر والخيانة، وجدوا بها من يهودَ قوماً أهل عدد وجلد، وليس لهم من البيوت والأحساب ما لبني النضير، فخرج منهم: سلام بن أبي الحقيق النضري، وحُيَيّ بن أخطب النضري، وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق النضري، وهوذة بن قيس الوائلي، وأبو عمّار[2] الوائلي، في نفر من بني النضير ونفر من بني وائل، وهؤلاء هم الذين

(١) سيرة ابن هشام ٣/٢٢٤ والمواهب اللدنية ٢/١٠٢.

(٢) في الأصل «أبو عمارة» والتصويب عن ابن هشام ١/٢١٤. [المصحح].

حزَّبوا الأحزاب على رسول الله ﷺ، خرجوا حتى قدموا على قريش بمكة، فدعوهم وأتباعهم إلى حرب رسول الله ﷺ: فقالوا لقريش: نحن معكم حتى نستأصل محمداً، جئنا لنحالفكم على عداوته وقتاله. فنشطت قريش لذلك، وصادف قلباً متعطشاً لذلك، وتذكرت أحقادها، وما وقع على أشرافها يوم بدر، فقال أبو سفيان بن حرب: مرحباً وأهلاً، أحبُّ الناس إلينا من أعاننا على عداوة محمد، وأخرج خمسين رجلاً من بطون قريش كلها، وتحالفوا وتعاقدوا، وألصقوا أكبادهم بالكعبة ـ وهم بينها وبين أستارها ـ لا يخذل بعضهم بعضاً، ولتكونن كلمتكم واحدة على محمد، ما بقي منهم رجل، ثم قال أبو سفيان: يا معشر يهود، أنتم أهل الكتاب الأول والعلم، أخبرونا عما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد، أديننا خير أو دينه؟ فنحن عُمَّار البيت، ننحر اللحوم، ونسقي الحجيج، ونعبد الأصنام. فقالت يهود: اللهم أنتم أولى بالحق منه، إنكم لتعظمون هذا البيت، وتقومون على السقاية، وتنحرون البُدْن، وتعبدون ما كان يعبد آباؤكم، فأنتم أولى بالحق منه، فأنزل الله تعالى:

﴿أَلَمْ تَر الذينَ أوتوا نَصِيباً مِنَ الكِتابِ يُؤْمِنُونَ بالجِبْتِ والطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هؤلاءِ أَهْدَى مِنَ الذينَ آمَنُوا سبيلاً * أولئكَ الَّذِينَ لَعَنَهمُ اللّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ الله فَلَنْ تَجِدَ لهُ نَصِيراً﴾[1] إلى قوله تعالى:

﴿أَمْ يَحْسدُونَ الناسَ عَلَى ما آتَاهُمُ الله مِنْ فَضْلِهِ فقدْ آتَيْنَا آل إبراهيمَ الكِتَابَ والحِكْمَةَ وآتيْنَاهُمْ مُلْكاً عَظِيماً * فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ ومِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وكَفَى بِجهَنَّم سَعيراً﴾[2].

(١) سورة النساء، الآيتان: ٥١، ٥٢.
(٢) سورة النساء، الآيتان: ٥٤، ٥٥.

فلما قالوا ذلك لقريش سرهم، ونشطوا لما دعوهم إليه من حرب رسول الله ﷺ، فاجتمعوا لذلك، واستعدوا وتواعدوا على الوقت الذي يخرجون فيه.

ثم خرج أولئك النفر من يهود، حتى جاءوا غطفان من قيس عيلان، فدعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ، وأخبروهم أنهم سيكونون معهم عليه. وأن قريشاً قد تابعوهم على ذلك، وجعلوا لهم تمر خيبر سنةً إن نصروهم.

ثم خرجت يهود إلى بني سُلَيم، فوعدوهم المسير معهم إذا خرجت قريش، وأجمعوا أمرهم لذلك واستعدوا.

حفر الخندق

ثم إن خزاعة عندما رأت قريشا تتهيأ للخروج أتى ركبُهم رسول الله ﷺ: في أربع ليال حتى أخبروه، فلما سمع رسول الله ﷺ، بتحزب الأحزاب، وما اجتمعوا عليه من الأمر، جمع أصحابه، وتشاور معهم في مدافعة هؤلاء الأحزاب، أيبرز من المدينة أم يكون فيها ويحاربهم عليها وفي طرقها؟ فأشار سلمان الفارسي رضي الله عنه فقال: يا رسول الله، إنا كنا بفارس إذا حوصرنا وتخوفنا الخيل خَنْدَقْنا علينا. فأَعْجَب أصحابَ رسول الله ﷺ ذلك، وأحبوا الثبات في المدينة، حيث ليس لهم في الخروج إليهم من حاجة، خشية من وقوع غلطة مثل غلطة الرُّماة التي وقعت بأحد، وبسببها حصل الفشل ووقعت الهزيمة المنكرة.

فركب رسول الله ﷺ فرساً له، ومعه عدد من المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم، فارتاد موضعاً ينزله، فكان أعجب المنازل إليه أن يجعل(سلعاً) خلْف ظهره، ويخندق من (المزاد) إلى (ذباب) إلىٰ (راتح) فأمر ﷺ. بحفر الخندق، وعمل فيه بنفسه، وأمر أصحابه بالجِدّ، ووعدهم النصر إن صبروا واتقوا، وجعل الخندق في شمال المدينة من طرف الحرَّة

الشرقية إلى طرف الحرة الغربية عند جبل سلع، وخط رسول الله ﷺ، لكل عشرة من الناس عشرة أذرع يعملون فيها، وكان سلمان الفارسي يعمل عمل عشرة، وكانت هذه الغزوة هي أول غزوة حضرها سلمان مع رسول الله ﷺ. لأنه كان في الغزوات التي قبلها مشغولاً بالرّق، فتنافس فيه المهاجرون والأنصار، فقال المهاجرون: سلمان منا، وقالت الأنصار: سلمان منا. فقال النبي ﷺ: «سلمان منا أهل البيت» وأبطأ عن رسول الله ﷺ. وعن المسلمين في عملهم ذلك رجالٌ من المنافقين، وجعلوا يورون بالضعيف من العمل، ويتسللون إلى أهليهم بغير علم من رسول الله ﷺ: ولا إذن، وجعل الرجل من المسلمين إذا نابته النائبة من الحاجة لا بد منها يذكر ذلك لرسول الله ﷺ: ويستأذن في اللحوق لحاجته، فيأذن له، وإذا قضى حاجته رجع إلى ما كان فيه من عمله، رغبةً في الخير واحتساباً له، فأنزل الله تعالى في أولئك المؤمنين:

﴿إنَّما المُؤمنونَ الذينَ آمَنُوا بالله ورَسُولِه وإذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أمْرٍ جامعٍ لمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يِسْتأذِنُوه إنّ الذين يستأذنونك أُولئك الذين يؤْمِنونَ بالله ورسولِه فإذا استأذَنُوك لِبعض شأْنِهم فأْذنْ لمنْ شِئتَ مِنْهمْ واستغفِر لهُم الله إنّ الله غفورٌ رحيمٌ﴾[٣].

وأنزل الله تعالى في المنافقين الذين يتسللون من العمل بغير إذن:

﴿لا تَجْعَلُوا دُعاءَ الرسولِ بينَكم كَدُعاء بعْضِكم بعْضاً قدْ يَعْلمُ الله الذينَ يَتَسَلَّلُونَ منكم لِوَاذاً فلْيَحْذَرِ الذينَ يُخالِفُونَ عَنْ أَمْرِه أَنْ تُصَيبَهم فِتْنَةٌ أو يصيبَهم عَذابٌ أَليمٌ * أَلَا إنَّ لِلَّهِ ما في السموات والأَرْضِ قَدْ يَعْلَم ما أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إليه فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا والله بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[١].

---

(١) سورة النور، الآية: ٦٢.

ولما ابتدأ رسول الله ﷺ حفرَ الخندقِ قال:

«بَاسْمِ الإله وبه بدينا * ولو عَبَدْنا غيرَه شَقِينَا * فحَبَّذَا رَبًّا وحبَّ دِينا»

وكان الصحابة رضي الله عنهم، منهم من يحفر، ومنهم من يحمل التراب على أكتافه بجد ونشاط، ليس لهم عبيد يعملون لهم، فلما رأى رسول الله ﷺ ما بهم من النصب والجوع تمثّل بقول عبد الله بن رَوَاحَة الأنصاري:

اللهم لا عيش إلَّا عيْش الآخِـرَهْ فـاغفـر لـلأنصـار والمهـاجـرة

فيقولون مجيبين له:

نَحْنُ الـذين بَـايَعُـوا مُـحمَّـدَا عَلَى الجِهَـادِ مَـا بَقـينَـا أبَـدَا

وكان رسول الله ﷺ ينقل التراب حتى تـوارى جسده الشـريف من الغبار، وهو يتمثل بقول ابن رواحة:

اللهُمَّ لـولا أَنْتَ مـا اهْتَـدَيْنَـا وَلَا تَـصَـدَّقْنَـا وَلَا صَـلَّيْـنَـا
فـأَنْـزِلَـنْ سَكِـينَـةً عَـلَيْنـا وَثَـبِّـتِ الأَقْـدَامَ إن لَاقَـيْـنَـا
إن الـذيـن قـد بَغَـوْا عَـلَيْنَـا إذَا أَرَادُوا فِـتْـنَـةً أَبَـيْـنَـا

ولم يتأخر عن العمل في الخندق أحد من المسلمين، وكان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ينقلان التراب في ثيابهما إذا لم يجدا مَكَاتِلَ ـ من العجلة ـ وكانا لا يفترقان في عمل، ولا مسير، ولا منزل. وكان من فرغ من المسلمين من حصته عاد إلى غيره فأعانه. حتى حفر الخندق. وبينما الصحابة يحفرون الخندق إذ عرَضتْ لهم صخرةٌ في بطن الخندق بيضاء مَرْوَة، فأخذوا يضربونها بالمعاول الحديد حتى تكسَّرت المعاول، وشقَّ عليهم ذلك، فقالوا لسلمان الفارسي: ارْق إلى رسول الله ﷺ فأخبره خبر

---

(١) سورة النور، الآيتان: ٦٣، ٦٤.

هذه الصخرة، فإمّا أن نعدِل عنها فإن المعدل قريب، وإما أن يأمرنا فيها بأمره، فإنا لا نحب أن نجاوزخَطَّه، فرقي سلمان حتى أتى رسول الله ﷺ وهو ضارب قبة فقال: يا رسول الله، بأبينا أنت وأمّنا، خرجت صخرة بيضاء من الخندق مَرْوة فكسرتْ حديدنا، وشقَّت علينا، حتى ما نحَيك فيها قليلاً ولا كثيراً، فمرْنا بأمرِك، فإنا لا نحب أن نجاوز خطك، فقال: أنا نازل، ثم قام وبطنه معصوب بحجر من الجوع، ولبثوا ثلاثة أيام لا يذوقون طعاماً، فدعا بإناء من ماء فتفل فيه، ثم دعا بما شاء الله أن يدعو به، ثم نضح من ذلك الماء عليها، فأخذ المعول من سلمان وقال: ﴿بسم الله﴾ وضرب ضربة فكسر ثلثها وبَرَقَ برقةٌ فخرج نور من قِبَل اليمن فأضاء ما بين لابَتَيِ المدينة حتى كأن مصباحاً في جوف ليل مظلم، فكبَّر رسول الله ﷺ وكبَّر المسلمون، وقال: «أعطيت مفاتح اليمن، إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني الساعة كأنها أنياب الكلاب» ثم ضرب الثانية فقطع الثلث، وبَرَقَتْ برقةٌ فخرج نورٌ من قِبَل الروم فأضاء ما بين لابَتي المدينة، فكبَّر رسول الله ﷺ وكبَّر المسلمون وقال: «أُعطيت مفاتح الشام، والله إني لأبصر قصورها الحُمر من مكاني الساعة» ثم ضرب الثالثة فقطع بقية الحجر وبَرَقَ بَرْقةٌ من جهة فارس أضاءت ما بين لابتي المدينة، فكبَّر رسول الله ﷺ وكبَّر المسلمون وقال «أُعطيت مفاتح فارس، والله إنيّ لَأبصر قصورَ الحِيرة ومدائن كسرى كأنها أنياب الكلاب من مكاني هذا، وأخبرني جبريل أن أُمَّتي ظاهرةٌ عليها، فابشروا بالنصر» فاستبشر المسلمون وقالوا: الحمد لله موعد صادق بأن موعدنا النصر بعد الحصر، وجعل يصف لسلمان، فقال سلمان: صدقت يا رسول الله هذه صفته أشهد أنك رسول الله، قال: «هذه فتوح يفتحها الله بعدي يا سلمان، لتفتحنّ الشام ويهرُب هرقل إلى أقصى مملكته، وتظهرون على الشام فلا ينازعكم أحد، وليفتحن هذا الشرق، ويقتل كسرى، فلا يكون كسرى بعده» قال سلمان: فكل هذا قد رأيت[1].

(١) انظر ابن هشام ففي قصة هذه الصخرة خلاف عمّا هنا. [المصحح].

وأقاموا على الخندق نحو شهر حتى حفروه، وأصابتهم مجاعة، فروى الشيخان وغيرهما: أن جابر بن عبد الله رضي الله عنه رأى رسول الله ﷺ يوم الخندق عاصباً بطنه بحجر من الجوع، وأنهم لبثوا ثلاثة أيام لا يذوقون ذَواقاً، قال جابر: فاستأذنت رسول الله ﷺ إلى المنزل، فأذن لي، فذهبت فقلت لامرأتي: إني رأيت برسول الله ﷺ خمصاً شديداً، ما في ذلك صبر، فعندك شيء؟ قالت صاعٌ من شعير وعَناق ـ الأنثى من ولد المعز ـ فأخرجت إناءً فيه صاع من شعير، فذبحتُ العناق، وطحنت الشعير، وجعلنا اللحم في البُرمة، فلما انكسر العجين وكادت البرمة أن تنضج وأمسينا، وأراد رسول الله ﷺ الانصراف، قال: ـ وكنا نعمل نهاراً فإذا أمسينا رجعنا إلى أهلنا ـ فأتيت رسول الله ﷺ، فقلت: طُعَيم لي، فقم أنت يا رسول الله ورجل أو رجلان فشبك في أصابعه وقال: كم هو؟ فذكرت له، قال: كثير طيّب، لا تنزلن برمتكم، ولا تخبزن عجينكم حتى أجيء، وصاح رسول الله ﷺ: يا أهل الخندق، إن جابراً قد صنع لكم سُورا[1] فَحَي هَلا بكم» وسار رسول الله ﷺ يقدم الناس، ولقيتُ من الحياء ما لا يعلمه إلا الله تعالى، وقلت: جاء الخلق ـ والله إنها للفضيحة ـ على صاع من شعير وعَناق، فدخلت على امرأتي فقلت: ويحسك، جاء النبي ﷺ بالمهاجرين والأنصار ومن معهم، فقالت: بك وبك، هل سألك: قلت: نعم، قالت: دعهم، الله ورسوله أعلم، نحن قد أخبرناه بما عندنا، فدخل رسول الله ﷺ وقال: ادخلوا عشرة عشرة ولا تضاغطوا، فأخرجت له عجيننا، فبصق فيه وبارك ثم عمد إلى برمتنا فبصق فيها وبارك، فقال لنا: اغرفوا وغطُّوا البرمة، وأخرجوا الخبز من التنور ثم غطوا الخبز، ففعلنا، فجعل يغرف ويغطي البرمة ثم يفتحها، فما نراها نقصت شيئاً، ونخرج الخبز من التنور ثم نغطيه، فما نراه ينقص شيئاً، فجعل يكسر الخبز، ويجعل

(١) سورا: أي طعاماً.

عليه اللحم، ويقرب إلى أصحابه، ويقول لهم: كلوا، فإذا شبع قوم قاموا، ثم دعا غيرهم حتى أكلوا وهم ألف، وانحرفوا وإن برمتنا لتغطّ كما هي، وإن عجيننا يخبز كما هو، فقال: كلوا وأهْدُوا، فإن الناس أصابتهم مجاعة، فلم نزل نأكل ونهدي يومنا ذلك أجمع، فلما خرج رسول الله ﷺ ذهب ذلك.

فلما أهلَّ شوال سنة خمس من الهجرة خرجت أحزاب المشركين من كل جانب؛ وخرج أبو سفيان في أربعة آلاف من قريش، وعقد اللواء في دار الندوة وحمله عثمان بن أبي طلحة العَبْدَري، وقادوا معهم ثلاثمائة فرس، وألفاً وخمسمئة بعير، ولاقتهم بنو سُلَيم بمرِّ الظَّهران ـ وادي فاطمة ـ في سبعمائة يقودهم سُفيان بن عبد شمس حليف حرب بن أمية، وخرج طلحة بن خُويلد الأسدي يقود بني أسد. وخرج عُيينة بن حِصن الفزاري يقود غطفان ـ مطير ـ ومن تبعه من أهل نجد. وخرج الحارث بن عوفٍ المُرِّي في أربعمائة من بني مُرَّة. وخرج مسعود بن رخيلة الأشجعي يقود أربعمائة من أشجع. وخرج غيرهم من القبائل، فكان مجموع الأحزاب المشركة عشرة آلاف مقاتل. فأقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع السيول من رومة، بين الجرف وزغابة، هم ومن تبعهم من بني كنانة وأهل تهامة. ونزل عيينة بن حصن مع غطفان ومن تبعهم من أهل نجد بذنب أُحد[1].

وخرج رسول الله ﷺ بالمسلمين وهم ثلاثة آلاف رجل، وستة وثلاثون فرساً، وجعل لواء المهاجرين بيد زيد بن حارثة، ولواء الأنصار بيد سعد ابن عبادة، واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم، حتى أتى جبل سلع فضرب عسكره، وجعل ظهرهم إلى سلع، والخندق بينه وبين الأعداء، وكان يبعث سلمة بن أسلم الأنصاري في مائتي رجل، وزيد بن حارثة في ثلاثمائة رجل يحرسون المدينة، ويظهرون التكبير خوفاً على الذراري

(١) في ابن هشام «بذنب نقمى، إلى جانب أحد». [المصحح].

والنساء من غدر بني قُرَيظة، لأنهم كانوا من داخل الخندق إلى المدينة. وجعل النساء والذراري في الآطام، فجعل نساءه وعمته صفية في أطم يقال له: «فارع» وشَكوا المدينة بالبنيان من كل ناحية، فصارت كالحصن، وقد حصد المسلمون زرعهم قبل ذلك بشهر. فلما جاءت أحزاب المشركين ونزلوا منازلهم سرحت قُرَيش ركابها في عِضاهِ وادي العقيق، ولم تجد لخيلها هناك شيئاً إلاّ ما حملت من علفها من الذرة. وسرحت غطفان إبلها إلى الغابة في أثلها وطرفائها، وكادت خيل غطفان تهلك.

نكث بني قريظة العهد

كان كعب بن أسد القرظي رئيس بني قريظة، قد عقد عهداً مع رسول الله ﷺ لقومه بني قريظة، كما سبق ذكره في محله، ووادعه، فخرج عدو الله حُييّ بن اخطب النَّضيري حتى أتى صاحب عَقْدِ بني قريظة وعهدهم، فلما سمع كعبٌ بحُيَيّ بن أخطب أغلق دونه باب حصنه، فاسأذن عليه، فأبى أن يفتح له فناداه حيي: ويحك يا كعب افتح لي!! قال: ويحك يا حُيَيّ إنك امرؤٌ مشؤوم، وإني قد عاهدت محمداً فلست بناقض ما بيني وبينه، ولم أر منه إلا الوفاء والصدق، قال: ويحك افتح لي أكلمك، قال: ما أنا بفاعل، قال: والله إن أغلقت الحصن دوني إلاّ تخوفت على جَشيشتك ـ القمح المقشور إذا طبخ ـ أن آكل منها معك. فألح عليه حتى فتح له الباب[1]، فقال: ويحك يا كعب، جئتك بعزّ الدهر وببحر طامٍ، جئتك بقريش على قادتها وسادتها، حتى أنزلتهم بمجمع الأسيال من رُومةَ، وبغطفان على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بذنب نَقْمى إلى جانب أُحد، قد عاهدوني وعاقدوني على أن لا يبرحوا حتى نستأصل

(١) في سيرة ابن هشام «معك. فأحفظ الرجل ففتح له.

محمداً ومن معه، فقال له كعب: جئتني بذل الدهر وبجهام[1] قد هَراق ماءه، فهو يَرْعد ببرق ليس فيه شيء، ويحك يا حُيَيّ فدعني وما أنا عليه، فإني لم أر من محمد إلا صدقاً ووفاء!! فلم يزل حُيِيّ بكعب يفتله في الذروة والغارب حتى سمح له على أن أعطاه عهداً وميثاقاً لئن رجعت قريش وغطفان ولم يُصيبوا من محمد مَسًّا أن أدخل معك حِصْنك حتى يُصيبني ما أصابَك.

فنقض كعب بن أسد عهده وبرىء مما كان بينه وبين رسول الله ﷺ، فلما صار نقض العهد من كعب قام عمرو بن سعد ووعظهم، وخوفهم سوء فعالهم بنقض ميثاق رسول الله ﷺ وعهده، وقال لهم: إذا لم تنصروه فاتركوه وعدُوَّه. فأبَوْا.

وخرج إلى رسول الله ﷺ من بني قريظة، بنو سعد ـ أسد وأسيد، وثعلبة ـ فكانوا معه وأسلموا.

فلما تمَّ لحُيَيّ بن أخطب مِن كعب ما أراد، أرسل حُييّ إلى قريش أن يأتيه منهم ألف رجل، وإلى غطفان أن يأتيه منهم ألف رجل، ليغير على المدينة.

فبلغ عُمَر بن الخطاب خبرُ نقضِ بني قريظة العهد، فأعلم رسول الله ﷺ بخبرهم، فقال رسول الله ﷺ: «من يأتي بني قريظة فيأتيني بخبرهم؟» فقال الزُّبير بن العوام رضي الله عنه: أنا يا رسول الله، فانطلق إليهم ورجع بالخبر، فبعث رسول الله ﷺ سعد بن معاذ ـ وهو يومئذ سيد الأوس ـ وسعد بن عبادة ـ وهو يومئذ سيد الخزرج ـ ومعهما عبد الله بن رواحة،

---

(١) الجهام: السحاب الرقيق لا ماء فيه. [المصحح].

وخَوات بن جُبير، ومحمد بن عمرو، وأسيد بن حضير، فقال: «انطلقوا حتى تنظروا أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا؟ فإن كان حقاً فالْحنوا إليَّ لَحناً أعرفه، ولا تفتُّوا في أعضادِ الناس، وإن كانوا على وفاء فيما بيننا وبينهم فاجْهَروا به الناس» فخرجوا حتى أتوهم، فوجدوهم على أخبث ما بلغهم عنهم. فناشدوهم الله والعهد الذي كان بينهم أن يرجعوا إلى ما كانوا عليه قبل ذلك قبل أن يلتحم الأمر، ولا يطيعوا حُيَيّ بن اخطب، فقال كعب: لا نردّه أبداً وقد قطعته كما قطعت القبال، لقبال نَعْله، ونالوا من رسول الله وقالوا: مَن رسول الله؟ لا عهد بيننا وبين محمد ولا عقد. فشاتمهم سعد بن عبادة وشاتموه، وكان رجلاً فيه حدة، فقال له سعد بن معاذ: دع عنك مشاتمتهم، فما بيننا وبينهم أربى من المشاتمة، وقال أسيد بن حضير: أتسب سيدك يا عدو الله، ما أنت كفْءُ يابن اليهودية، لتولينَّ قُريش إن شاء الله منهزمين وتتركك في عُقر دارك.

ثم أقبل سعد وسعد ومن معهما إلى رسول الله ﷺ فسلموا عليه ثم قالوا: عضل والقارة (أي غدروا بنا كما غدر عضل والقارة بأصحاب الرجيع) فقال رسول الله ﷺ: «الله أكبر أبشروا يا معشر المسلمين بنصر الله تعالى وعونه، وأني لأرجو أن أطوف بالبيت العتيق، وآخذ المفتاح، وليهلكن كسرى وقيصر، ولتُنْفقَن أموالهما في سبيل الله». قال ذلك حين رأى ما بالمسلمين من الكَربِ، ثم اضطجع ومكث طويلاً.

وانتهى الخبر إلى المسلمين بنقض بني قريظة العهد، فاشتدَّ الخوف، وعظم البلاء، وخيف على الذراري والنساء، وكانوا كما قال تعالى:

﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ القُلُوبُ الحَنَاجِرَ[1]﴾.

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ١٠.

ورسول الله ﷺ، والمسلمون قبالة عدوهم، لا يستطيعون الزوال عن مكانهم، يَقتصُّون خندَقهم يحرسونه، وظَنَّ المسلمون كُلَّ ظنٍّ.

ونجم النفاق من بعض المنافقين، حتى قال مُعَتَّب بن قشير أخو بني عمرو بن عوف: كان محمد يعِدُنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر، وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط، ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً. وقال أوس بن قيظيّ أحد بني حارثة: يا رسول الله، إن بيوتنا عورة من العَدُوّ. وذلك على ملأ من الناس، فأْذنْ لنا أن نخرج، فنرجع إلى دارنا، فإنها خارج من المدينة. وقال رجال ممن معه: «يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا». فبلغ ذلك سعد بن معاذ فجاء إلى رسول الله ﷺ: فقال: يا رسول الله لا تأذن لهم، إنا والله ما أصابنا وإياهم شدة قط ألا صنعوا هكذا. ثم أقبل عليهم فقال: يا بني حارثة هذا لنا منكم أبداً، ما أصابنا وإياكم شدة إلا صنعتم هكذا.

فردهم رسول الله ﷺ.

وكان المسلمون يتناوبون الحراسة بينهم، وكانوا في برد شديد وجوع ليلاً ونهاراً، قالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ: يختلف إلى ثلمة في الخندق يحرسها، حتى إذا آذاه البرد جاءني فأدفأته في حضني، فإذا دفىء خرج إلى تلك الثلمة ويقول: «ما أخشى أن يؤتى الناس منها» فبينا رسول الله ﷺ في حضني قد دفىء ويقول: ليت رجلاً صالحاً يحرس هذه الثلمة الليلة، فسمع صوت السلاح، فقال رسول الله ﷺ: من هذا؟ فقال سعد بن أبي وقاص: سعد يا رسول الله، فقال: «عليك هذه الثلمة فاحرسها» قالت: فنام رسول الله ﷺ: حتى سمعت غطيطه. قال ابن سعد: وكان عباده بن بشر والزبير ابن العوام على حرس رسول الله ﷺ. قالت أم سلمة رضي الله عنها: كنت مع رسول الله ﷺ: في الخندق، وكنا في قرّ شديد، فإني لأنظر إليه ليلة قام فصلّى ما شاء الله أن يصلي في قبته، ثم

خرج فنظر ساعة، فأسمعه يقول: هذه خيلُ المشركين تُطيف بالخندق، ثم نادى عباد ابشر، فقال عبادٌ: لبَّيك، لبيكَ قال: «أمعك أحد؟» قال: نعم أنا في نفر من أصحابي حول قُبَّتك قال: «انطلق في أصحابك فأطف بالخندق، فهذه خيل المشركين تطوف بكم يطمعون أن يصيبوا منكم غِرَّة اللهم ادفع عنا شرَّهم وانصرنا عليهم واغلبهم فلا يغلبهم أحد غيرك» فخرج عباد في أصحابه فإذا هو بأبي سفيان بن حرب في خيل المشركين يطوفون بمضيق من الخندق، وقد نَذَر بهم المسلمون، فرموهم بالحجارة والنبل، حتى إذا لقيهم المسلمون بالرمي فانكشفوا منهزمين إلى منازلهم. قال عباد: فرحت إلى رسول الله ﷺ: فأجده يصلي فأخبرته.

فلما اشتد البلاء بعث رسول الله ﷺ إلى عيينة بن حصن قائد غطفان، وإلى الحارث بن عوف المري قائد بني مرة، بالصلح، على أن يعطيهما ثلث ثمار المدينة ويرجعان بمن معهما، فقبلوا ذلك فأحضر رسول الله ﷺ الصحيفة والدواة، وأحضر عثمان بن عفان فأعطاه الصحيفة، وهو يريد أن يكتب الصلح بينهم، وعباد بن بشر قائم على رسول الله ﷺ مقنعاً بالحديد، فأقبل أسيد بن حضير إلى رسول الله ﷺ ومعه الرمح، فقال: يا رسول الله، إن كان من أمر السماء فأمضي له، وإن كان غير ذلك فوالله لا نعطيهم إلا السيف، فما طمعوا بهذا منا. فأسكت رسول الله ﷺ. فدعا سعد بن عبادة، وسعد بن معاذ، فذكر ذلك لهما، واستشارهما، فقالا: يا رسول الله أمراً تحبه فتصنعه أم شيئاً أمرك الله به لا بد لنا من العمل به؟ أم شيئاً تصنعه لنا؟ قال: «بل شيء أصنعه لكم، والله ما أصنع ذلك إلا لأنني رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة، وكالَبُوكم من كل جانب، فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم إلى أمر ما» فقال له سعد بن معاذ: يا رسول الله، قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان، لا نعبد الله ولا نعرفه وهم لا يطمعون أن يأكلوا منا تمرة إلا قرى أو بيعاً، أفحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزنا بك وبه نعطيهم

أموالنا؟ والله ما لنا بهذا من حاجة، لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم. قال رسول الله ﷺ: «فأنت وذاك» فتناول سعد بن معاذ الصحيفة فمحا ما فيها من الكتاب ثم قال: ليجهدوا علينا.

المناوشة بالسلاح

أقبل نوفل بن عبد الله المخزومي يريد قتل النبي ﷺ على فرس له ليقتحم الخندق، فوقع في الخندق، فاندقت عنقه، ورماه المسلمون بالحجارة، فقال: يا معشر العرب قتله أحسن من هذه، فنزل إليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقتله، وعظم ذلك على المشركين، فأرسلوا إلى رسول الله ﷺ أن يعطوه الدية ويأذن لهم في دفنه، فقال رسول الله ﷺ: «لا نمنعكم أن تدفنوه، ولا إرب لنا في ديته» ولما نظر المشركون إلى الخندق قالوا: والله إن هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيد بها ولا تصنعها، وصار المشركون يتناوبون، فيغدو أبو سفيان وأصحابه يوماً، ويغدو خالد بن الوليد يوماً ويغدو عمرو بن العاص يوماً، وهبيرة بن وهب يوماً، وعكرمة بن أبي جهل يوماً، وضرار بن الخطاب أخو عمر بن الخطاب يوماً، فلا يزالون يجيلون خيلهم ويفترقون مرة، ويجتمعون أخرى، ليمرنوها على اقتحام الخندق، ويناوشون أصحاب رسول الله ﷺ، ثم تيمموا مكاناً ضيقاً من الخندق فضربوا خيولهم، فاقتحمت منه، فجالت بهم في السبخة بين الخندق وسلع، وخرج عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه في نفر معه من المسلمين، حتى أخذ عليهم الثغرة التي اقتحموا منها بخيلهم، فأقبلت الفرسان تعنق نحوهم، وكان عمرو بن العامري الذي يضرب به المثل في الشجاعة وقد حضر بدرا وقاتل مع المشركين حتى أثخنته الجراح فأثبتته وهرب فنذر أنه لا يقاتل محمداً فلم يحضر أُحداً، ولما علم بفوز المشركين يوم أُحد وكان يوم الأحزاب حضر فخرج معلما ليرى مكانه ـ ممن اقتحم الخندق: هو عكرمة بن أبي جهل، زنزفل بن عبد الله، وضرار بن

الخطاب، وهبيرة بن أبي وهب، وأقام سائر المشركين من وراء الخندق ولم يعبروا، فقيل لأبي سفيان: ألا تعبر؟ قال: قد عبرتم فإن احتجتم لنا عبرنا، فلما كانوا بين الخندق وسلع بالسبخة طلب عمرو بن عبد ود العامري المبارزة، قال ابن سعد، وكان بلغ تسعين سنة، فقام علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقال: أنا له يا نبي الله، فقال رسول الله ﷺ: «أجلس إنه عمرو» ثم كرر عمرو طلب المبارزة، وجعل يوبخ المسلمين ويقول: أين جَنَّتكم التي تزعمون إن من قتل منكم لَيدْخُلها، أفلا تبرزون لي رجلاً؟ فقام عليٌّ رضي الله عنه قال: أنا يا رسول الله، فقال ﷺ: «اجلس إنه عمرو» فقال عليّ: وإن كان عمرو؟ فأذن له رسول الله ﷺ وأعطاه سيفه ذا الفقار، وألبسه درعه الحديد، وعممه بعمامته وقال: «اللهم أعنه عليه» فأقبل عليه عليّ رضي الله عنه وهو يقول:

لَا تَعْجَلَنَّ فَقَدْ أَتَا ... كَ مُجيبُ صَوْتِكَ غَيْر عَاجِزْ
ذُو نِيَّةٍ وَبَصِيرَةٍ ... والصِّدْق من خَيْرِ الغَرَائِزْ
إني لأرجو أن أُقِيمَ ... عَلَيْكَ نَائِحَةَ الْجنائِزْ
مِنْ ضَرْبَةٍ نَجْلَاءَ يَبْقَى ... ذِكْرُها عِنْدَ الهَزاهِزْ

يا عمرو، إنك قد كنت عاهدت الله لا يدعوك رجل من قريش إلى إحدى ثلاث إلا أخذتها منه، قال عمرو: أجل!! فقال له عليّ: فإني أدعوك إلى الله، وإلى رسوله، وإلى الإسلام. قال: لا حاجة لي بذلك. قال عليٌّ: ترجع بلادَك، فإن يك محمد صادقاً كنت أسعدَ الناس به، وإن يك كاذباً كان الذي تريد. قال عمرو: هذا مما لا يتحدث به نساء قريش أبداً، كيف وقد قدرت على إيفاء ما نذرت بقتل محمد. فقال عليٌّ: فإني أدعوك إلى النزال. فضحك عمرو وقال: هذه الخصلة ما كنت أظن أن أحداً من العرب يروعني بها[1]، ادع لي أعمامك مِمن هو أشدُ منك فإني

(١) في المواهب اللدنية ٢/١١٤ يرومني على هذه الخَصلة.

أكره أن أقتلك، وإن أباك كان صديقاً لي، فقال عليٌّ: أنا والله أحب أن أقتلك. فغضب عمرو عند ذلك، فاقتحم عن فرسه، وسلّ سيفه كأنه شعلة نار فعقرها، وأقبل عَلَى عَليّ فتنازلا وتجاولا، فوثب عليه عليٌّ وثار الغبار بينهما، فابتدر عمرو عليًا بضربة، فاستقبلها عليٌّ بدرقته، فَقدَّها وأثبتَ فيها السيف، وأصاب ذبابتُه رأسَه فشجَّه، فضربه عَلِيٌّ عَلَى حَبْل عاتِقه، فسقط عدوُّ الله، فكبر المسلمون. فلما سمع رسول الله ﷺ التكبير عرف أن عليًّا قتل عَمْراً، وخرجت خيلهم منهزمة حتى اقتحمت من الخندق هاربة، وقال عليٌّ رضي الله عنه في ذلك:

نَصَـرَ الحِجارَةَ مِن سَفَاهَـةِ رَأْيِـهِ ... ونَصَـرْتُ رَبَّ مُحمَّـدٍ بِصَـوَابِ

فَصَـدَدْتُ حينَ تَـرَكْتُـه مُتَجَـدِّلًا ... كـالجِـذْعِ بين دَ كـادِكٍ وَرَوَابِي

وعَفَفْتُ عنْ أثْـوَابِـهِ وَلَـوَ انَّـني ... كُـنْتُ الـمُقَـطَّرَ بـزّني أَثْـوابي

لا تَـحْـسَـبُـنَّ الله خـاذِلَ دِيـنِـهِ ... وَنَـبِـيِّـهِ يـا مَـعْـشَـرَ الأحْـزابِ

فأقبل عليٌّ على رسول الله ﷺ: فقال له: «كيف وجدت نفسك معه؟» قال: وجدت أن لو كان أهل المدينة في جانب، وأنا في جانب لقدرت عليهم. ثم لما قتل عليٌّ رضي الله عنه عمرو بن عبدِ وُدّ العامري، وانهزم من اقتحم الخندق من المشركين، تبعهم الزبير بن العوام رضي الله عنه، فحمل على هُبيرة بن وهب زوج أمِّ هانىء أخت عليّ بن أبي طالب فضرب ثغر فرسه فقطعه، وسقط درعه وهرب، وتبع عمر بن الخطاب رضي الله عنه أخاه ضراراً[1]، وصار يشتَدُّ في أثره فهرب، ورمى عكرمة بن أبي جهل رُمحه وهو منهزم عن عمرو بن عبدوُدّ، وكان شعار أصحاب

---

(١) ضرار بن الخطاب المذكور في وقعة الخندق ليس أخا عمر، و لم يلحقه عمر وإنما هو ضِرار بن الخطاب بن مرداس الشاعر، انظر الإصابة ترجمة ٤١٦٨. ففيها قصة أم جميل التي احتمىٰ عندها ضرار وهي تثبت ما ذكرت وقد توهم برهان الدين الحلبي أن ضراراً أخو عمر وربما نقل المؤلف عنه فتابعه على ذلك. [المصحح].

رسول الله ﷺ يوم الخندق ويوم قُريظة: (حم لا يُنْصرون).

وكانت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في حِصن بني حارثة، وكان من أحرز حصون المدينة، وكانت أمُّ سعد بن معاذ رضي الله عنه معها في الحصن، فقالت عائشة ـ وذلك قبل أن يضرب علينا الحجاب ـ فمرَّ سعدُ بن معاذ وعليه درع له مقلّصة قد خرجت منها ذِراعه كلّها، وفي يده حربة يرقل[١] بها ويقول:

لَبِّثْ قَلِيلاً يَشْهَدِ الهَيْجَا حَمَلْ   لَا بَأْسَ بالموْتِ إذَا حَانَ الأجَلْ

فقالت له أمه: الحَقْ أيْ بُنَيَّ، فقد والله أخّرت؛ قالت عائشة: فقل لها: يا أم سعد، والله لوددت أن درع سعد كانت أسبغَ مما هي.

قالت: وخفت عليه حيث أصاب السهمُ منه.

فَرُمِـيَ سعدُ بن معاذ بسهم فقَطعَ منه الأَكْحَل، رماه حبّان بن قيس بن العَرِقة العامري، فلما أصابه قال: خُذْها منى وأنا ابن العَرِقة، فقال له سعد: عرَّقَ الله وجهك في النار، اللهم إن كنت أبقيتَ من حرب قريش شيئاً فأَبْقِني لها، فإنه لا قوم أحبّ إليّ أن أجاهد من قوم آذوا رسولك وكذبوه وأخرجوه، اللهم وإن كنت قد وضعتَ الحربَ بيننا وبينهم فاجعله لي شهادة ولا تُمتْني حتى تقرّ عيني من بني قريظة.

وكانت صفيَّة بنت عبد المطلب في «فارع» حصن حسان بن ثابت، وكان حسان بن ثابت مع النساء والصبيان، قالت صفية رضي الله عنها: فمرّ بنا رجلٌ من يهود، فجعل يطيف بالحصن، وقد حاربت بنو قريظة، وقطعت ما بينها وبين رسول الله ﷺ، وليس بيننا وبينهم أحد يدافع عنا، ورسول الله ﷺ، والمسلمون في نحور عدوهم، لا يستطيعون أن ينصرفوا عنهم إلينا

١) المثبت في طبعة ابن هشام الثانية: يرقد، ومعناها: يسرع، وبهامشه: أن سائر الأصول فيها يرقل.

وإن أتانا آتٍ، قالت: فقلت: يا حسان، إن هذا اليهودي كما ترى يُطيف بالحصن، وإني والله ما آمنهُ أن يدل على عورتنا مَنْ وراءنا مِن يهود، وقد شُغِل عنا رسول الله ﷺ، وأصحابه، فانْزِلْ إليه فاقتلْه، قال حسان: يغفر الله لك يا ابنة عبد المطلب، والله لقد عرفتِ ما أنا بصاحب هذا، قالت: فلما قال لي ذلك، ولم أر عنده شيئاً، احتجَزْتُ، ثم أخذت عموداً، ثم نزلت من الحصن إليه، فضربته بالعمود حتى قتلته. فلما فَرغت منه رجعت إلى الحصن فقلت: يا حسان: انزلْ إليه فاسْلُبه فإنه لم يمنعني من سَلبه إلا أنه رجل، قال حسان: ما لي بسلبِهِ من حاجةٍ يا ابنة عبد المطلب.

ثم إن طائفة من الأنصار خرجوا ليدفنوا ميتاً لهم بالمدينة، فصادفوا عشرين بعيراً محملة شعيراً وتمراً وتبناً، حملها حُيَيّ بن أخطب مدداً وتقوية لقريش، فأخذوها وأتوا بها إلى رسول الله ﷺ، فتوسع أهل الخندق بها، ولما بلغ أبا سفيان ذلك قال: إن حُيَيّاً لمشئوم.

ثم إن خالد بن الوليد كرَّ بطائفة من المشركين يطلب غِرَّة من المسلمين، فصادف أسيد بن حضير على الخندق في مائتين من المسلمين، فناوشهم ساعة ثم رجع. وصاروا بعد ذلك يرسل المشركون الطلائع بالليل، يطمعون في الإغارة على المسلمين، يريدون الغفلة.

ولما قتل الله تعالى عمرَ بن عبدِوُدّ العامري، وانهزم من كان معه، اتَّعَدَت المشركون أن يَغدُوا جميعاً ولا يتخلف منهم أحدٌ، فيأتوا بعيون أصحابهم، ثم وافَوْا رسول الله ﷺ بالخندق قبل طلوع الشمس، وعبَّأ رسول الله ﷺ أصحابه، وجمعهم على القتال، ووعدهم النصر إن صبروا. وجعل المشركون المسلمين في مثل الحصن من كتائبهم، وأحدقوا بكل وجه من الخندق، ووجهوا على خيمة رسول الله ﷺ كِتيبةً غليظة، فيها خالد بن الوليد، فقاتلوهم يومهم ذلك إلى هَوِيٍّ من الليل، فما قدر

رسول الله ﷺ ولا أحد من المسلمين أن ينزلوا من مواضعهم، ولا قدر رسول الله ﷺ ولا أصحابهُ على صلاة الظهر ولا العصر ولا المغرب، ولا العشاء. فجعل أصحابه يقولون: يا رسول الله، ما صلينا، فيقول رسول الله ﷺ: والله ما صليت، حتى كشفهم الله تعالى فرجعوا متفرقين، ورجع كل فريق إلى منزله، وقام أسيد بن حضير في مائتين على شفير الخندق، فكرت خيل المشركين وعليها خالد بن الوليد يطلبون غِرَّة أيضاً، فناوشهم ساعة، فزرق وحشى بن حرب الطفيلَ بن النعمان الأنصاريَّ بِمزراقِه، كما فعل بحمزة بن عبد المطلب سَيِّد الشهداء.

ثم لما ذهب هَوِيٌّ من الليل أمر رسول الله ﷺ بلالاً فأذَّن وأقام، فصلى الظهر كما كان يصليها في وقتها، ثم أمره فأقام، فصلى العصر كذلك ثم أمره فأقام، فصلى المغرب كذلك، ثم أمره فأقام، فصلى العشاء، ثم قال: ما عَلَى وجه الأرض قومٌ يذكرون الله تعالى في غير هذه الساعة غيركم. ثم قام رسول الله ﷺ في الناس فقال: «يا أيها الناس لا تتمنوا لِقَاءَ العدُوِّ واسألوا الله العافية، فإن لقيتم العدو فاصبروا، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف» ثم قال: «اللهم مُنزل الكتاب، سريع الحساب، اهزُم الأحزاب. اللهم اهزمهم وانصرنا عليهم».

هزيمة المشركين بحيلة

فمضى رسول الله ﷺ وأصحابه بالخندق على هذه الحال نحو شهر، ولم تتمكن الأحزاب من اقتحام الخندق بعد أن أجروا كا ما استطاعوه من حيلة وخديعة، وقام رسول الله ﷺ وأصحابه فيما وصف الله تعالى من الخوف والشدة والحاجة، لتظاهر عدوّهم عليهم، وإتيانهم من فوقهم، ومن أسفل منهم، وكان نُعيم بن مسعود الأشجعي الغطفاني صديقاً لبني قريظة، فلما سارت الأحزاب إلى رسول الله ﷺ، سار نعيم مع قومه وهو على

دينهم، وأقامت الأحزاب ما أقامت حتى أجدب الجناب، وهلك الخفّ والكراع، فقذف الله تعالى في قلبه الإسلام، وكتم قومه إسلامه، فخرج نُعيم حتى أتى رسول الله ﷺ بين المغرب والعشاء، خلسة من قومه غطفان، فوجده يصلي، فلما فرغ رسول الله ﷺ قال: ما جاء بك يا نعيم؟ قال: جئت أُصدقّك وأشهد أن ما جئت به حق، ثم قال يا رسول الله إني قد أسلمت، وإن قومي لم يعلموا بإسلامي فأْمُرني بما شئت، فقال رسول الله ﷺ: «إنما أنت فينا رجل واحد فَخَذِّلْ عنا إن استطعت فإن الحرب خدعة» «وقال له: فإنهم أرسلوا إليَّ يدعونني إلى الصلح وأردّ بني النضير إلى ديارهم وأموالهم[1] فقال نعيم: افعل، ولكن يا رسول الله إني أقول فأْذَنْ لي فأقول: قال: «قل ما بدا لك، فأنت في حلٍّ» فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بني قريظة ـ وكان لهم نديماً في الجاهلية ـ فلما رأوه رحّبوا به وأكرموه، وعرضوا عليه الطعام والشراب، فقال لهم: يا بني قريظة، إني لم آت لطعام وشراب، وقد عرفتم ودّي إياكم وخاصَّةَ ما بيني وبينكم، قالوا: صدقت، لست عندنا بمتّهم، وأنت عندنا على ما نحب من الصدق والبر، قال: فاكْتُموا عني، قالوا: نفعل، قال: إن أمر هذا الرجل بلاء ـ يعني النبي ﷺ ـ صنع ما رأيتم ببني قينقاع وبني النضير، وأجلاهم عن بلادهم بعد قبض أموالهم، وإن إبن أبي الحقيق سار فينا فاجتمعنا معه لننصركم، ورأى أن الأمر قد تطاول كما ترون، وإن قريشاً وغطفان ليسوا كأنتم، البلد بلدكم؛ فيه أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم، لا تقدرون أن تحولوا منه إلى غيره، وإن قريشا وغطفان قد جاءوا لحرب محمد وأصحابه، وقد ظاهرتموهم عليه، وبلادهم وأموالهم ونساؤهم بغيره، فليسوا كأنتم، فإن رأوا نهزة وغنيمة أصابوها، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلَّوْا

---

(١) ما بين المائلين مقحم على النص الذي أورده أصحاب السير ولا معنىً له هنا، ولم أجده في مصدر قديم. [المصحح].

بينكم وبين هذا الرجل، وقد كبر عليهم جانب محمد، جلبوا عليه بالأمس إلى الليل، فقتل رأسهم عمرو بن عبدوُدّ، وهربوا منه مجروحين، لا غنى بهم عنكم، لما يعرفون عنكم، والرجل ببلادكم، ولا طاقة لكم به إن خلا بكم، فلا تقاتلوه مع القوم حتى تـأخذوا منهم رُهُنـاً من أشرافهم سبعين رجلاً، يكونون بأيديكم ثقةً لكم على أن تقاتلوا معهم محمدا حتى تناجزوه. فقالوا له: قد أشرت بالرأي والنصح.

قال: فاكتموا عَلَيَّ. ثم خرج حتى أتى قريشاً فقال لأبي سفيان بن حرب ومن معه من أشراف قريش وساداتهم: قد عرفتم ودّي لكم، وفراقي محمداً، وأنه قد بلغني أمرٌ قد رأيت حقّاً عليَّ أن أبلغكموه نصحاً لكم، فاكتموه عَلَيَّ، قالوا: نفعل، قال: تعلمون أن بني قريظة قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد، فأرادوا إصلاحه ومـراجعته، وقـد أرسلوا إليه، وأنا عنده، أن قد ندمنا عَلَى ما فعلنا، فهل يرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين من قـريش وغـطفـان رجـالاً من أشـرافهم فنعـطيكهم فتضـرب أعناقهم، ثم نكون معك على من بقي منهم حتى نستأصلهم ونردّ جناحنا التي كسرت إلى ديارهم ـ يعنون بني النضير ـ فأرسل إليهم: أن نعم. فإن بعثت إليكم يهود يلتمسون رُهُناً من رجالكم فلا تدفعوا إليهم منكم رجلاً واحداً، واحذروا على أشرافكم. ثم خرج حتى أتى غطفان فقال: يا معشر غطفان، إنكم أهلي وعشيرتي، وأحبُّ الناس إليَّ، وأنا رجل منكم، ولا أراكم تتهمونني، قالوا: صدقت، ما أنت عندنا بمتّهم، قال: فاكتموا عَنِّي، قالوا: نفعل فما أمرك؟ ثم قال لهم: مثل ما قال لقريش، وحـذرهم أن يدفعوا إليهم رجلاً واحداً منهم.

ثم أرسلت بنو قريظة عزال بن سموك إلى قريش إن ثواءَكم قد طال ولم تصنعوا شيئاً، فليس الذي تصنعون برأي، إنكم لو وعـدتمونـا يومـاً تزحفون فيه إلى محمد فتأتون من وجه وتأتي غطفان من وجه، ونخرج من

وجه آخر لم نفلت محمداً من بيننا، ولكن لا نخرج معكم حتى ترسلوا إلينا برهان من أشرافكم ليكونوا عندنا، فإننا نخاف إن مسكم الحرب أو أصابكم ما تكرهون أن تنشمروا إلى بلادكم وتتركونا في عُقر دارنا، وقد نابذْنَا محمداً بالعداوة.

فلما جاء الرسول لم يرجع بفائدة من أبي سفيان، وقال أبو سفيان لما ذهب رسول بني قريظة: هذا ما قال نعيم، فخرج نعيم إلى بني قريظة فقال: بينما أنا عند أبي سفيان إذ جاء رسولكم إليه يطلب منه الرهان، فلم يردّ عليه شيئاً، فلما ولّى قال: لو طلبوا مني عَناقاً ما رهنتها، أنا أرهنهم سراة أَصحابي يدفعونهم إلى محمد يقتلهم فارتَئُوا رأيكم ولا تقاتلوا مع أبي سفيان وأصحابه حتى تأخذوا الرهن، فإنكم إن لم تقاتلوا محمدا وانصرف أبو سفيان تكونون على مواعدتكم الأولى، قالوا: لا نرجو ذلك يا نعيم.

وقال كعب بن أسد: أنا والله لا أقاتله، لقد كنت لهذا كارهاً، ولكن حُيِيّ رجل مشؤوم، قال الزبير بن باطا: إن انكشفت قريش وغطفان عن محمد لم يقبل منا إلا السيف، لتخرجُن إلى محمد، ولا تطلبوا رهنا من قريش فإنها لا تعطينا رهناً أبداً، وعلى أي وجه تعطينا قريش الرهن، وعددهم أكثر من عددنا، ومعهم الكراع، وهم يقدرون على الهرب، ونحن لا نقدر عليه، وهذه غطفان تطلب إلى محمد أن يعطيها بعض ثمار المدينة، فأبى إلا السيف فهم ينصرفون من غير شيء، فلم يوافق الزبير غيره من القوم على مساعدة قريش إلا برهن.

فلما كانت ليلة السبت، وكان من صنع الله تعالى لرسوله ﷺ أن أرسل أبو سفيان بن حرب ورؤساء غطفان إلى بني قريظة: عكرمة بن أبي جهل، في نفر من قريش وغطفان، فقالوا لهم: إنا لسنا بدار مقام، وقد هلك الخفّ والحافر، فاغْدُوا للقتال حتى نناجز محمداً ونفرغ مما بيننا

وبينه. فقالوا لهم: إن اليوم يوم السبت، وهو يوم لا نعمل فيه شيئاً، وقد كان أحدث فيه بعضنا حدثاً فأصابه ما لم يخف عليكم، ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم محمداً حتى تعطونا سبعين رجلاً رُهُناً من رجالكم يكونون بأيدينا، ثقةً لنا حتى نناجز محمداً، فإنا نخشى إن ضَرِسَتْكم الحربُ واشتدَّ عليكم القتال أن تمشوا إلى بلادكم وتتركونا، والرجل في بلادنا، ولا طاقة لنا بذلك منه.

فلما رجع عكرمة بن أبي جهل ومن معه من الرسل إلى قومهم وأخبرهم بما قالت بنو قريظة قالت قريش وغطفان: والله إن الذي حَدَّثكم به نعيم بن مسعود لحق، فارسلوا إلى بني قريظة: إنا والله لا نبدفع إليكم رجلاً واحداً من رجالنا، فإن كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا. فقالت بنو قريظة حين انتهت الرسل إليهم بهذا: إن الذي ذكر لكم نعيم بن مسعود لحق، ما يريد القوم إلاَّ أن تقاتلوا، فإن رأوا فرصة انتهزوها، وإن كان غير ذلك انشمروا إلى بلادهم وخَلَّوْا بينكم وبين الرجل في بلادكم، فأَرسلوا إلى قريش وغطفان: إنا والله لا نقاتل معكم محمداً حتى تعطونا رُهُناً، فأبوا عليهم، وخذل الله تعالى بينهم على يد نعيم بن مسعود، رضي الله عنه، ذلك الذي بعثه الله تعالى من قلب العدُوّ في ساعة اشتداد الكرب «إنَّ مَعَ العُسرِ يُسراً».

فلما أيس أبو سفيان بن حرب من بني قريظة، وأيس من اقتحام الخندق، كتب كتاباً وأرسله إلى رسول الله ﷺ وهو: باسمك اللهم، أحلف باللات والعزى وإساف ونائلة وهبل، لقد كسرت إليك في جمع، فأنا أريد أن لا أعود أبداً حتى أستأصلك، فرأيتك قد كرهت واعتصمت بالخندق، وهو مكيدة ما كانت العرب تعرفها، وإنما تعرف ظل رماحها، وشبا سُيوفها، وما فعلت إلاَّ فراراً من سيوفنا ولقائنا، ولك مني اليوم كيوم أحد. فأرسل إليه رسول الله ﷺ الجواب وهو: «بسم الله الرحمن الرحيم،

أما بعد، من محمد رسول الله إلى صخر بن حرب، فقد أتاني كتابك، وقديماً غرَّك بالله الغرور. أما ما ذكرت أنك سرت إلينا وأنت لا تريد أن تعود حتى تستأصلنا فذلك أمر يحول الله تعالى بينك وبينه، ويجعل لنا العاقبة، وليأتين عليك يوم أكسر فيه اللات والعزى وإساف ونائلة وهبل، حتى أذكرك يا سفيه بني غالب» ثم دعا رسول الله ﷺ فقال: «اللهم منْزل الكتاب، سريع الحساب، أهزم الأحزاب، اللهم أهزمهم وزلزلهم».

ولما أراد الله سبحانه وتعالى لرسوله ﷺ الفوز والنصر، وقضى على المشركين بانخذالهم وتفرق كلمتهم، بعث عليهم ريح الصّبا في ليالٍ شديدة البرد، فجعلت تُكفِىء قدورهم، وتطرح آنيتهم، وتهدم بيوتهم. قال حذيفة بن اليمان: والله لو رأيتنا مع رسول الله ﷺ بالخندق، وصلّى رسول الله ﷺ هَوِيًّا من الليل ثم التفت إلينا فقال: «من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثمَ يرجع، يشرط له رسول الله ﷺ الرجعة، أسأل الله تعالى أن يكون رفيقي في الجنة؟» فما قام رجل من القوم من شدة الخوف، وشدة الجوع، وشدة البرد، فلما لم يقم أحد دعاني رسول الله ﷺ، فلم يكن لي بدٌّ من القيام حين دعاني، فقال: «يا حذيفة، اذهبْ فادخل في القوم، فانظر ماذا يصنعون، ولا تُحدِثنَّ شيئاً حتى تأتينا» قال: فذهبت فدخلت في القوم، والريح وجنود الله تفعل بهم ما تفعل، لا تقُرُّ لهم قدراً ولا ناراً ولا بناءً. فقام أبو سفيان فقال: يا معشر قريش لينظر امرؤٌ من جليسه، واحذروا العيون والجواسيس، قال حذيفة: فأخذت بيد الرجل الذي كان عن يميني فقلت: من أنت؟ قال: معاوية بن أبي سفيان، ثم ضربت بيدي على يد الذي إلى يساري فقلت له: من أنت؟ قال: عمرو بن العاص، وذلك خشية أن يفطنوا به، فقال أبو سفيان: يا معشر قريش إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام، لقد هلك الكراع والخفّ، واخلفتنا بنو قريظة، وبلغنا عنهم الذي نكرهه، ولقينا من شدة الريح ما ترون، ما يطمئنُّ لنا قِدْر، ولا تقوم لنا نار، ولا يستمسك لنا بناء، فارتحلوا فإني مرتحل. ثم قام إلى جمل له وهو

معقول، فجلس عليه ثم ضربه فوثب على ثلاث، فوالله ما أطلق عقاله إلا وهو قائم، ولولا عهد رسول الله ﷺ إليَّ أن لا تحدث شيئاً حتى تأتيني ثم شئت لقتلتـه بسهم.

فقال له عكرمة بن أبي جهـل: إنك رأس القـوم وقائـدهم، كيف تذهب وتترك الناس؟ فنادى بـالرحيـل، فجعل القـوم يرتحلون. ثم قـال أبو سفيان لعمرو بن العاص، وخالد بن الوليد: أقيموا في مائتي فارس بإزاء محمد وأصحابه، فإنا لا نأمن من أن نُطْلَب، وسار جميع العسكر.

وسمعت غطفان بقرار قريش، فانهزموا راجعين إلى ديارهم. فأتى حذيفةُ رسول الله ﷺ فأخبره بما رأى، فحمد الله وأثنى عليه، وضحك حتى بدت ثناياه، فأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الذينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إذْ جَاءَتْكُمْ جُنودٌ فأَرْسَلْنا عليْهم رِيحاً وجُنوداً لَمْ تَرَوْهَا﴾ تلك الرياح الباردة التي قلعت الأوتاد، وقطعت أطنـاب الخيام، وأطفـأت النيران، وأكفـأت القدور، وسفت التراب في وجوههم، وماجت الخيلُ بعضها في بعض، حتى قال طُلَيحةُ الأسديّ: أما محمد فقد بدأكم بالسحر، فالنجاءَ النجاءَ. فانهزموا من غير قتال لما بعث الله في قلوبهم الرعب ﴿وكَانَ الله بما تعْمَلُونَ بَصيراً* إذْ جاءُوكمْ مِنْ فوقكم﴾ من فوق الوادي من قِبَل المشرق، وهم: أسد، وغطفان، وقريظة ﴿ومِن أسْفَل مِنْكُمْ﴾ بطن الوادي من قبل المغرب وهم: قـريش، وكنانـة، ﴿وَإذ زَاغَتِ الأَبْصارُ وبَلَغَتِ القُلُوبُ الحَنَـاجِرَ وَتَظُنُّونَ باللهِ الظُّنُونَا*﴾ فظن المؤمن أن الله تعالى منجز وعده بنصر رسوله وإعلاء كلمته، وظن المنافقونَ استئصال محمد وأصحابه ﴿هُنَـالِكَ ابْتُلِيَ المؤْمنونَ﴾ فصبروا وجاهدوا وهم مُوقِنون بـالفوز والنصـر من الله تعالى، ورغماً عن كثرة العدو وإحاطته بهم من كل جانب ﴿وزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شدِيداً﴾ وزلزل المنافقون وظهر النفاق في قلوبهم على ألسنتهم فصرحـوا به ﴿إذْ

يَقُولُ المُنَافِقُون﴾ ابن سلول وابن قشير ومن على شاكلتهم **﴿والذين فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا الله وَرَسُولُه إلاَّ غُروراً * وإذْ قالت طائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فارْجِعُوا ويَستأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إنَّ بيُوتَنَا عَوْرةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرةٍ إنْ يُرِيدُونَ إلاَّ فِراراً * وَلَوْ دُخِلَتْ عليهم مِن أَقْطارِها ثُمَّ سُئِلُوا الفِتْنَةَ لآتوها﴾** ولو دخلت عليهم طوائف الأحزاب في بيوتهم وطلبوا منهم الشرك لأشركوا، لأنه ليس في قلوبهم من الإيمان شيء **﴿وَمَا تَلَبَّثُوا بِها إلاَّ يسيراً *﴾** وقال الله تعالى: **﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا الله مِنْ قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الأَدبارَ وكانَ عَهْدُ الله مَسْئُولاً *قلْ لَنْ يَنْفعَكُمُ الفِرَارُ إنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الموْتِ أو القَتْلِ وَإذاً لا تُمَتَّعُونَ إلاَّ قليلاً * قُلْ مَنْ ذا الذي يَعْصِمُكُم مِنَ الله إنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءاً أو أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلاَ يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ الله وَلِيًّا ولا نَصِيراً﴾**[1] حيث إن القضاء والقدر لا مفر منه، والإنسان محتم أجله، فلا ينفعه الفرار من الموت إن أدركه الأجل، ولا يصيبه شيء إن بقي أجله، وذلك يحتاج إلى قوة الإيمان، إلى قوله تعالى: **﴿وَرَدَّ الله الذينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِم لَمْ يَنَالُوا خَيْراً وَكَفَى الله المؤمنينَ القِتالَ وكانَ الله قويًّا عَزِيزاً﴾**[1] وقد صرف الله المشركين خائبين منخذلين، ومن شدة خوفهم من رسول الله ﷺ أن يلحقهم بأصحابه جعل أبو سفيان عَمرو بن العاص، وخالد بن الوليد، في مائتي فارس يحمون ساقتهم. ورجع رسول الله ﷺ من الخندق يوم الأربعاء لثلاث وعشرين من شهر ذي القعدة، سنة خمس من الهجرة إلى المدينة، لم يمسسهم سوء، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا» وكانت غزوة الخندق آخر سهم في كنانة قريش رموْا به رسول الله ﷺ والمسلمين.

---

(١) سورة الأحزاب، الآيات من الآية ٩ إلى الآية ١٧.
(١) سورة الأحزاب، الآية: ٢٥.

فحاصل ما وقع في هذه الغزوة هو:

أولاً: مسألة حفر الخندق، وهو من ابتكارات سلمان الفارسي، رضي الله عنه، حيث لم تعرفه العرب قبل ذلك، ولم تستعمله في حروبها، لأن السواد الأعظم من العرب يقطنون الفيافي والقفار، وحروبهم كانت على طريقة الكَرِّ والفرّ، وأما سكان المدن فهمُ الذين يُفكّرون في أنواع التحفظات التي تحمي بلدانهم من هجمات العدو. ولذلك حصل من حفر الخندق فوائد عظيمة.

منها: الحيلولة العظمى التي حصلت بين رسول الله ﷺ وأعدائه، فلم يتمكنوا من وصول الأذى إلى رسول الله ﷺ وأصحابه.

ومنها: أن استغنى رسول الله ﷺ بواسطة الخندق عن الإستعداد بجيوش تضاهِي عَدوّهُ عدداً وَعُدَّة، وهو لم يملك من الجيوش غير أصحابه الذين ثبتوا معه إلى نهاية الوقعة، وعددهم لم يبلغ ربع عدد العدو.

ثانياً: لما عرضت الصخرة في جوف الخندق، وضربها رسول الله ﷺ فقال في الضربة الأولى: «الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام» وقال في الضربة الثانية «الله أكبر أعطيت مفاتيح فارس» وقال في الضربة الثالثة: «الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن» هِزِىء به المنافقون، وقال بعضهم: يعدنا محمدٌ بكنوز كسرى وفارس وإن أحدنا لا يأمن أن يذهب إلى الغائط. حيث قال ذلك رسول الله ﷺ وهو وأصحابه في أشد حالات الكرب، وهذه التصريحات في تلك الحالة من الأمور التي لا يصدقها إلا قوي الإيمان، بعيد النظر، وأما الجاهل الأحمق، والغبي الأرعن، فإن نظره قاصرٌ، وإدراكاته سقيمة، فهو لا ينظر إلى أبعدَ من أنفه، ولا يتصور بعقله السخيف إلاّ أبسط الأمور وضوحاً، فهو إذا استطاع أن يفسر الماء بعد الجهد بالماء ظن في نفسه أنه صار من أعظم فلاسفة العالم علماً وإدراكاً. وأخذ يقيس دقائق الأمور وجليلها على ذلك العقل السخيف المتحجر، فتجده على عدد

اللحظات ينبذ ما حبذه يراع فلاسفة الإسلام، وجهابذة العلماء، وذلك لأنه لم ينطبق على ذلك العقل المتحجر، وأمثال أولئك المنافقين موجودون في كل عصر ومِصر، وأعظمهم وقاحة وتبجحاً وغطرسة من كان من الملاحدة في العصر الحاضر، وقد فاقوا على أولئك المنافقين حماقةً ورُعونةً، وجهلًا وكذباً وتملقاً ونفاقاً، وقد تجردوا من المروءة والإنسانية، والشيمة، والإحتشام، وكل مواد الأدب والاحترام، وعَدُّوا مكارم الأخلاق من ضمن الخرافات القديمة، لأنهم لا يعرفون لمكارم الأخلاق قيمة، ولكونهم لم يتعودوا على ذلك، بل إذا وجدوا أحداً يهزأ بالفضيلة، عطفوا عليه وقالوا: هذا الرجل الحرّ، هذا الرجل الصريح، حيث إن الحرية عندهم هي الوقاحة والإباحة البهيمية، وأما الصراحة فهي عندهم البذاءة والتبجُّج، فالبلاء في الدنيا ليس بحادث، بل هو قديم، وهؤلاء هم المجدّدون لما كان قديماً من الحِطة والخِسّة وما شاكل ذلك، وهم النابذون لمكارم الأخلاق، وللفضيلة، وجعلوا التمسك بهما ضَرْباً من الرجعية والعودة إلى الوراء ألف عام، ومثل هؤلاء كمثل عَبدة الشيطان بأمريكة، لما سئلوا عن ذلك قالوا: إن الشيطان أباح لهم كل شيء، ولم يُضيِّق عليهم في ملذات الحياة الدنيا، ولم يحرّم عليهم شيئاً. ولذلك تجد في كل العصور المتمسكين بالدين الصحيح قليلاً وقليلاً جداً، وفي هذا العصر أقلّ من القليل، بل صار نادراً، ومحلّ سخرية في نظر السواد الأعظم من الملاحدة العصريين. مع أن كل ما قاله النبي ﷺ قد حصل في حينه، وربما أدرك أولئك المستهزئون فتح مدن كسرى، وقيصر، واليمن، لأنه لم يمض على قول النبي ﷺ بضع سنين حتى فتح الله تعالى على المسلمين بها، وشاهدوا تلك الغنائم التي كانت ترد إلى المدينة. ومن عادة الناس أن الحقير يَهزَأ بالشريف، والجاهل يسخر من العالم، لأن عقولهم قاصرة، وقلوبهم فارغة، وأفهامهم متحجرة وأفكارهم ضيقة، وأخلاقهم فاسدة. ونفوسهم دنيئة، فلو كان عندهم من العقل مثقال ذرة لما استبعدوا

ذلك في حق الأنبياء والرسل، صلوات الله عليهم أجمعين، وما قال رسول الله ﷺ شيئاً في أمور الدنيا إلا وقد وقع فِعْلاً، وعرف وقوعه المؤمنون وغير المؤمنين، فمن ذلك لما أخبرهم بفتح الشام وفارس واليمن وقع فعلاً، ولما أخبرهم عن الفتنة التي ستقع بين أصحابه وقعت فعلاً. ولما أخبر المشركين بمكة في بدء دعوته قريشاً إلى الإسلام بقتل سادتهم استهزئوا به وقد قتلوا يوم بدر ووقع ذلك فعلاً، ولما قال لعثمان بن طلحة رئيس سدنة الكعبة بمكة حال سيطرة المشركين على مكة لما منعه من دخول الكعبة: «سترى هذا المفتاح يوماً في يدي» يعني مفتاح الكعبة، فوقع ذلك فعلاً يوم فتح مكة، كما سيأتي تفصيله في محله، وقد وقع كل ذلك في قلوب بعض المشركين موقع صدق، وكان سبب إسلام كثير منهم، ولو أردنا أن نسرد من هذه الأمثلة التي حدّث بها رسول الله ﷺ، ووقعت بالفعل لضاق بنا المجال، وبسبب ذلك انتشر الإسلام، وأصبح يعدّ معتنقوه بالملايين، بعدَ أن كان في بدئه يعدّ بالعشرات، وانبني على صدق ما حدث به رسول الله ﷺ، وشاهدوا وقوعه بالفعل، صدق كل ما حدث به عن حالات الآخرة والمغيبات، حيث إن القاعدة تصديق كل من عرف بالصدق، ولم يجرب عليه الكذب، وكذلك تكذيب من عرف بالكذب، ولو صدق بعد ذلك فلا ينبني قوله إلا ما عرف منه.

ومن تأمل شواهد القرآن، وتصفح أمثلته المضروبة على عظمة الله تعالى وقدرته في خلق الخلق، وأحكام صنعه، وكان من ذوي العقول والإدراك والفهم، والذكاء، آمن وصدق بكل ما جاء به القرآن من حكم ونصح وإرشاد، لأن ما جاء به القرآن من عند الله تعالى كله مطابق للعقل الصحيح، ومن هذه الشواهد قوله تعالى:

﴿خَلَقَ اللهُ السَّمواتِ والأَرْضَ بالحَقِّ إنَّ في ذَلِكَ لآيةً للمؤمنين[1]﴾

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٤٤.

وقوله تعالى: ﴿إنَّ في السموات والأرض لآياتٍ للمؤمنين﴾ وقوله تعالى:

﴿إنَّ فِي خَلْقِ السَمَوَاتِ والأرْضِ، واخْتِلافِ اللّيْلِ والنهارِ والفُلْكِ الَّتِي تَجْري في البَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ الناسَ ومَا أَنْزَلَ الله مِنَ السَّمَاءِ من ماءٍ فأحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَةٍ وتَصْرِيفِ الرِّياح لآيات لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ[2]﴾.

وقوله تعالى:

﴿الله الذي سَخَّرَ لكمُ البحرَ لِتَجْرِيَ الفُلْكُ فيه بأمْرِه ولِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ولَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ[3]﴾.

فيظهر له أن ما يقوله طاغية الإلحاد لتلاميذه في هذا العصر: ليس القرآن إلا كتاباً ككل الكتب الخاضعة للنقد، فيجب أن يجري عليه ما يجري عليها، والعلم يحتم عليكم أن تصرفوا النظر نهائياً عن قداسته التي تتصورونها، وأن تعتبروه كتاباً عادياً، فتقولوا فيه كلمتكم، ويجب أن يختص كل واحد منكم بنقد شيء من هذا الكتاب، وتبيين ما يأخذه عليه من الوجهات اللفظية والمعنوية التفكيرية، إلى آخر ما قاله الملحد الكافر الصريح في كفره، والغبي الجاهل العميق في جهله، فلو كان عنده من الاطلاع على ما جاء في السير ولو على قدر بسيط لوجد أن جهابذة الفصاحة من كفار قريش الذين واجهوا النبي ﷺ، وجهاً لوجه، وناظروه، وكابروه في كل ما جاء به، أصبحوا مكتوفي الأيدي، ومكمومي اوفواه، أمام إعجاز القرآن، مع تنديد القرآن لهم بقوله تعالى:

---

(١) سورة الجاثية، الآية: ٣.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٦٤.

(٣) سورة الجاثية، الآية ١٢.

﴿فأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ﴾[1].

وكان من شأنهم بعد أن اعترفوا بعجزهم عن إتيان آية من آياته أن قالوا: ﴿هذَا سِحْرٌ مُبين[2]﴾ أولئك الفصحاء مثل عتبة بن ربيعة. وأبي جهل ونُبيه ابن الحجاج، وغيرهم الذين نزل القرآن بلُغتهم، وهم أعلم الناس بمفردات ألفاظِه، وبديع معانيه، فما بالك بمن هو جاهل بجهله، وغبي بغباوته، ومغرور بحماقته، وجنونه؟ الذي يصدق عليه قول الإمام الشافعي رضي الله عنه:

جُنُونُكَ مَجنونٌ ولَسْت بِوَاجِدٍ   طَبِيباً يُدَاوِي مِنْ جُنُونِ جُنُونِ

فمهما يقل الإنسان في هؤلاء الأغبياء الذين تصدروا في كراسي العلم والتعليم، وإفساد بعض الناشئة الإسلامية، وأخرجوهم من حظيرة الإسلام إلى الحضيض الأدنى، من الإلحاد، وفساد الأخلاق، ومكابرة الحقائق، فلا يستطيع أحد أن يوفيهم ما يستحقونه من الإهانة والتحقير، والتضليل والتكفير، لأنهم صم بكم عمي فهم لا يعقلون:

﴿أُولئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ الله فأَصَمَّهُمْ وأعْمَى أَبْصَارَهُمْ﴾[3].

وسيدخلون جهنم ويقال لهم:

﴿اخْسَئُوا فِيها وَلاَ تُكَلِّمُونِ[4]﴾.

فقد خصكم الله بخزي الدنيا وعذاب الآخرة. أيها الأفاكون إذا حدا بكم الغرور من أنفسكم أن تنتقدوا القرآن وتنسوا أنفسكم، وأخذ بكم

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٣.
(٢) سورة النمل، الآية: ١٣، والأحقاف، الآية: ٧، والصف، الآية: ٦.
(٣) سورة محمد، الآية: ٢٣.
(٤) سورة المؤمنون، الآية: ١٠٨.

الجهل حتى وجدتم من أنفسكم الكفاءة لذلك، هل كان أحد من قبلكم منذ ثلاثة عشر قرناً ونصف، ممن اتصف بالعلم أو الفلسفة أو المنطق، أو البلاغة أو الحماقة والغباوة والجنون أو الوقاحة والتبجح، والسخافة والسفسطة أو الكفر والإلحاد والجهل انتقد القرآن في نظمه ومعانيه وحكمه وهديه وإرشاده وبلاغته، حتى تسنى لكم أن تقلدوه في ذلك كما قلدتم ملاحدة أوروبا تقليداً أعمى، حسب عادتكم بدون أن تفهموا لأي شيء ألحدت ملاحدة أوروبا في مسيحيتها؟ أو أتيتم بالجديد على زعمكم؟ فوالله لقد شوهتم العلم والنقد والتجديد حتى والإلحاد، لأنكم برهنتم على أنفسكم أنكم أحط الناس أخلاقاً، وإدراكاً، وفهماً.

ناظرني أحمق من نصراء طاغية الإلحاد فيه، وكان من ضمن احتجاجاته أن عظماء فلاسفة أوروبا لقبوه بدكتور التجديد، فأجبته على فرض صحة ما يقول: يظهر أنك وهو غبيان إلى منتهى حد الغباوة، لأنك وإياه قنعتما بهذا اللقب، ولم تعلما أنهم قد قصروا في حقه أي تقصير، حيث كان من الواجب على مجامع أوروبا، وأميركة التبشيرية أن يعملوا له تماثيل من ذهب، وينصبوها في أعلى موضع من عواصمهم، ولعلهم أن يكافئوه بما يستحق، لأن العمل الذي قام به، والتأثير السيء الذي أحدثه في قلوب بعض الناشئة الإسلامية، من العصريِّين، وإخراج عشرات الألوف منهم عن طريق الهدى، وسبيل الرشاد، قد وفر بعمله ذلك على المجامع التبشيرية عشرات الملايين من الجنيهات، وأراحهم من أتعاب عظيمة، مع أنهم مهما كابدوا وأنفقوا من ملايين الجنيهات فلا يمكنهم أن يضلوا عُشْر مِعشار ما أضلّ طاغية الإلحاد بسبب انتسابه إلى الإسلام، ولولا هذا الإنتساب لما تسنّى له أن يضل ولا غبياً واحداً، لأنه أضلهم عن الإسلام باسم الإسلام، ولكن الباطل عمره قصير، وسيعلم الذين ألحدوا أي منقلب ينقلبون:

﴿إنَّ الذينَ يُلْحِدُون فِي آياتِنا لا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أفَمَنْ يُلْقى في النَّار خَيْرٌ أمْ مَنْ يَأْتِي آمناً يَوْمَ القِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إنَّهُ بِمَا تَعْمَلونَ بَصِيرٌ﴾[1].

ولا ينكر أحد ممن وقف على حقيقة أولئك الملاحدة أنهم قد أساءوا سمعة الشبيبة الإسلامية في كثير من الأقطار، حيث صار بعض البسطاء يظن أن عموم الناشئة على مذهبهم، مع أن الأمر على غير ذلك، فالشبيبة المسلمة هي التي عليها المعول في كل عصر، وبالأخص العصر الحاضر، في رفع شأن الإسلام، وعزه ومجده، وهي التي تذبّ عنه بكل قواها، وهذا ظاهر وآخذ في التقدم. لأن التطرف والمتطرفين في الدنيا قليل، ولو كان السواد الأعظم منهم لما بقي رجاء ولا أمل في مستقبل الإسلام، لكونهم هم رجال المستقبل، وعليهم جهاد خصومه.

وكذلك من المعجزات التي وقعت في غزوة الخندق وتعد من غرائب الإتفاق تفرق هذه الجموع بحيلة رجل، بعثه الله تعالى من قلب المشركين، جاء إلى النبي ﷺ في حالة اشتداد الكرب، وآمن به، وهو نُعيم بن مسعود، واستأذن منه فيما يريد عمله، ففرق تلك الجموع بسياسة عجيبة، ولو وقعت في هذا العصر من أحد العصريين لحاز أعظم لقب من الألقاب التي تمنح لأقطاب السياسة مع أن ذلك الرجل هو أعرابيٌ من قطّان الفيافي والقفار، ولم يحز شهادةً من الكليات الكبرى، فالكلية التي تخرج منها نُعيم بن مسعود هي كلية الفِطرة العربية، فكم أخرجت هذه الكلية من أقطاب، ولا زالت تخرج للعالم العربي حتى اليوم جهابذة وعواهل؟ ففرق هذا الرجل العظيم ـ نعيم بن مسعود رضي الله عنه ـ جموع الأحزاب بدهائه الفطري، وذكائه العربي ـ وقد كان قبل لحظة مع المشركين ـ ليحمي الإسلام ونبي الإسلام، وبعد ساعة صار من رجال الإسلام، وفي تلك اللحظة فرق الأحزاب المشركة. والله إن ذلك لمن غرائب الاتفاق، كيف لا

---

(١) سورة فصلت، الآية: ٤٠.

وجيوش مجتمعة لاستئصال رسول الله ﷺ وأصحابه، يفرقها ويخذلها رجل واحد منها، ذلك صنع الله تعالى في خلقه، ليعلم عبيده المتقين أن النصر بيده يمنحه لعباده بيد من شاء من خلقه، ويعلم المتبصر أنه بقدرته تعالى يهزم عشرة آلاف مقاتل بحيلة رجل واحد، فسبحانه من إله قادر جل وعلا.

غزوة بني قريظة(١)

قد عرف القارىءُ بني قريظة وما عاملهم به النبي ﷺ من يوم دخوله المدينة إلى غزوة الخندق، وما عاملوا به رسول الله ﷺ وأصحابه بمكرهم، وحيلهم، وخدعهم، وغدرهم وخيانتهم، وعلم أن اليهود يضمرون كل سوء للمسلمين، وليس لذلك داع غير الحسد وحده، لأنهم مكثوا في المدينة عدة قرون، فلم يستطيعوا أن يُهوّدوا عُشْر سكان المدينة، وإن النبي ﷺ استطاع في مدة وجيزة أن يدخل معظم الأوس والخزرج في الإسلام، وصاروا من أنصاره، حتى على اليهود أنفسهم، وعلى كل من خالفه، مع أن اليهود ـ وبالأخص بني قريظة ـ يعلمون حق العلم، أن النبي ﷺ، هو النبي المنتظر، المثبوتة صفته في توراتهم الصحيحة، وقد تناظروا فيما بينهم في ذلك، حتى قال كثير منهم. إنه يعلم علم اليقين أنه ﷺ، هو النبي الذي أمرهم موسى باتّباعه، ولكنهم لا يستطيعون متابعته، لما في قلوبهم من نار البغضاء والحسد له، وليس لذلك لشيء سوى أنه بُعِث من العرب، ولم يُبعَث من بني إسرائيل، ولذلك كانوا يتربصون لرسول الله ﷺ وأصحابه كل فرصة يكون فيها هلاكهم، فما زالوا على ذلك يثيرون عليه الفتن، ويحزّبون عليه الأحزاب، ويدسون له الدسائس، فكانت وقعة بني قينقاع، فلم يعتبروا منها، ثم تلتها وقعة بني النضير، فلم يتعظ بنو قريظة

(١) انظر سيرة ابن هشام ٣/٢٤٤ والمواهب اللدنية ٢/١٢٦.

مما حصل على بني النضير بسبب من سموه المشئوم حُيَيّ بن أخطب، مع تيقظهم لذلك، ويقينهم أن ما حصل على تلك القبيلتين هو بسبب تحرشهم برسول الله ﷺ، وتعديهم على أصحابه وعليه أيضاً، وقد اجتمع عقلاؤهم حينما وقعت الواقعة على رأس حُيَيّ بن أخطب وقومه بني النضير، وتذاكروا في ذلك، فقال بعضهم: يا قوم، والله إنكم لتعلمون أنه النبي الذي جاء نعته في التوراة، أُمِرْنا بمتابعته، فهددهم رئيسهم كعب بن أسد بأنه من أراد متابعته منكم فليذهب إليه، وكان من نتيجة ذلك الاجتماع الإصرار على بقائهم على ما هم عليه من المباعدة والبغضاء والحسد، وتَربُّص الفرص، حتى جاءت تلك الفرصة العظيمة، وهي تحزب الأحزاب على استئصال رسول الله ﷺ، بسعى أشقى اليهود حُيَيّ بن أخطب ومن معه من أبناء أبي الحقيق، ولم يكن عند رسول الله ﷺ ولا أحد من المسلمين شبهة في بني قريظة أنهم يكونون مع الأعداء في حالة اشتداد الكرب، ولذلك فإنهم لما حفروا الخندق جعلوا حده الشرقي حَرَّة بني قريظة، لأنهم على يقين أن بني قريظة من حزب المسلمين ـ وإن لم يقاتلوا معهم فيبقون على الحياد ـ ولم يَدُرْ في خلد المؤمنين أن بني قريظة تحارب في صف الأحزاب، ولو خطر ببالهم لجعلوا الخندق حائلاً بينهم وبين بني قريظة، كما جعلوه حائلاً بينهم وبين الأحزاب، حيث إن المؤمن لم يضمر خلاف ما يظهر، بل المؤمن إذا قال صدق، وإذا قيل له صَدّق، وأما اليهود فعلى غير ذلك، فإنهم لا يعرفون للصدق معنى، فما كان من بني قريظة إلّا الدخول مع الأحزاب لحرب رسول الله ﷺ والمؤمنين، فما طرق سمع رسول الله ﷺ ذلك إلا وقد اشتد به الكرب، حيث إنه لا طريق للأحزاب إلى رسول الله ﷺ وإلى المسلمين وإلى المدينة وإلى النساء وإلى الذراري وإلى القتل والسبي والأسر بن إلا طريق بني قريظة، وأصبح الخندق لا يغني عنهم في الدفاع شيئاً، فهناك البلاء العظيم، والخطر الجسيم، ووقتذاك ضاقت الدنيا بما رحبت على المؤمنين، فأرسل إليهم رسول الله ﷺ الزُّبير بن العوام

ليأتيه بالخبر، فعاد بالخبر، فأرسل إليهم ثانياً رسول الله ﷺ سيدَيِ الأوس والخزرج السَّعْدَيْنِ ـ سعد بن معاذ، وسعد بن عبادة ؛ فلما أتيا إليهم، وناشداهم الله في العهد والميثاق الذي كان بينهم وبين رسول الله ﷺ، قالوا لهما: لا عهد ولا ميثاق بيننا وبينكم، ونالوا منهما وتشاتما، فلما عادا إلى رسول الله ﷺ وأخبراه الخبر، وعلم الناس بخبر بني قريظة، تفاقم الشر، واشتد الكرب، وخاف الناس على النساء، والذراري، ونجم النفاق، ورجع كثير من الناس إلى دورهم وانخذل المنافقون والذين في قلوبهم مرض، وقالوا:

﴿مَا وَعَدَنَا اللَّهُ ورَسُولُه إلاَّ غُروراً﴾(1).

وأصبح العدو من أمامهم ومن خلفهم، وعن ايمانهم، وعن شمائلهم، وفي وسطهم، بعد أن كان العدو من أمامهم فقط، والخندق حائل بينهم وبينه، فهل بعد هذا الموقف شيء غير الموت أو الحياة؟ وهل صار هذا الارتباك قبل دخول بني قريظة مع الأحزاب؟ هل بقي بعد ذلك في قلب أي إنسان كان في ذلك الموقف الحرج عطف أو شفقة على بني قريظة، تلك الأمة الغادرة؟ فما بقي أحد من الناس ـ ممن كان بالخندق ـ إلا وقد امتلأ قلبه غيظاً وحنقاً على بني قريظة، وقد تسلل من بني قريظة نفر نحو البيوت والأطم التي بها نساء المسلمين وذراريهم حتى قتلتْ صفيةُ بنتُ عبد الطلب رضي الله عنها واحداً منهم، كما تقدم، واضطر رسول الله أن يجعل قسماً من الجيش لحراسة المدينة، وكل ذلك قد تقدم تفصيله.

فلما رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة هو وأصحابه، ووضعوا السلاح، واغتسل، أتاه جبريل فقال: إن الله يأمرك بالمسير إلى بني قريظة، فإني عامد

(1) سورة الأحزاب، الآية: ١٢.

إليهم فمزلزل بهم، فأمر رسول الله ﷺ بلالاً، فأذن في الناس: من كان سامعاً ومطيعاً فلا يصلّين العصر إلا في بني قريظة، ولبس ﷺ السلاح والدرع والمغفر والبيضة، وأخذ قناة بيده وتقلد القوس، وركب فرسه «اللحيف»[1] وسار إلى بني قريظة في ثلاثة آلاف رجل وستة وثلاثين فرساً، وبعث ﷺ عليَّ بنَ أبي طالب رضي الله عنه على المقدمة ودفع إليه اللواء، واستعمل على المدينة ابن أمِّ مكتوم، وذلك يوم الأربعاء لثلاثة وعشرين يوماً من شهر ذي القعدة، سنة خمس من الهجرة، ونزل على بئر من آبار بني قريظة، وتلاحق الناس، فلما دنا عليٌّ بن أبي طالب من الحصن ومعه نفر من المهاجرين والأنصار، غرز اللواء عند أصل الحصن، فسمع من بني قريظة في صياصيهم يشتمون رسول الله ﷺ وأزواجه، قال أبو قتادة: وسكتنا وقلنا السيف بيننا وبينكم، فلما رأى عليٌّ رسولَ الله ﷺ مقبلاً أمر أبا قتادة الأنصاري أن يلزمَ اللواء ورجع إلى رسول الله ﷺ وقال له: يا رسول الله، لا عليك أن لا تدنو من هؤلاء الأخابث، قال: «لِمَ أظنُّك سمعت منهم لي أذى»؟ قال: نعم، يا رسول الله، قال: «لو رأوني لم يقولوا من ذلك شيئاً» فسار رسول الله ﷺ إليهم وتقَدمه أسيد بن حضير، فلما دنا من حصنهم قال: «يا إخوان القِرَدة، هل أخزاكم الله وأنزل بكم نقمته، أتشتمونني»؟ فجعلوا يحلفون ما قلنا، وقالوا: يا أبا القاسم ما كنت جهولا، فقال لهم أسيد بن حضير: يا أعداء الله لا تبرحوا من حصنكم حتى تموتوا جوعاً. إنما أنتم بمنزلة ثعلب في جحر. فقالوا: يا ابن حضير نحن مواليك دون الخزرج، فقال: لا عهد بيني وبينكم ولا إلّ. ودنا رسول الله ﷺ وتترَّس أصحابه عنده، واجتمع المسلمون عنده، عِشاءً، وبعث سعد بن عبادة رضي الله عنه بأحمال تمر لرسول الله ﷺ والمسلمين، فكان طعامهم، فقال رسول الله ﷺ يومئذ: «نعم الطعام التمر».

(١) في المواهب اللدنية: بضم اللام وفتحها قال في القاموس كأمير وزبير وحاؤه مهملة ويروى بالجيم وبالخاء المعجمة، رواه البخاري.

وغدا رسول الله ﷺ سَحَراً، وقَدَّم الرماة، وعبأ أصحابه، فأحاطوا بحصون يهود. وراموهم بالنبل والحجارة، وهم يرمون من حصونهم حتى أمْسَوْا، فباتوا حول الحصون، وجعل المسلمون يعتقبون - يعقب بعضهم البعض - فما برح رسول الله ﷺ يراميهم حتى أيقنوا بالهلكة. وتركوا رمي المسلمين.

وكان حُيَيّ بن أخطب عدو الله ورسوله الذي جمع الأحزاب وحرضهم على استئصال رسول الله ﷺ، قد دخل مع بني قريظة في حصنهم، إيفاء بالعهد السالف لكعب بن أسد، أنه إن رجعت الأحزاب ولم يستأصلوا رسول الله ﷺ يدخل حصنهم ويحميهم ويقاتل معهم، فلما أيقنت بنو قريظة أن رسول الله ﷺ غير منصرف عنهم حتى يقضي فيهم بحكم الله تعالى على الخائنين، قال رئيسهم كعب بن أسد: يا معشر بني قريظة، والله قد نزل بكم من الأمر ما ترون، وإني أعرض عليكم ثلاث خلال فخذوا أيها شئتم، قالوا: وما هي؟ قال: نتابع هذا الرجل ونصدقه، فوالله لقد تبين لكم أنه نبي مرسل، وأنه الذي تجدونه في كتابكم فتأمنون به على دمائكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم، والله إنكم لتعلمون أن محمداً نبيٌّ، وما منعنا من الدخول معه إلا الحسد للعرب، حيث لم يكن من بني إسرائيل، ولقد كنت كارهاً لنقض العقد والعهد، ولم يكن البلاء والشؤم إلا من هذا الجالس حُيَيّ بن أخطب، أتذكرون ما قال لكم ابن خراش حين قدم عليكم: تركت الخمر والخمير والتأمير وجئت إلى الشقاء والتمر والشعير؟ قالوا: وما ذاك؟ قال: إنه يخرج بهذه القرية نبي، فإن يخرج وأنا حيّ أتبعه وأنصره، وإن خرج بعدي فإياكم أن تخدعوا عنه، واتبعوه وكونوا أنصاره وأولياءه، وتكونوا آمنتم بالكتاب الأول والآخر، وكنتم تدرسون ذكره في كتبكم، وتعلمون الولدان صفته وأن مُهاجَرَهُ المدينة، قال ذلك قبل أن يبعث. قالوا: لا نفارق حكم التوراة، ولا نستبدل به غيره.

قال كعب: إذا أبيتم عليَّ هذا فهلم نقتل أبناءنا ونساءنا، ثم نخرج

إلى محمد وأصحابه رجالاً مصلتين بالسيوف لم نترك وراءنا ثقلاً حتى يحكم الله بيننا وبين محمد، فإن نهلك، نهلك ولم نترك وراءنا ما نخشى عليه، قالوا: وأي عيش لنا بعد أبنائنا ونسائنا؟ فقال: إن أبيتم عليَّ هذه فإن الليلة السبت، وعسى أن يكون محمدٌ وأصحابه قد آمنوا فيها، فانزلوا لعلنا نصيب من محمد وأصحابه غِرّة.

قالوا: نفسد سبتنا ونُحدِث فيه ما لم يُحَدِث فيه مَنْ كان قبلنا إلاّ مَن قد علمت فأصابه ما لم يَخْفَ عليك من المَسْخ. فقال كعب: ما بات رجل منكم منذ ولدته أمه ليلة واحدة من الدهر حازماً. فقال ثعلبة وأسيد ابنا سعية، وأسد بن عبيد ابن عمهم - وهم نفر من هُذيل ليسوا من بني قُريظة ولا النضير، نسبهم فوق ذلك وهم بنو عم القوم -: يا معشر بني قريظة، والله إنكم لتعلمون أنه رسول الله، وصفته عندنا وحدثنا بها علماؤنا وعلماء بني النضير، هذا أولهم - يعني حُيَيّ بن أخطب - مع خبر البيهان أصدق الناس عندنا، هو أخبرنا بصفته عند موته. قالوا: لا نفارق التوراة. فلما رأى هؤلاء النفر إباءهم نزلوا تلك الليلة التي في صبحها نزلت بنو قريظة فأسلموا وآمنوا على أنفسهم وأهليهم وأموالهم. وقال عمرو بن سعدى: يا معشر اليهود إنكم قد حالفتم محمداً على ما حالفتموه عليه، على أن لا تنصروا عليه أحداً. وأن تنصروه ممن دهمه، فنقضتم عهده الذي كان بينكم وبينه، فلم أدخل فيه، ولم أشرككم في غدركم، فإن أبيتم أن تدخلوا معه فاثبتوا على اليهودية وأعطوه الجزية، فوالله ما أدري أيقبلها أم لا؟ قالوا نحن لا نقر للعرب بخراج في رقابنا يأخذونه، وإن القتل خير لنا من ذلك. قال: فإني بريء منكم، وخرج تلك الليلة فمرّ بحرس النبي ﷺ وكان عليه محمد بن مسلمة الأنصاري، فقال محمد: من هذا؟ فانتسب له، فقال محمد: اللَّهمْ لا تحرمني غرائب الكرام[1]، فخلى سبيله، فذهب عمرو حتى

---

(١) في سيرة ابن هشام ٣/٢٤٩ «اللهم لا تحرمني إقالة عثرات الكرام».

أتى مسجد رسول الله ﷺ فبات فيه وأسلم، فلما أصبح غدا فلم يُعْلَم أين سلك إلى اليوم، فأخبر به النبي ﷺ فقال: «ذاك رجل نجاه الله بصدقه».

ثم بعد أن طال على بني قريظة الحصار، أرسلوا شأس بن قيس إلى رسول الله ﷺ: أن ينزلوا على ما نزلت عليه بنو النضير من أن لهم ما حملت الإبل إلا الحلقة، فأبى رسول الله ﷺ، أن يحقن دماءهم ويسلمهم نساءهم والذرية، فأرسلوا له ثانياً بأنهم لا حاجة لهم بشيء من الأموال، فأبى رسول الله ﷺ إلا أن ينزلوا على حكمه، فعاد شأس إليهم بذلك. فطلبوا من رسول الله ﷺ، أن يبعث إليهم أبا لبابة رفاعة بن المنذر الأنصاري رضي الله عنه، ليستشيروه في أمرهم، فأرسله إليهم، فلما رأوه قام إليه الرجال، وجهش إليه النساء والصبيان في وجهه، فرقّ لهم، فقال كعب بن أسد: يا أبا لبابة إنا قد اخترناك على غيرك، إن محمداً قد أبى إلا أن ننزل على حكمه أفترى أن ننزل على حكمه؟ قال: نعم، وأشار بيده إلى حلقه أنه الذبح.

قال أبو لبابة: فوالله ما زالت قدماي من مكانهما حتى عرفت أني قد خنت الله ورسوله، ثم انطلق أبو لبابة على وجهه، فلم يأت رسول الله ﷺ، حتى أتى المسجد، فارتبط في المسجد إلى عمود من عمده بسلسلة ثقيلة، وقال: لا أبرح من مكاني هذا حتى أموت أو يتوب الله عَليَّ مما صنعت، وعاهدت الله أن لا أطأ بني قريظة أبداً ولا أُرى في بلد خُنْتُ اللَّهَ ورسوله فيه أبداً.

فلما بلغ رسول الله ﷺ خبره ـ وكان قد استبطأه ـ قال: «أَما إنه لو جاءني لاستغفرت له، فأما إذ قد فعل ما فعل، فما أنا بالذي أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه» فنزلت توبة أبي لبابة على رسول الله ﷺ: من السحر وهو في بيت أم سلمة رضي الله عنها، فسمعت رسول الله ﷺ من السحر وهو يضحك، فقالت: مِمَّ تضحك يا رسول الله، أضحك الله سنك؟ قال: «على أبي لبابة». قالت: أفَلاَ أبشره يا رسول الله؟ قال: «بلى إن شئت» فقامت على

باب حجرتها، وذلك قبل أن يضرب عليهم الحجاب فقالت: يا أبا لبابة، أبشر فقد تاب الله عليك. فثار الناس إليه ليطلقوه. فقال: لا والله حتى يكون رسول الله ﷺ، هو الذي يطلقني بيده: فلما مر عليه رسول الله ﷺ، خارجاً إلى صلاة الصبح أطلقه، وأقام أبو لبابة مرتبطاً بالجذع ست ليال تأتيه امرأته في كل وقت صلاة فتحله للصلاة، ثم يعود فيرتبط بالجذع، ونزل في حق أبي لبابة من القرآن:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا الله وَالرَّسُولَ وتَخونُوا أَمَانَاتِكُمْ وأَنْتُمْ تَعلَمون﴾[1].

وقوله تعالى:

﴿وآخَرُونَ اعْتَرَفوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحَاً وآخرَ سَيِّئاً عَسَى الله أَنْ يَتُوبَ عليهمْ إنّ الله غَفورٌ رحيمٌ﴾[2].

ثم إن علي بن أبي طالب رضي الله عنه لما رأى أبا لبابة خارجاً من بني قريظة، صاح على بني قريظة: يا كتيبة الإيمان، فاقتحم هو والزبير بن العوام رضي الله عنه على حصنهم وقال: والله لأذوقن ما ذاق حمزة أو لأقتحمن حِصنهم، فخاف بنو قريظة، ونزلوا على حكم رسول الله ﷺ: وكانوا نحو السبعمائة مقاتل، فأمر رسول الله ﷺ بأسرهم، فكتفوا رباطاً، وجعل على أكتافهم محمد بن مسلمة الأنصاري رضي الله عنه، فحبسوا بالمدينة في دار بنت الحارث من بني النجار، وأخرجوا النساء والذراري من الحصون، وكانوا نحو ألف، فحازوهم إلى جهة، وجعل عليهم عبد الله بن سلام، وجمعت أمتعتهم وما وجدوا في حصونهم من الحلقة ـ وهي أدوات الحرب ـ والأثاث

(١) سورة الأنفال، الآية: ٢٧.
(٢) سورة التوبة، الآية: ١٠٢.

والثياب ـ ووجدوا فيها ألفاً وخمسمائة سيف وثلاثمائة درع، وألفي رمح، وألفا وخمسمائة ترس وجحفة، وأثاثاً كثيراً وآنية كثيرة، وخمراً وجراراً وسكراً، فهريق ذلك كله ولم يخمسه، ووجد من الجمال النواضح والماشية والشياه والنخيل وغير ذلك شيء كثير، فتواثب الأوس فقالوا: يا رسول الله، إنهم كانوا موالينا وحلفاءنا دون الخزرج، وقد فعلت في موالي إخواننا الخزرج بالأمس ما قد علمت، فقال لهم رسول الله ﷺ: «اختاروا من شئتم من أصحابي» فاختاروا سعد بن معاذ رضي الله عنه ـ وكان سيد الأوس ـ فرضي رسول الله ﷺ: وكان رسول الله ﷺ قد جعل سعد بن معاذ في خيمة لامرأة من أسلم يقال لها: (رُفَيْدة) في مسجده؛ كانت تداوي الجرحى، وتحتسب بنفسها على خدمة من كانت به ضيعة من المسلمين، وكان رسول الله ﷺ قد قال لقومه حين أصابه السهم بالخندق: «اجعلوه في خيمة رُفَيدة حتى أعوده من قريب» فلما رضي رسول الله ﷺ، بحكم سعد بن معاذ رضي الله عنه، خرجت الأوس حتى جاءوه فحملوه على حمار، وقد وطّئوا له بوسادة من أدم، وكان رجلاً جسيماً جميلاً، ثم أقبلوا معه إلى رسول الله ﷺ، وهم يقولون له: يا أبا عمرو، أحسِنْ في مواليك، فإن رسول الله ﷺ إنما ولاك ذلك لتحسن فيهم.

فلما أكثروا عليه قال: لقد آن لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم، فقال الضحاك بن خليفة ين ثعلبة بن عدي بن كعب بن عبد الأشهل الأنصاري: واقوماه!! وقال غيره منهم نحو ذلك، ثم رجع الضحاك إلى الأوس فنعى لهم رجال بني قريظة قبل أن يصل إليهم سعد، عن الكلمة التي سمعها منه، فأقبل سعد إلى رسول الله ﷺ والمسلمين، قال رسول الله ﷺ: «قوموا إلى سيدكم» فأما المهاجرون من قريش فيقولون إنما أراد رسولُ الله ﷺ الأنصار وأما الأنصار فيقولون قد عم بها رسول الله ﷺ. فقاموا إليه، فقال رسول الله ﷺ لسعد بن معاذ: «هؤلاء قريظة على حكمك» فقال سعد: الله ورسوله أحق بالحكم. قال: «قد أمرك الله أن تحكم فيهم»

فقال الأنصار: يا أبا عمرو، إن رسول الله ﷺ قد ولاك أمر مواليك لتحكم فيهم، فقال سعد بن معاذ: عليكم بذلك عهد الله وميثاقه أن الحكم فيهم لَمَا حَكمتُ؟ قالوا: نعم، فقال لبني قريظة: أترضون بحكمي؟ قالوا: نعم، فأخذ عليهم عهد الله وميثاقه أن الحكم ما حكم به. ثم أشار إلى جهة رسول الله ﷺ إجلالاً له وقال: وعلى مَنْ هنا؟ فقال رسول الله ﷺ: «نعم» قال سعد: فإني أحكم فيهم أن نقتل المقاتلة، وأن تسبى النساء والذرية، وأن تقسم أموالهم، وتكون الديار للمهاجرين دون الأنصار. قال جابر بن عبد الله: فقالت إخواننا ـ يعني الأنصار ـ كنا معهم (في القتال)، فقال سعد: أحببت أن يستغنوا عنكم ، فقال رسول الله ﷺ: «لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرِقعة»[1] وذلك لأن بني قريظة قد خانت الله ورسوله ﷺ، فكان حكم سعد فيهم بحكم الله تعالى على الغادر الذي لا يحترم العهد والميثاق.

ثم أمر رسول الله ﷺ بالغنائم، فأخرج منها الخمس من المتاع والسبي، وأمر بالباقي فبيع فيمه يزيد[2]، وقسمه بين السملمين، فكانت القسمة على ثلاثة آلاف واثنين وسبعين سهماً، للفرس سهمان ولصاحبها سهم، وأمر بالأسارى أن يكونوا في دار أسامة بن زيد، وبعث ﷺ سعد بن زيد الأنصاري أخا بني عبد الأشهل بسبايا من سبايا بني قريظة إلى نجد، فابتاع لهم بها خيلاً وسلاحاً، وكان رسول الله ﷺ قد اصطفى لنفسه من نسائهم ريحانة بنت عمرو بن خنافة، إحدى نساء بني عمرو بن قريظة، فكانت عند رسول الله ﷺ حتى توفى عنها وهي في ملكه، وقد كان رسول الله ﷺ عرض عليها أن يتزوجها ويضرب عليها الحجاب، فقالت: يا رسول الله بل تتركني في ملكك فهو أخف عليّ وعليك فتركها فأسلمت بعد ذلك.

(١) الأرقعة: السموات، الواحدة: رقيـع.
(٢) في المواهب اللدينة «يريد» وانظر اللسان والتاج (زيد) «فيمن يزيد».

فرجع رسول الله ﷺ إلى المدينة يوم الخميس، لسبع ليال خلون من شهر ذي الحجة، سنة خمس من الهجرة، فكان مدة حصار بني قريظة خمس عشرة ليلة، وأمر بإدخال بني قريظة، وإبراز مقاتلتهم، ثم أمر بحفر أخدود في السوق، فلما أصبح رسول الله ﷺ غدا إلى السوق، فكان أصحابه هناك يحفرون، وجلس رسول الله ﷺ ومعه عامة أصحابه، ودعا برجال بني قريظة، فكانوا يخرجون أرسالاً فقالوا لكعب بن أسد ـ وهم يذهب بهم إلى رسول الله ﷺ ارسالاً ـ يا كعب، ما ترى محمداً يصنع بنا؟ قال: ما يسوءكم ويلكم، أفي كل موطن لا تعقلون، ألا ترون الداعي لا ينَزع، وأنه من ذُهِب به منكم لا يرجع، هو والله السيف قد دعوتكم إلى غير هذا فأبيتم عليَّ، قالوا: ليس هذا بحين عتاب. ولولا أنا كرهنا أن نُزْرِيَ برأيك ما دخلنا في نقض العهد الذي بيننا وبين محمد، قال حيي بن أخطب: اتركوا ما ترون من التلاوم فإنه لا يرد عنكم شيئاً واصبروا للسيف.

وكان الذين يلون قتلهم: علي بن أبي طالب، والزبير بن العوام.

ثم أُتِي بحُيَيّ بن أخطب مجموعة يداه إلى عنقه بحبل وعليه حلة فقاحية قد لبسها للقتل، ثم عمد إليها فشقها أنملة أنملة لئلا يلبسها أحد بعده، فلما نظر إليه رسول الله ﷺ قال: «ألم يكن الله مكّن منك يا عدو الله؟ قال: بلى، أبى الله إلاّ أن يمكنك مني، أما والله ما لمت نفسي في عدواتك، ولكن من يَخْذل الله يُخْذَل، ولقد التمست العزّ في مظانّه، ولقد قلقلت كلّ مقلقل، ثم أقبل على الناس فقال: أيها الناس، لا بأس بأمر الله، قدر، وكتاب، ومَلْحمة كُتِبت على بني إسرائيل. ثم جلس فضربت عنقُه.

ثم أُتي بكعب بن أسد رئيس بني قريظة، فقال له رسول الله ﷺ: «يا كعب» قال: نعم يا أبا القاسم، قال: «ما انتفعتم بنصح ابن خراش لكم، وكان مصدِّقاً بي، أما أمركم باتباعي وأنكم إن رأيتموني تقرءوني منه السلام»؟ قال: بلى والتوراة، يا أبا القاسم، لولا أن تعيرني يهود بالجَزع

من السيف لاتبعتك، ولكنه على دين يهود، فضربت عنقه. ثم أتى بنباش بن قيس وقد جاذب الذي جاء به حتى قاتله، فدق الذي جاء به في أنفه فأرعفه، فقال رسول الله ﷺ للذي جاء به: «لم صنعت هذا به ما كان في السيف كفاية»؟ فقال: يا رسول الله جاذبني لأن يهرب، فقال نباش: كذب والتوراة يا أبا القاسم، لو خلاني ما تأخرت عن موطنٍ قتل فيه قومي حتى أكون كأحدهم. فقال رسول الله ﷺ: «أحسنوا أساراكم، وقيلوهم واسقوهم حتى تبردوا فتقتلوا من بقي، لا تجمعوا عليهم حر الشمس، وحر السلاح، فقيلوهم واسقوهم».

ثم إن سعد بن عبادة، والحباب بن المنذر رضي الله عنهما قالا: يا رسول الله، إن الأوس قد كرهت قتل بني قريظة لمكان حلفهم، فقال سعد بن معاذ رضي الله عنه: ما كرهه من الأوس أحد فيه خير، فمن كرهه فلا أرضاه الله.

وقال أسيد بن حضير رضي الله عنه فقال: يا رسول الله لا تبق داراً من الأوس إلاّ فرقت فيها من بني قريظة، ليقتلهم الأوس، فمن سخط فلا يرغم الله إلا أنفه، فابعث إلى داري أول دورهم، ففرق رسول الله ﷺ منهم فيها فقتلوهم، وتعاطى علي بن أبي طالب والزبير بن العوام رضي الله عنهما قتل بني قريظة، حتى فرغوا منهم عند الغروب، فجمعت جثث من قتل بدور الأوس وألقيت في الأخدود فرد عليهم التراب.

وكان ثابت بن قيس الأنصاري الخزرجي رضي الله عنه منَّة للزَّبير بن باطا القُرظي يوم بعاث في الجاهلية، فجاء ثابت إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إنه كان للزَّبير عليَّ منَّة، وقد أحببت أن أجزيه بها، فهب لي دمه، فقال رسول الله ﷺ: «هو لك» فأتى الزبير بن باطا فقال له: قد استوهبت دمك.

فقال الزَّبير: إني شيخ كبير، لا أَهل لي ولا ولد، فما أصنع بالحياة؟

فأتى ثابت إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، بأبي أنت وأمي، هب لي أهله وولده. فقال: «هم لك» فأتى الـزَّبِير بن بـاطا فقـال له: أهلك وولدك لك. فقال الزَّبِير: أهل بيت بالحجاز لا مال لهم، فما بقاؤهم؟ فأتى ثابت رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله: مالـه، قال: «هـو لك» فـأتى الزَّبِير بن باطا فقال له: مالك لك، فقال: يا ثابت أما أنت فقد كافأتني، وقـد قضيت الذي عليـك، فما فُعِـل بكعب بن أسد رئيس بني قـريظة، وحُيَيّ بن أخطب وابن سموأل، وبني كعب وبني عمرو بن قريـظة؟ فقال ثابت: قتلوا. قال: فإني يا ثابت لا أرغب في الحياة بعـدهم، فالحقني بهم، فقال ثابت: ما كنتُ لأقتلك. فقتله الزُّبَير بن العوام رضي الله عنه.

واستوهبت سلمى بنت قيس ـ وكانت من خالات النبي ﷺ ـ رفاعة القرظي، فوهبه لها، ثم أسلم بعد ذلك. وأقر الله تعالى عين سعد بن معاذ رضي الله عنه في بني قريظة، وشفى صدره منهم. ولم يقتل من النساء إلا امرأة واحدة، وهي التي طرحت الرحىٰ على خلاد بن سويد فقتلته، وكان عدد من قتل من بني قريظة ستمائة مقاتل.

وقد أعطى رسول الله ﷺ النساء اللاتي حضرن القتال ولم يسهم لهن وهن:

(١) صفية بنت عبد المطلب.
(٢) أم عمارة نسيبة.
(٣) أم سليط،
(٤) أم العلاء الأنصارية.
(٥) السميرا بنت قيس.
(٦) أم سعد بن معاذ كبشة بنت رافع، رضي الله عنهن.

ونهى رسول الله ﷺ أن يفرق في القسم والبيع بين النساء والذرية وقال: «لا يفرق بين الأم وولدها حتى يبلغ».

وأنزل الله تعالى:

﴿ وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الكتابِ مِنْ صَياصِيهِمْ﴾ حصونهم ﴿وقَذَفَ فِي قُلوبِهِم الرُّعْبَ فَرِيقاً تقتُلُونَ وَتَأسِرُونَ فَرِيقاً * وأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُم ودِيارَهُمْ وأَمْوالَهم وأَرْضاً لم تطئوها﴾ خَيْبَر ﴿وكانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شيءٍ قَدِيراً﴾[1].

فلما انتهى شأن بني قريظة انفجر جُرح سعد بن معاذ رضي الله عنه. فمات شهيداً، فال رسول الله ﷺ: «اهتزّ عَرْش الرحمن لموتِ سعد بن معاذ» أخرجه البخاري.

وكان الذي استشهد يوم الخندق ستة وهم:

(١) سعد بن معاذ.

(٢) أنس بن أوس بن عتيك بن عمرو بن عبد الأشهل.

(٣) عبد الله بن سهل، من بني عبد الأشهل. وهؤلاء الثلاثة من الأوس.

(٤) الطفيل بن النعمان الخزرجي.

(٥) ثعلبة بن غنمة الخزرجي.

(٦) كعب بن زيد من بني دينار بن النجار، أصابه سهم لم يعرف راميه فقتله، رضي الله عنهم أجمعين،

وقتل من المشركين يوم الخندق ثلاثة وهم:

(١) منبه بن عثمان من بني عبد الدار، أصابه سهم فمات بمكة منه.

(٢) نوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزومي، قتل في الخندق.

---

(١) سورة الأحزاب، الآيتان: ٢٦، ٢٧.

(٣) عمرو بن عبدود العامري من بني عامر بن لؤي.

فحاصل هذه الغزوة أن بني قريظة لم يَرُقْ لهم بال منذ دخل رسول الله ﷺ المدينة، ولم تقابل الحسنة بمثلها، كشأن الأمم التي تريد المجاملة والمسالمة مع من جاورها أو ساكنها، فقد دعاهم رسول الله ﷺ إلى الإسلام، وباحثهم مع عموم اليهود فيما أنزل على موسى في التوراة، وقرأ عليهم القرآن، وبيّن لهم ما أخفوه عنه وعن الناس من أصل التوراة التي أنزلت على موسى عليه السلام، وعرفوا أنه الحق من ربهم، فما زادهم ذلك إلّا كفراً وعناداً وحسداً، وأخذوا يتربصون الفرص لهلاكه وهلاك أصحابه، كما تقدم تفصيله، ولم يعاملهم بالمثل، بل كان يلاطفهم، ويستميل قلوبهم، آملاً أن يعودوا إلى رشدهم، وينبذوا الحسد والضغينة، لكونهم من أهل الكتاب، ولهم اطلاع على حقيقة نبوته ومبعثه، وطالما تحدثوا بذلك، وتهددوا الأوس والخزرج وتوعدوهم بظهوره، وأنهم سيكونون من أنصاره متى بُعِث، فلم يؤثر كل ذلك فيهم، ولم يؤوبوا إلى رشدهم، فكلما تقرب منهم رسول الله ﷺ شبراً تباعدوا عنه ميلاً، كما هو شأن الحقود اللدود، فكان من أمر بني قينقاع وبني النضير ما تقدم ذكره، فأجلاهم وأبقى بني قريظة، وجدد معهم العهد والميثاق بأن لا يخونوه، ولا يظاهروا عليه عدواً، وأن عليهم نصره على كل من بغى عليه، فكان بقاؤهم على هذا الشرط رغماً عن تحذير الأنصار له من غدرهم، مع أنه لم يكلفهم بفتيل، ولا نقير ولا قطمير، ولم يستنفزهم قط في غزوة من غزواته، ولا سرية من سراياه، بل كان قانعاً منهم بالحياد لا عليه ولا له، ثم لما نجم النفاق في وقعة أحد وحصل ما حصل وكثر اللغط والقيل والقال، لم يتغير عليهم، ولم يسمهم بسوء، بل تضاعف لطفه ﷺ بهم وتزايد حلمه حتى تحزّبت الأحزاب على استئصال رسول الله ﷺ وأصحابه. بسعي حيي بن أخطب رأس الكفر، والفساد والعناد، وخليفة أبي جهل في الشر والفساد، فانضمت بنو قريظة مع الأعداء، في يوم

محنته، حين خروجه ﷺ وأصحابه إلى الخندق ولم يصحب معه أحداً منهم، مع أن تكليفهم بالخروج معه في يوم كهذا واستعانته بهم وبسلاحهم أمر ضروري، بناء على شروط المعاهدة القاضية عليهم بذلك، كما هو حاصل في هذا العصر، وهو معلوم حتى عند بسطاء الناس، ومشاهد بالعيان، وذلك أنه متى دخلت دولة من الدول في حرب مع دولة أخرى، فأول ما تبدأ بتجنيد رعاياها المستعمرين، وسوقهم إلى الحرب، بعد أن تتحصل منهم على ما يجهزهم من أموالهم، هذا متى استعملت معهم الإنصاف، وإلا كان ذلك أضعاف ما يجب، كل ذلك تسامح فيه رسول الله ﷺ، وهو لا شك يعلم كل ما ينبغي عمله مع بني قريظة من الاحتياط والتحفظ، ورغماً عن كل ذلك قد وقع من بني قريظة ما لم يقع مثله من بني قينقاع وبني النضير، كما تقدم تفصيله وعلمه القارىء، من غدر، وخيانة، ونقض العهود، فقد خانوا الله ورسوله والمؤمنين، والإنسانية، والجوار، وانضموا مع الأحزاب، وعاهدوهم على استئصال رسول الله ﷺ والمؤمنين، وواطئُوا حُيَيّ بن أخطب على إدخال ألفي مقاتل من قريش، وغطفان، لينضموا إليهم، ويهاجموا النساء، والصبيان، والذرية، داخل المدينة، على غرة من رسول الله ﷺ والمؤمنين، حيث لا وصول إلى ذلك إلا عن طريقهم، فصاروا هم قنطرة الشر والبلاء على الإسلام، وكانوا هم السبب الأعظم في ارتباك المسلمين وتشويشهم، لأن الخندق قد حال بين المشركين وبين ما يريدون، وبخيانتهم هذه أصبح لا قيمة له، ولا يغني شيئاً. حيث كانوا هم الطريق لدخول المشركين، والهجوم على رسول الله ﷺ من خلفه لاستئصاله وأصحابه ونسائهم وأبنائهم وأموالهم، وقد علم مما تقدم كيف كانت حالة المسلمين حينما علموا بنقض بني قريظة العهد، ودخولهم في صف الأحزاب، وكيف نجم النفاق، ووقع الخوف، واشتد البلاء، حتى ضاقت برسول الله ﷺ وأصحابه الأرض بما رحبت، ولولا أن الله سبحانه وتعالى تداركهم بلطفه، وثبت قلوبهم، وجعل كلمته

هي العليا، وكلمة أعدائه هي السفلى، وقيَّض لهم نعيم بن مسعود الغطفاني، رضي الله عنه، من قلب المشركين، ففرق كلمة الأحزاب، وأرسل الله عليهم ريحاً صرصراً، فشتت بها جمعهم، ولابس قلوبهم بالرعب والخوف، لحصل ما قصده المشركون من السوء برسول الله ﷺ وأصحابه بواسطة من ائتمنهم رسول الله ﷺ على نفسه وأصحابه ونسائهم وذراريهم وأموالهم أولئك هم بنو قريظة الغدة الفجرة، وكان الإسلام، ونبيُّ الإسلام، والمسلمون قد صاروا في خبر كان. وليس ذلك من باب الحدس، والتخمين، والظن، بل هو الحقيقة الثابتة، حسب ما تعاقدت عليه الأحزاب، وتعاهدت وجاءت المدينة من أجله، ولكن من تعهَّدَ اللَّهُ عز وجل بنصره فلا غالب له، فقد جعل سبحانه وتعالى كلمته هي العليا، وكلمة المشركين واليهود المكرة الفجرة هي السفلى، ومكن عباده المخلصين وعلى رأسهم نبيه ﷺ من رقاب الخائنين، الغادرين السفلة المارقين، الذين لا يخضعون لدين، ولا يعترفون للجميل، ولا يوفون بعهد، ولا يثبتون على عقد، فلما حاصرهم، وتيقنوا أنهم هم الذين أساؤوا إلى أنفسهم، وأن لا مفر لهم من نقمة الله تعالى. وتحققوا من جبنهم، وخذلانهم، وأن لا قدرة لهم على قتال رسول الله ﷺ، وتشاوروا فيما بينهم، فأشار عليهم رئيسهم كعب بن أسد القرظي أن يؤمنوا برسالة النبي ﷺ، لأنه هو النبي المرسل، الثابت بصفاته الظاهرة كالشمس في رائعة النهار في التوراة والإنجيل، وهو الذي يعرفونه حق المعرفة، كما يعرفون آباءهم، وأبناءهم، وأنهم على يقين تام أنهم إن آمنوا بنبوته، وصدقوه بما جاء به من الله تعالى حقنت دماؤهم، ولم تُسب نساؤهم، ولا ذريتهم، ولم تؤخذ أموالهم، ويصيرون من حزبه، فأبو عليه ذلك، لما انطوت عليه قلوبهم من الحقد والحسد، فساقتهم حماقتهم، وجنونهم، أن يختاروا القتل، والسبي، على أن يتبعوا الحق الثابت الصريح، فعصوا بذلك ربهم، ونبيهم موسى عليه السلام، وما أنزل عليه من التوراة، وخالفوا

رئيسهم كعب بن أسد ﴿مَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ﴾[1].

ثم لما ناداهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن يؤمنوا بالله ورسوله، وبذلك يكونون آمنين على أنفسهم، وكل عزيز لديهم، فلم يجيبوه إلى ذلك، ورضوا أن ينزلوا على حكمه، فحكَّم فيهم رسول الله ﷺ سيد الأوس الذين هم مواليه سعد بن معاذ رضي الله عنه، وكان قد طلب الأوس من رسول الله ﷺ العفو عن بني قريظة كما عفا عن بني النضير حلفاء الخزرج، قبل أن يتدبروا الأمر، ويتفكروا في حالة ما اقترفه بنو النضير، وبنو قريظة، ويقدروا جريمة الفريقين حتى قدرها، ولا شك أن ما اقترفه بنو قريظة هو غير ما اقترفه بنو النضير وبنو قينقاع، وكان طلب الأوس هذا مبنيّاً على حسن النية، ولم يعاتبهم رسول الله ﷺ على ذلك، لأنهم أرادوا أن يُبارُوا الخزرج في حلفائهم، فحكم عليهم سعد بن معاذ رضي الله عنه بما حكم، فلو أن بني قريظة أرادوا لأنفسهم خيراً لنطقوا بالشهادة، وشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ولو نطقوا بها لما حصل عليهم مما حصل شيء، وقد جرب بعضهم ذلك بالفعل، وأسلم منهم أناس، فسلموا من القتل وأخذوا كل ما هو لهم من أهل ومال، وولد.

ورغماً عن كفرهم، وإصرارهم، وعنادهم، واختيارهم القتل على أن لا يؤمنوا بالله ورسوله، ورغماً عن ارتكابهم الجرائم وأفظعها، كان كل من استوهب من الأنصار رسول الله ﷺ أحداً منهم وهبه له ـ كما تقدم في قصة الزَّبِير بن باطا ـ فلو كان لبني قريظة يد خير مع الأنصار واستوهب كل واحد رجلاً منهم لوهبه له رسول الله ﷺ، بالطريقة التي استعملها ثابت بن قيس الأنصاري الخزرجي، وسلمى بنت قيس، لا بطريقة العصبية القومية التي اتخذها الأوس لمناظرة الخزرج، والتي لم يقبلها رسول الله ﷺ، ولما قتل منهم غير عدو الله حيي بن أخطب ومن على شاكلته.

(١) سورة الأعراف، الآية ١٨٦.

ولكن الأمة الشرسة الأخلاق، الغادرة، التي لا تعرف للعهد قيمة، ولا للشرف والعقود قدراً، لا تجد لها عند بلائها مواسياً ولا شفوقاً، بل ينزل عليها العذاب انصباباً. وقد أصبح كل من استوهب منهم وآمن برسول الله ﷺ مع النساء والذرية آمناً مطمئناً، فدخلوا في الإسلام طائعين باختيارهم، إلا من ندر منهم، وأخرج الله منهم النسل الطيب، وصاروا من حزب الله تعالى، وحلت عليهم السعادة الدنيوية، والأخروية، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء. فمن الناس من لا يصلحه الكلم الطيب، وإنما يصلحه السيف.

وحاصل ذلك أن الله سبحانه وتعالى هو المعز المذل، والحافظ الناصر، فجعل النصر والظفر من حظ عباده المخلصين، الذين ضحوا بحياتهم في إعلاء كلمته، كما أنه جعل الشفقة والرحمة في قلوب المؤمنين، ولذلك قد عامل رسول الله ﷺ: من بقي من قريظة بالشفقة، والرأفة والرحمة، مع أن السياسة تقضي بإبادتهم جميعاً، لأن العدو اللدود الخئون المجاور، شر من العدو المحارب البعيد، وحياة المرء مع الغادر الخائن تكون دائماً على خطر، لكونه يتربص به الدوائر، فلا يؤمن من مكره، ووثوبه عند سنوح الفرصة، كما علم من قصة بني قريظة، وذلك بخلاف العدو المحارب، فإن المرء منه على حذر. وقد حدثنا التاريخ أن كثيراً من الدول المستعمرة أبادت أمماً لغرض سياسي محض، ولم يقع من تلك الأمم بعض ما وقع من بني قريظة من الغدر والخيانة، وقد شهد بذلك كثير من علماء الغرب الذين لهم وقوف على السياسة العامة، فقال بعضهم: (ما عرف التاريخ فاتحاً أرحم من العَرب).

ولو أردنا أن نستوعب ما قاله أولئك الغربيون لضاق بنا المجال. وإنما الغريب الذي يوجب الدهشة هو قول بعض من يَدَّعي الإسلام، ويزعم أنه من حماته ومن ضمن المصلحين، يتبجح في قضية بني قريظة ويشوهها،

ويلبسها ثوباً غير ثوبها الحقيقي، ولو كان القائل بذلك هو كما يزعم أنه من المصلحين، أو على الأقل المنصفين، أو من الذين يتتبعون الحقائق، ويقدرون القضايا حق قدرها، لذكر القضية مجردة من المبالغة، والتشنيع، حيث إن قضية بني قريظة لم تكن في كتاب واحد، بل قد دونها أكثر المؤرخين، وهي موضحة في مئات الكتب من تفاسير، وسنة، وسير، وتاريخ، وهي ظاهرة كظهور الشمس في رائعة النهار، وإنما ﴿مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هادِيَ له﴾ ومن أعمى الله بصيرته فلا شفاء له، ومن يرد تشويه الحقيقة فلا قناعة له، وذلك شأن الملحدين في كل عصر ومصر، ولا حول ولا قوة إلا بالله. أَلهمنا الله الرشد ووقانَا شَرَّ العناد، والفساد، والقول بغير الحق، وأبعدنا عن شهوات النفس وإنكار الحقائق آمين.

تم بحمد الله تعالى الجزء الثاني من كتاب (حياة سيد العرب، وتاريخ النهضة الإسلامية مع العلم والمدنية) في آخر شهر ربيع الأول سنة ١٣٤٩ هـ ويليه الجزء الثالث وأوله (سرية محمد بن مسلمة الأنصاري إلى القرطاء) بقلم مؤلفه حسين بن عبد الله بن محمد بن سالم بن عمر بن عوض باسلامه آل باداس الكندي الحضرمي المكي، وبالله التوفيق.

حسين باسلامه

الفهـــرس

